

رمز الحضارة الصناعية

ابتهاج يرفع الى المولد الكهربائي (الدينامو) كما ظهر
في تمثيل رواية لاوجين اونيل المؤلف المسرحي الاميركي

مقتطف اكتوبر ١٩٢٩

انظر الصفحة ٣٢٢

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثالث من المجلد الخامس والسبعين

١ أكتوبر سنة ١٩٢٩ — ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٣٤٨

كَلِمَاتُ اللّٰهِ كَوْرُصَرُونِ

الزمان وقدر الرجال

من الرجال من لهم قيمة ذاتية تظهر بكتاباتهم وتعاليمهم وقلمًا تتغير بتغير الأزمنة والامكنة ولا عرف معاصروهم قدرهم او جهلوه وسواء كانت بلادهم محتاجة اليهم او مستغنية عنهم مثل فراط وافلاطون وده كارت وباستور وسبنسر. ومنهم من قيمتهم قائمة بحاجة بلادهم اليهم او بالنفع بي نبالها منهم وتظهر بما يأتونه من الافعال مثل بونابرت ووشنطون ومحمد علي. ومنهم من لهم قيمة ذاتية ولكن لا يمد لهم الاجل حتى تظهر مزاياهم او لا يوفقون الى نشر آرائهم فكأرهم او تكون بلادهم في خمول فلا تعرف قدرهم او لا تستفيد منهم ككثيرين من اذكاء العقول بن قضا في سن الشباب او وجدوا في بلاد اهلها سكارى بخمرة الجهل او نيام في ظلمات اهل. ومنهم من قواهم عادية ولهم امتياز قليل على آرائهم ولكنهم يظهرون زمن شدة التنبيه كبر شأنهم وينمو قدرهم كأنهم بزور القيت في ارض خصيبة. ومنهم يحتاجر باكرامهم ويبالغ اعلاء قدرهم لغرض سياسي او ديني او لمصلحة اخرى فيعطون فوق ما يستحقون. وكيف كانت حال فقدر الرجال الحقيقي لا يعلم الا بعد مرور الزمان وتمحيص الاقوال والافعال بنار الامتحان. لا تبقى الحقيقة طامسة طي الحفاء. فكم من عالم حكيم تضم هذه الغبراء وقد نسي اسمه ولا يعلم من امره وكم من مزار بني على وفات احق منتطح والناس يزورونه صباح مساء ويتبركون به. وفي ميزان هذا الدهر من خفيف مرتفع وثقيل منخفض ولعل الحقائق المجهولة اكثر من المعلومة



الفردوس الأرضي

تحليل لجمهورية افلاطون^(١)



افلاطون : عن افلاطون تصدر كل المسائل التي مازال المفكرون والكتّاب الى يومنا هذا يكتبونها ويتناقشون فيها . . . ان كتبه هي توراة المتعلمين منذ اثنين وعشرين قرناً . . . فسانت اغسطين وكوبرنيكس ونيوتن وبهمن وسويدنبرغ وغونه هم كذلك مدينون له . هو الرائد وهم التابعون . لانه من الانصاف ان ننسب الى هذا « المعلم » العظيم كل التفاصيل التي تستخرج من فلسفته . . . افلاطون هو الفلسفة . والفلسفة هي افلاطون . . انه لمن مجد البشر ومن هونهم ان لا يستطيع سكسوني ولا روماني زيادة فكر واحد على مقرراته . لم يكن له زوجة ولا اولاد ولكن المفكرين في كل العالم المتمدن هم وارثوه المتسمون بسيماء عقله . . . لقد طبعت كتابات افلاطون كل مدرسة من مدارس التعليم وكل محب من محبي الفكر ، وكل كنيسة وكل شاعر . . . وأكثر ما يثير اعجابي « العصرية » الواضحة في روحه وأسلوبه . ان فيه جرثومة اوربا التي نعرفها ، بتاريخها — تاريخ اساحتها وفنونها — انك تستطيع ان تبين كل لغاتها وميزاتهما في عقل افلاطون — ولا تستطيع ان تتبينها في احد قبله . لقد تفرعت هذه العناصر ونزلت في مئات من مجلدات التاريخ لكن عنصرأ واحداً جديداً لم يضاف اليها . ان هذه العصرية المتجددة هي مقياس العظمة في كل فن لانها تدل على ان صاحبها لم يفتّر بشيء محلي زائل بل عني بالصفات الحقيقية الخالدة . . . ما اكثر العصور التي كرت وهو لا يزال جالساً على عرشه لا يقاربه احد !

عن امرسن

في خطبته التي موضوعها « افلاطون الفيلسوف »

(١) هذا نص المقدمة التي وضعها رئيس تحرير هذه المجلة لترجمة « جمهورية افلاطون » العربية التي طبعتها واهديتها الى مشركي المقتطف . وقد نشرناها هنا لفائدة قراء المقتطف غير المشتركين

الجمهوريّة: من يداخله اقل رية في اثر افلاطون ؟ انظر الى الاكاديمية التي انشأها. اول الجامعات في التاريخ وأطولها عمراً . انظر الى الاهتمام العام والتجديد المتكرر الذي كان من نصيب فلسفته . انظر الى المقام الذي احرزه في ثقافة القرون الوسطى وما لفكره من الاثر في المباحث اللاهوتية الحديثة . واذكر ان مائة الف تلميذ او اكثر في كل انحاء العالم المتمدّن مكبّون الى اليوم على «جمهوريته» و«محاوراته». انها لمن آمن الآثار التي يقننها البشر . ففيها اتخذت الفلسفة اولاً شكلاً معيّناً . ولما افاض عليها افلاطون من عواطف شبابه الزاخرة المتنوعة بلغ بها قمة الابداع العليا . والجمهوريّة ! فيها تجد مباحث ما وراء الطبيعة والآداب وفلسفة النفس واللاهوت والسياسة والفن . فيها تجد المبادئ التي تنشدها طالبات التحرر من النساء . وفيها تقع على القواعد التي يدعو اليها علماء الحياة لتحديد النسل . فيها تطالع مبادئ الاشتراكية (بل والشيوعية) واليوجينية والارستقراطية والديمقراطية والتحليل النفسي والمذهب القائل بأن الحياة مظهر من مظاهر التفاعل الكيماوي . فلا عجب ان يقول امرسن في هذا الكتاب « احرقوا كل الكتب في هذا الكتاب غنى عنها »

ول دورانت في المجلة الاميريكية
مؤلف « قصة الفلسفة » و « قصور الفلسفة »

سقراط

لا يذكر افلاطون الاً ويذكر سقراط . فأفلاطون تلميذ سقراط وعلى لسانه اجري المحاورات التي رفعة الى اعلى طبقة بين الفلاسفة والشعراء . ولا بد من فهم سقراط لفهم افلاطون بوجه عام وفهم الجمهوريّة بوجه خاص . لذلك نبداً تحليل الجمهوريّة بمحاولة تحليل الرجل الذي جرت على لسانه

اذا صح لنا ان نحكم على سقراط من تمثاله النصفي الذي عثر عليه في ركام بيت قديم فلنا وجه لم تبد عليه ملامح الجمال الذي يتصف به الفلاسفة في اكثر الاحيان . رأس اصلع وجه كبير مستدير وعيون عميقة المستقر محملقة البصر وأنف كبير عريض — يؤيد ما قيل — من ان هذا التمثال يمثل رأس سمّال لا رأس اشهر الفلاسفة

ولكن اذا اعدنا النظر الى هذا التمثال الصامت شهدنا في ملامح صاحبه من آثار السذاجة واللفظ والعطف ، صفات جعلت هذا المفكر الهادى معلماً لنخبة شبان اثينا . اتنا لا نكاد نعرف عنه شيئاً ولكننا نعرف عنه اكثر مما نعرفه عن تلميذه افلاطون

وتلميذ تلميذه ارسطوطاليس . اننا نستطيع ان ننظر اليه الآن — فوق جسر من الزمن بمر
ثلاثة وعشرين قرناً — فنراهُ بجسمه الحالي من الرشاقة والجمال متشجراً رث الثياب ،
يمشي في تودة ووقار لا تثيره عواصف السياسة ولا تقلقه ثم لا يلبث ان يجتمع حوله نفر من
الشباب والمتعلمين فيسير بهم الى زاوية ظليلة من زوايا رواق في احد الهياكل ، وهناك يقف في
وجههم ويقول لهم في بساطة ودعة وحزم : « حددوا الالفاظ التي تستعملونها »

كان في هذا الجمهور من التلاميذ — شبان اغنياء كافلاطون والسيدايذ الذين كانوا
يسرهم تحليله الهادم للديمقراطية الاثينية . وكان بينهم اشتراكيون كاتيشينيس الذين
كانوا يعجبون بفقره الوديع حتى يدينوا به . وكان بينهم فوضويّ او فوضويان مثل
ارستپس الذي كان يرنو الى عالم لا اسياد فيه ولا عبيد . كل المسائل التي تثير المجتمع الانساني
اليوم كانت تثير تلك الطائفة الصغيرة من المفكرين ، الذين كانوا يرون مع معلمهم ان الحياة
من غير بحث لمست حياة خليفة بالانسان . كل مدرسة من مدارس الفكر كان لها مثل
هناك بل عند التدقيق ترى انها هناك نشأت

كيف كان يعيش ؟ لا نعلم . انه لم يشتغل مطلقاً ولا كان يهتم بالغد . كان يأكل حين
يدعوه تلاميذه ليشرّف موائدهم . ولكنه لم ينل ترحيباً مثل ترحيهم به حين كان يؤوب الى
بيته ، لانه كان يهمل زوجته زانتيب فكانت تقول فيه انه رجل لا يفيد شيئاً . وانه جلب
لا سرته شهرة اكثر مما جلب لها خبزاً . ولكنها كانت تحبه ولم تطلق ان تراه يرتشف
كأس الردي مع انه كان قد اوفى على السبعين

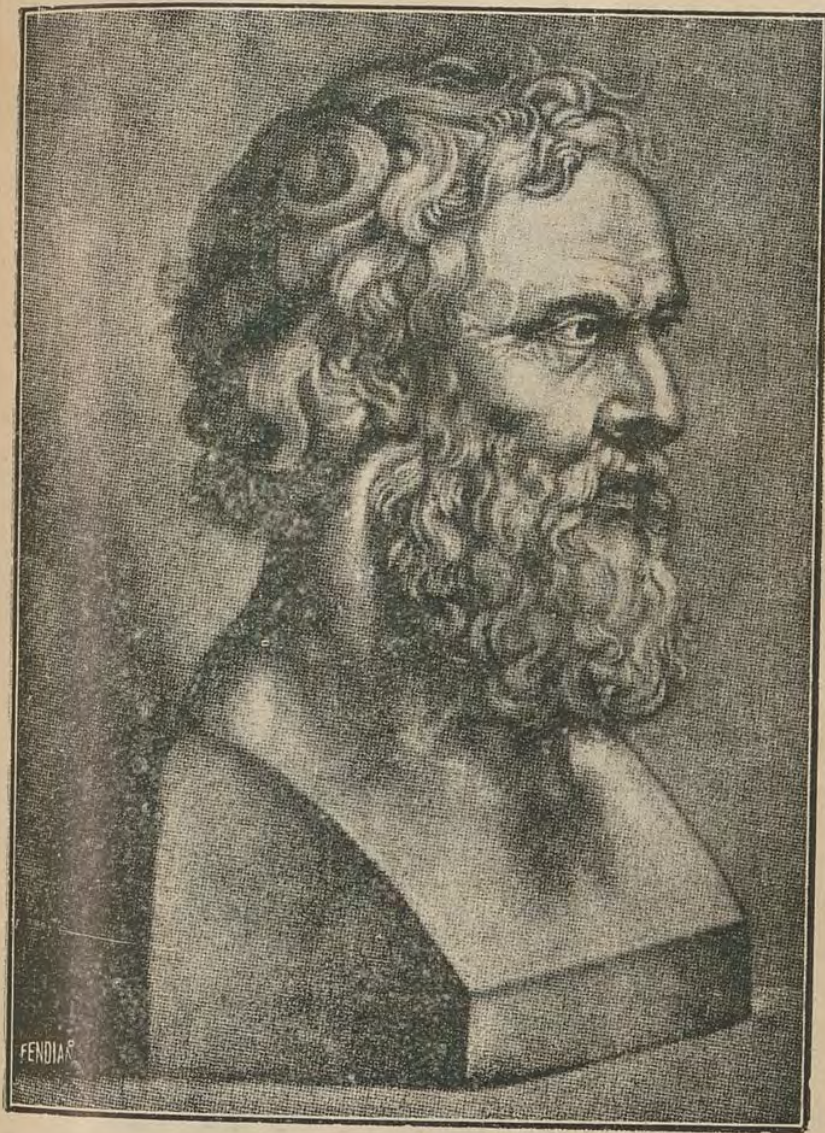
ولماذا اجله تلاميذه واكرموه ؟ لعل السر في ذلك انه كان رجلاً (بكل معاني
الرجولة) وفيلسوفاً في آن واحد . فمن المأثور عنه انه غامر بحياته ليخلص السيدايذ في
احدى المعارك . وكان يستطيع ان يشرب (خمرآ) شرب رجل سري لا يتعدى فيه
حدود الاعتدال . ولكن مما لا ريب فيه ان احب صفاته اليهم كانت صفة الوداعة في حكمه .
فانه لم يدّع يوماً انه قبض على زمام الحكمة ولكنه كان يفاخر بانه يسعى الى الحصول عليها
سعي من يحبها . فقد كان من هواه الحكمة لامن محترفها — اذا صح إطلاق هذا التعبير
المستحدث . ويقال ان الالهة في هيكل دلفي قالت فيه « انه احكم اليونان قاطبة » فحمل ذلك
على يحمل موافقتها له في تجاهله (لا ادريته) والتجاهل في رأيه لا بد ان يكون مرتبة الفلسفة
الاولى . فقد كان يقول — اني اعلم شيئاً واحداً وهو اني لا اعلم شيئاً . والفلسفة تنشأ حين
يداخل الانسان الريب — الريب خصوصاً في المعتقدات والاحكام والاوليات التي ورثها .
كيف صارت هذه المعتقدات بمثابة حقائق ؟ الم تنشأ في اول نشأتها عن رغبة خاصة فالبغت



سقراط الذي هبّت على لسانه جمهوريّة افلاطونه

مقتطف اكتوبر ١٩٢٩

امام الصفحة ٢٤٨



أفلاطون

نقلًا عن كتاب « قصة الفلسفة » تأليف الدكتور رول دورانت



عليها الرغبة فيها ثوباً من الفكر فصارت معتقداً محترماً لا يقبل النقض ! ان الباحث لا يصل الى صميم الفلسفة الا حين يتجه عقله الى درس نفسه — او حين يقول مع سقراط — اعرف نفسك

اثره الفيلسفي

كان قد سبقه جمهور من الفلاسفة امثال طاليس وهيراقليطس — بارمنيدس وزينو الايليائي — فيثاغوراس وامبدوقليس. ولكنهم كانوا في الغالب فلاسفة الطبيعة وظواهرها. كانت مباحثهم في صميمها تدور على طبيعة الاشياء — النواميس والمقاييس التي تجري بموجبها الاشياء، والعناصر التي تتألف منها. وهذا عمل جليل — في رأي سقراط. ولكن هناك موضوعاً اجلّ خطراً في نظر الفلاسفة، يسمو على كل هذه الاشجار والحجارة — حتى وعلى هذه الكواكب — هناك عقل الانسان. ما الانسان وما مصيره ؟

وهكذا مضى سقراط يبحث في نفس الانسان هاتكاً السُّرر عن المسلمات متسائلاً عن صحتها وكان اذا اجتمع جمع من تلاميذه ودار حديثهم على العدالة تراه يسألهم في هدوء — ما هي العدالة ؟ ماذا تعنون بهذه الالفاظ المجردة التي تحكمون بها حكماً فاصلاً في مسائل الحياة والموت ؟ ماذا تعنون بالفاظ « الشرف » و « الفضيلة » و « الادب » و « الوطنية ». ماذا تعنون حين يقول واحدكم « انا » ؟ وعلى هذا النمط ترى ان سقراط كان يعالج هذه المسائل الادبية السيكولوجية. وبعض الذين كانوا يفضّحون بطريقته السقراطية التي توجب التحديد المدقق، والتفكير الصافي، والتحليل الجلي، كانوا يعترضون عليه ويقولون انه يسأل اكثر مما يجب وانه بعد توجيه اسئلته كان يترك عقول سامعيه اكثر اختلاطاً وتشويشاً مما كانت عليه قبله. ومع ذلك تجد انه خلف في تاريخ الفلسفة حدين محددين الاول حد « الفضيلة ». والثاني حد « الدولة المثلى »

كانت هذه المسائل اهم ما تحوم حوله افكار الشيبة الاثينية في ذلك العصر. وكان فلاسفة السفسطائيين قد نزعوا من صدور الشيبة ايمانهم بالهة اوليوس واللاهات، وبالنظام الادبي الذي نال حرمة من الخوف الذي كان يحتاج الناس من الهة الكائنة في كل مكان. وعلى ذلك أطلق لهؤلاء الشبان العنان ليفعلوا ما يشاؤون، ما داموا لا يخرجون عن حدود القانون. هذا من جهة. ومن جهة اخرى كانت عوامل الضعف قد اخذت تنخر في الخلق الاثيني، مما جعل المدينة العظيمة مرتعاً لبناء سبارطة الاشداء. اما الدولة — او الحكومة فكانت قد انحطت حتى اصبحت ديمقراطية يسيّرها الرعاع تسيّرهم الشهوات. وندوتها كانت قد صارت دار جدال لا غير. فصار القواد ينتخبون او يطردون او يقتلون

لاقل ريح من الشهوة تعصف بعقول الجمهور. وصار الفلاحون السذج ينتخبون ليكونوا اعضاء في المجلس الاعلى لان دورهم جاء حسب ترتيب اسمائهم الهجائي !
فالمسائلتان الكبيرتان كانتا — كيف يستطيع وضع نظام ادبي جديد ، وكيف يستطيع خلاص الدولة ؟

سبب موته وخلوده

ان اجوبة سقراط عن هاتين المسألتين منحتهُ موتهُ وخلودهُ في آن واحد . فانه لو حاول ان يعيد النظام الديني القديم القائم على تعدد الالهة ، ولو انه سار باتباعه الى الهياكل وامرهم ان يذبحوا الذبايح لالهة آباءهم لوجد شيوخ الامة ملتفين حوله ، ينصرونهُ ويؤبدونهُ ويجعلونهُ في المقام الاعلى . ولكنه ادرك ان ذلك خطة خير منها الانحار ، لانها خطة ترجع بمتبعيها القهقري الى القبور

وقد كان راسخ الايمان بمعتقد الديني — القائم على الايمان بالله واحد — وكان يأمل ان لا ينفى في التراب متى شرب كأس الردى (اي كان يؤمن بالخلود) . ولكنه كان يعلم حق العلم انه لا يستطيع ان يبني نظاماً ادبياً على اساس معتقد واحد كهذا الاساس . فقال لنفسه اذا كنا نستطيع ان نبني نظاماً ادبياً غير مرتبط بالمعتقدات الدينية ، يخضع له الملحد والمؤمن على السواء من غير ان يمس عقيدتهما فعندئذ نكون قد فعلنا شيئاً لا يزول . تأتي المعتقدات الدينية وتذهب ، وهذا النظام باقٍ على الدهر يجعل ابناء كل دولة اعضاءاً حية في جسمها الحي

فاذا عني « بالصلاح » « المعرفة » و « بالفضيلة » « الحكمة » ، واذا استطنا ان نعلم الناس حتى يدركوا ما هي مصالحهم الحقيقية وان يكونوا بعيدي النظر يرون النتائج التي تنجم عن اعمالهم قبل وقوعها ، اذا هذبناهم حتى يضبطوا شهواتهم ويؤلفوا بينها — اذا استطعنا ذلك خلقنا من الفوضى نظاماً ومن الضوضاء ايقاعاً

هذا هو الاساس الذي يجب ان يقوم عليه النظام الادبي

للرجل الجاهل شهوات ورغبات تثيره كالشهوات التي تثير الرجل الكامل التهذيب . ولكن المذهب يعرف كيف يضبطها ويمتنع جهد الطاقة عن مجارة الوحوش في ثوراتها . وفي دولة بني نظام ادارتها على اركان من المعرفة والحكمة — في دولة تعيد الى الفرد من القوى الواسعة اكثر مما تسلبه من الحرية بتقييدها — تقضي مصلحة كل رجل ان يتصرف تصرفاً اجتماعياً رائده الحكمة والاخلاص . ولا يبقى الا ان يكون الحكماء بعيدي النظر خفي يستنبط للدولة سلام ونظام ووثام

ولكن اذا كانت الحكومة فوضى، تحكم من غير ان تمد يد المساعدة الى رعيتهاء، وتأمر من غير ان تتولى القيادة، فكيف يستطيع الحكام ان يقنعوا الفرد، في دولة من هذا القبيل، بان يطيع القوانين ويحصر مساعيهِ في دائرة « الخير الكامل »؟ فلا عجب اذاً ان يشيح السيادة بوجههِ عن دولة لا تطمئن الى الرجال اصحاب المواهب وتحترم العدد اكثر من احترامها المعرفة. ولا عجب ان تجد فوضى حيث لا تجد فكراً، حيث يحكم الجمهور في تعجل وجهل ثم لا يلبث ان يندم حين لا ينفع الندم. اليست الخرافة القائلة بان الكثرة تولد الحكمة خرافة فاسدة؟ وعلى الضد من ذلك الا نرى ان الرجال حين يجتمعون جماهير يصبحون اكثر جنوناً واشد فساداً واعظم عنفاً منهم وهم افراد؟ اليس من السخف ان يحكم الناس خطباء يستثيرون شعورهم بخطب طيشانة كالاوعية النحاسية الجوفاء اذا ضربت عليها طننٌ وظلت تطن حتى تمسها يدٌ؟ حقاً ان ادارة الدولة مسألة لا يستطيع الرجال ان يلقوا في استعدادهم لها حدود المعرفة والحكمة. انها مسألة تتطلب التفكير الحر في اقوى العقول. فكيف نستطيع ان نخلص مجتمعاً ما او ان نحكمهُ الا اذا كان حكاؤه زعماءهُ

موقف الديمقراطيين

تصور الشعور الذي سرى في صدور الحزب الشعبي حين اطلعوا على مبادئ هذه الدعوة الارستقراطية، في زمن كانت الحرب تستدعي كم افواه الناقدين والمعارضين، وكانت الاقلية المتعلمة السريّة تعدّ المعدات للقيام بثورة على النظام السائد. تصور ما شعر به انيس احد زعماء الديمقراطيين حين رأى ابنه وقد صار تلميذاً لسقراط، منقلباً على الآلهة وعلى ابيه ضاحكاً في وجههِ

وجاءت الثورة فخاضها رجال الفريقين عالين انها معركة الحياة والموت. فلما فازت الديمقراطية تقرر مصير سقراط. لقد كان الزعيم الفكري لحزب الثورة مهما يكن مسالماً في اعماله وتصرفه. لقد كان منبع هذه الفلسفة الارستقراطية الممقوتة. هو افسد الشبان السكارى بسحر الجدل والمناقشة. فالأفضل ان يموت. هكذا قال انيس وميليتس

وباقى القصة اشهر من ان يعاد لان افلاطون كتبه في «ابولوجيته» ثراً يفوق الشعر رواءً وبلاغة. ففيها يصف موت اول شهداء الفلسفة، الذي اعلن حق الانسان في حرية الفكر مؤيداً فائدته للدولة، رافضاً ان يطلب الرحمة من الجمهور الذي كان يحتقره، مع ان ذلك الجمهور كان يملك العقو عنه واطلاق سراحه. انه رأى في موته، وفي حكم القضاة عليه بالموت، حين كان الجمهور الصاحب يطلب ذلك، تأييداً لتعاليمه. فتقدم الى الموت بقلب ثابت وقدم راسخة. ويل لمن يحاول ان يعلم الناس أسرع مما يستطيعون ان يتعلموا!

افلاطون

كان اجتماع افلاطون بسقراط مرحلة انقلاب في حياته . ذلك ان افلاطون كان قد نشأ في مهد الرفاهة والرخاء — والبعض يقولون في مهد الثروة ايضاً . كان شاباً بهي الطلعة مقتول العضل دعي افلاطون لعرض منكيه . وكان قد برع واشهر جندياً وكان قد فاز مرتين في الالعاب الكورثية . فلا ينتظر ان ينشأ الفلاسفة من طائفة من هذا القبيل . ولكن روح افلاطون الدقيقة الاحساس كانت قد وجدت جذلاً لا يحد في طريقة سقراط الجدلية . ما كان اشد سروره وهو يصغي الى « المعلم » يمزق المعتقدات التحكية بمسائله الجارحة . قد دخل افلاطون حومة هذه الرياضة كما خاض قبلاً ميدان الالعاب الرياضية . وبنيابة سقراط اخذ ينتقل من الجدل والمناقشة الى التحليل الدقيق والمباحث المجدية . فصار مشغولاً بالحكمة وبمعلمه . قال : اشكر الله اني ولدت يونانياً لا بربرياً . حرّاً لا عبداً . رجلاً لا امرأة . ولكن علاوة على كل ذلك اشكره لاني ولدت في عهد سقراط » ١

استعداد افلاطون

كان في الثامنة والعشرين لما مات معلمه . وموته المفجع ترك في نفسه اثاراً لا يمحي . وملاً نفسه باحتقار الديمقراطية، ومقت الرعاع على منوال ما ينتظر منه وهو ان اسرة ارسقراطية . وقاده تأمله الى وجوب القضاء على الديمقراطية واحلال حكم الاحكم والافضل محلها — هذا هو ركن الجمهورية . واضحي اكبر هم في الحياة ان يتدع طريقة يستطيع ان يكشف بها عن احكم الناس وأفضلهم ثم يقنعهم ان يتقلدوا زمام الحكم على ان محاولته ان يخلص سقراط جملته موضعاً لريب الديمقراطيين . فأشار عليه اصحابه بان اثينا ليست دار امان له، وان العناية الالهية قد تكون هيأت له هذه الفرصة ليري العالم فليقتنمها . وهكذا كان . فانه اعدّ عدته للرحيل وغادر اثينا سنة ٣٩٩ ق.م. ابن ذهب؟ لا نعلم . فالثقات مختلفون كما تقدم معنا . ولكن بظهر انه ذهب اولاً الى مصر فصدى ما سمعه فيها من الكهان ان اليونان دولة لاتزال في المهد، لاتقايد تنزل فيها من مركز الثقل وانها خالية من الثقافة . ولكن الصدمة تفتح العيون فجعل يتأمل . ثم ذهب من مصر الى صقلية فايطاليا وهناك اتصل بمدة بالمدرسة التي انشأها فيثاغورس . فتأثر عقله الحساس بصورة طائفة من الرجال لاشأن لهم الا الاكباب على البحث والحكم، ورغم تقلدهم مناصب الحكم كانوا يعيشون عيشة السذاجة الطبيعية . فكانت هذه الصورة المثال الذي بني عليه نظام طبقة الحكام في جمهوريته

وهكذا قضى اثنتي عشرة سنة يتلقى الحكمة من كل مصادرهما ، جالساً في كل هيكل ، متذوقاً كل معتقد . فبعضهم يقول انه ذهب الى اليهودية فاقبض هناك تقاليد الانبياء الذين كادوا يكونون اشتراكيين في زعتهم . وبعضهم يقول انه وصل الى ضفاف الكننج وتعلم اساليب التأمل الصوفي من الهنود . كل هذا لا نعلمه على حقيقته .

عاد الى ائتنا سنة ٣٧٨ ق. م. رجلاً في الاربعين وقد انضجته الايام والاسفار وهذه به تعدد الشعوب التي لقىها والمذاهب التي اتصل بها . كان قد فقد شيئاً من الحماسة التي اتصف بها في شبابه . ولكنه اكتسب مكانها قدرة على النظر الى الامور من كل وجهاتها نظراً متزاناً وهو اساس الحكمة . فقد كان من جهة واسع المعرفة ومن جهة اخرى ذا نفس لا يملكها الا رجل الفن العظيم . في نفس هذا الرجل الفذ اجتمع الفيلسوف والشاعر في حيز واحد . فابتدع لنفسه اسلوباً جديداً من اساليب الكلام — تتجلى فيه الحكمة والجمال — نعني به اسلوب الحوار . ان الفلسفة لم ترتد ثوباً يفوق الثوب بهجة ورونقاً — لا قبل افلاطون ولا بعده . قال شلي ان افلاطون يعرض لك ذلك الائتلاف النادر بين المنطق الدقيق والحماسة الشعرية ذائبين في فيض واحد من الاتزان الى سيل عريم من التأثيرات الموسيقية

الصعوبة في فهمه

هناكل الصعوبة في فهم افلاطون . انه يمزج الشعر بالفلسفة بالعلم بالفن مزجاً يسكر . وانك اذا تأملت محاوراته لم تعرف بلسان اي المتحاورين يتكلم افلاطون ، وهل هو يتكلم استعارة او يعني ما يقوله بحرفه . وهل هو يحد أو هو يهذر . ان محبة اللهكم والهزل والخرافة تحير اللب . حتى لنستطيع ان نقول انه لم يتكلم الا بالامثال ويقال انه كتب هذه المحاورات لقراء عصره . فان الاخذ والرد فيهما واعادة بعض البراهين لتحكيمها في نفوس المستمعين كان يقصد بها كلها جمهور القراء والمستمعين في ذلك العصر ، لذلك ترى ان كثيراً منها لا نستطيع ان ندركه لبعده الشاؤ بين حياتنا وحياتهم واساليب معيشتنا وتفكيرنا واساليب معيشتهم وتفكيرهم . فلا يحزن الفارئ اذا لقي في الجمهورية كثيراً مما لا يستطيع الى ادراكه سيلاً لما كسي به من الاستعارات التي لا تدركها عقولنا في هذا العصر

وليدرك كذلك ان في افلاطون صفات كثيرة كالصفات التي كان يحمل عليها في محاوراته . انه يحمل على الشعراء وخرافاتهم ثم يضيف اسمه الى مئات من اسمائهم وخرافاتهم الى الوف من خرافاتهم . انه يتذمر من الكهان ولكنه هو كاهن ولاهوتي وواعظ . يحمل على

الفن حملات صادقة ويرمي بكل الاساطير الى النار ولكنه يعمد الى بعض الاساطير لتأييد اقواله بل يعمد الى بعضها فيجعلها اساساً لنظام التعليم في دولته . انه يعترف على منوال شكسبير ان المشابهات تحمل على الزلق ولكنه لا يخرج من مشابهة حتى يدخل في اخرى . انه يحتمل السفسطائيين لتلاعهم بالكلام في سبيل اثبات ما يريدون اثباته . ولكنه لا يترفع عن ان يفعل فعلهم كالمبتدىء . بعلم المنطق . ان اميل فاجيه الفرنسي يقلده ليسخر منه فيقول على منواله : « الكل اكثر من الجزء — لا بد — والجزء اقل من الكل — نعم — لذلك يتضح ان الفلاسفة يجب ان يحكموا الدولة — ماذا تقول ؟ انه امر واضح — فلنعد الكرة عليه »

مقام الجمهورية

على ان هذه النقائص هي اكبر ما يرمى به . وبعد ما نقول كل ما يمكن ان يقال فيه من هذا القبيل تبقى محاوراته كنزاً من ائمن كنوز العالم . وأهمها الجمهورية وهي رسالة كاملة بذاتها فيها تجد فلسفته فيها وراء الطبيعة — لاهوته — نظامه الادبي — فلسفته النفسية — فلسفته التعليمية — فلسفته السياسية — ومذهبه في الفن . فيها نعتز على المسائل التي نحسبها الآن من مبتكرات عصرنا — الشيوعية — الاشتراكية — تحرير النساء — تحديد النسل — اليوجنية — والمسائل التي اثارها نيتشه فيما يتعلق بالآداب . الارستقراطية والعود الى الطبيعة ، على ما قال به روسو ، والتعليم الحر — الدافع الحيوي الذي ذهب اليه برغسن — والتحليل النفسي الذي ابتدعه فرويد — كل شيء . نجلده في الجمهورية — انها مادبة المختارين يقدمها مضيف كريم

افلاطون هو الفلاسفة والفلسفة هي افلاطون — هكذا قال امرسن : ثم قال : احرقوا المكاتب فكلها في هذا الكتاب

تحليل الجمهورية

١ - تقسيمها

الجمهورية عشرة كتب تقسم بطبيعتها الى خمسة اقسام (١) القسم الاول يشتمل على الكتاب الاول وهو مقدمة للبحث فيه يثير سقراط المسألة الآتية : ما هي العدالة ؟ (٢) والقسم الثاني يشتمل على الكتاب الثاني والثالث والرابع وهي تحتوي على اركان الدولة المثلى وخصوصاً تعليم طبقة الحكام فيقوده ذلك الى تحديد المقصود بالعدالة في الدولة اولا ثم في الفرد (٣) والقسم الثالث يشتمل على الكتاب الخامس والسادس والسابع وهي في

رأي بعض النقاد والثقة استطراد وتوسع في موضوع الكتاب الاساسي . وهذا القسم يشتمل على بحث في الشيوعية خاصة ببطقة الحكام وعلى وجوب تقليد زمام الاحكام للفلاسفة وعلى نظام لتعليم الملوك الفلاسفة تعليماً عالياً . وتعليم الفلاسفة يستغرق كتابين السادس والسابع وهما في عرف المؤرخين استطراد من الكتاب الرابع (٤) القسم الرابع يشتمل على الكتابين الثامن والتاسع وفيهما يقف البحث على المخطاط الحكومة المثلى (والفرد الامثل) والصور التي تتخذها في انحطاطها هذا فيرى انها تتخذ اربعة اشكال تنتهي بالاستبداد وهو صورة التعدي التام تقابله العدالة الكاملة في الدولة المثلى (٥) والقسم الخامس يشتمل على الكتاب العاشر فعرض امام المقررات التي سبق وأدى اليها البحث في الفصول السابقة ويختم بحث في خلود النفس وجزاء الفضيلة ووصف ليوم الدينونة

٢ - غرضها وفكرتها العامة

نشأت الجمهورية عن مناقشة في حقيقة العدالة فذكر بعض المتناقشين حدوداً للعدالة لم يلق سقراط صعوبة ما في تنفيذها . ولكن اثنين من اتباع سقراط ذهبوا الى ان الانسان لا يميل بفطرته الى العدالة اكثر من ميله الى التعدي وانه لا يطلب العدالة لذاتها ولكنه يطلبها لانه يدرك النتائج التي تحل بالمجتمع اذا اطلق كل عنائه في اعمال التعدي . فكأنهما شبها المجتمع البشري — كما شبهه شوبنهاور — بجماعة من القنافذ اقتربت بعضها من بعض طلباً للدفع فكان لابد ان تحز اشواك القنفذ الواحد جسم جاره . ولكن اذا جعلت لكل شوكة غمداً من اللباد امكنها ان تقترب بعضها من بعض من غير ان يخز احدها الآخر . فعمد اللباد هذا هو بمثابة القوانين التي نطن ان العدالة مستقرة فيها وانما هي استنبطت لمنع الاحتكاك الذي يحدثه اجتماع الناس وانطلاقهم في اكفاء رغباتهم وشهواتهم من غير ما رادع او وازع

الادلة التي يدليان بها قوية وطويلة. تنتهي الى السؤال التالي: هل تستطيع يا سقراط ان تبين لنا ان العدالة بطبيعتها اسمى من التعدي . وان الادب اصالح من فساد الادب . اذا كان ذلك في طاقتك فبرهن عليه يا سقراط اذا اردت . هكذا قال غلوكون وأدمنتمس هذا هو الفصل الاول. اما باقي الجمهورية فهو رد سقراط على هذا التحدي الموجه اليه. ولكي يحدد معنى العدالة ويثبت انها افضل من التعدي قال ان اقوم الطرق للوقوف على حقيقتها هو البحث عنها حيث تبدو مظاهرها كبيرة واضحة للعيان — اي في المبادئ التي تجري بموجبها المجتمعات البشرية — اي في الدولة . ولا بد انها تكون على اوضح ما تكون في الدولة المثلى

فما هي الدولة المثلى ؟ هي الدولة التي تنتظم امورها باعتبار ما هو «خير» اعتباراً معقولاً . هكذا يقول سقراط

والدولة المثلى في نظره يجب ان تكون ارسقراطية تحكمها طبقة من الحكام يعملون تعليماً عالياً وافياً ثم يختارون لمنصبهم بفضل مقدرتهم على ادراك المبادئ التي تقوم عليها الدولة وجدارتهم في تطبيقها وحفظها . وهؤلاء يعيشون عيشة شيوعية لكي لا تفرهم المطامع بالحياد عن السراط المستقيم . ويولي طبقة الحكام طبقة الجيش للدفاع عن الدولة، وطبقة العمال والصناع لاستغلال مواردها . فدولة افلاطون قائمة على مبدأ الاختصاص . وهذا معارض كل المعارضة للديمقراطية — بمعناها الاصطلاحي — حيث يحسب كل انسان بارعاً في كل عمل وحيث يدعي رجل الشارع انه يستطيع ان يدرك ادارة الشؤون على اختلافها ويصدر فيها حكماً يجب احترامه

ويقابل تقسيم الدولة الى طبقات ثلاث تقسيم نفس الانسان الى مناطق ثلاث . فنفس الانسان لها ثلاثة اقسام بحسب رأي افلاطون في جمهوريته : القسم العقلي — والقسم الحماسي او الغضبي — والقسم الشهوي . فالحكمة فضيلة الاول . والشجاعة فضيلة الثاني والاعتدال فضيلة الثالث . ويقابل كل قسم من اقسام النفس صنف خاص من الرجال . فحاكم الدولة وهو رجل فيلسوف يمثل الرجل العاقل ويقابل في نفس الانسان القسم العقلي . والجندي يمثل الرجل الحماسي وهو يقابل القسم الحماسي في نفس الانسان . والصانع يمثل الرجل الشهوي الذي تتنازع الرغبات المختلفة وهو يقابل القسم الشهوي في نفس الانسان وكما ان العدالة في الدولة تقوم بقيام كل فرد بالعمل الخاص بطبيعته — فالحاكم يحكم والجندي يحمي الذمار والعامل يستغل موارد الارض — هكذا العدالة في النفس تقوم بقيام كل قسم منها بعمله الخاص به — فالعقل يضبط الشهوات حاكماً في المدى الذي يطلقه للرغبات . و « العواطف » تساعد العقل في عمله بتجنيد « العواطف الشريفة » لتأييده كالغضب من الحطة والخجل من الكذب . فالعدالة الاجتماعية هي مظهر خارجي لهذه العدالة الداخلية عدالة النفس . ولما سئل كيف يستطيع ان يحقق هذا الحلم الجميل اجاب « ملسكوا الفلاسفة » والفيلسوف في رأيه هو الرجل الذي يعرف الحقيقة . والحقيقة في نظره هي « صورة الخير » التي منها تستمد الاشياء الصالحة صلاحها

٣ - المشكلات التي تثيرها

المسائل التي يثيرها افلاطون في الجمهورية على لسان سقراط هي المسائل التي ما زال ابناء العصر يثيرونها في كل مجتمع وكل ناد . والحلول التي يقترحها لهذه المسائل لم تفقد

جندتها على قدم العهد بها . لانها متسمة بمسح ذلك العقل الجبار ومطبوعة بطابع تلك النفس التي تحررت من قيود الزمان والمكان كما قال امرسن فضمنت الخلود . فما هي هذه المسائل؟

﴿ أولاً : المسألة الادبية ﴾ الحديث يجري في بيت سيفالس الارستقراطي الذي . بين المجتمعين ترى غلوكون واديمنتس اخوي افلاطون وراسياخس وهو سفسطائي متعنت بنور لافل بارقة

« ماذا تحسب يا سيفالس اعظم بركة جنتها من ثروتك » هذا هو سؤال سقراط — بل هو سؤال افلاطون على لسان سقراط

فيجيبه سيفالس انه يحسب الثروة بركة عليه لانها تمكنه من ان يكون كريماً واميناً وعادلاً . فيسأله سقراط على طريقته في توجيه الاسئلة ، ماذا تريد « بالعدالة » . حددها . فتثور حرب الجدل وتنطلق شياطينها . لان اصعب ما في العلم والفلسفة هو وضع تحديد . ولا شيء اشق على الذهن من التفكير تفكيراً صافياً خالصاً من الشوائب . على ان سقراط لم يلق صعوبة ما في تفنيد الحدود المقترحة حتى يدخل الممعة راسياخس وكأنه جندتها الكي فينكمم كما يزأر الاسد قائلاً : —

« اي كلام فارغ يشغلكما يا سقراط وبوليبارخس . ولماذا تخذعان الناس بتأنيكما المتبادل . فاذا كنت حقيقة تريد تحديد العدالة فلا تقتصر على توجيه الاسئلة ، وتتسلى بافساد الاجوبة الواردة عليها . لانك عالم ان توجيه الاسئلة اسهل من اجابتها فاجب انت وقل ما تدعوه عدالة (٣٣٦)

على ان هذا الزئير لا يخيف سقراط . فيمضي في طريقه في تؤدة ولطف يوجه الاسئلة اكثر مما يجب عنها . وبعد جدال قصير يحمل راسياخس على اقتراح حد للعدالة . فيقول : « فاسمع اذاً ، تعليمي هو ان العدالة انما هي « فائدة الاقوى » فعناني يا سيدي انه في كل بلد منفعة الحكومة هي العدالة فتنتيجة البحث الحق هي ان منفعة الاقوى هي العدالة في كل مكان فيؤوب العادل صفر الدين ويطمع الظالم بالكل ولانه عادل تمنع عدالته من ان يمد يده الى اموال الدولة . ثم انه يصير مكروهاً من خدمه وصحبه كلما ابى ان يؤثر مصالحهم على العدالة وحين ينبذ الناس المنكرات فلا يكرهونها لانها بل مخافة تبعها ٣٣٨ — ٣٤٤

ان هذا المذهب مرتبط في عصرنا باسم نيتشه حيث يقول في مكان من كتابه « هكذا نكلم زراثوسترا » : « حقاً اني ضحكت مراراً على الضعفاء الذين يحسبون انفسهم صالحين لان

ليس لهم برائن . وباسم ميكافلي حيث يقول: الفضيلة هي الذكاء مع القوة. واذا افرغنا المسألة في قالب عصري قلنا « ان قبضة قوة اعظم من قنطار حق » . وقد اشار افلاطون الى هذا الموضوع في مكان آخر من محاوراته (جورجياس) فحمل بلسان الصوفي كليكس قائلاً : « انه ادب استنبطه الضعفاء ليعدلوا به قوة الاقوياء »

فهل نطلب القوة او نطلب الحق ؟ وهل خير لنا ان نكون صالحين او ان نكون اقوياء ؟ كيف يجب سقراط — او بالحري افلاطون — انه في البدء لا يجيب . بل يمضي في توجيه الاسئلة يبين بها ان العدالة انما هي علاقة بين الافراد لذا يجب ان ندرسها حيث ترى مظاهرها واضحة مكتوبة بالخط العريض — اي انه يقترح ان يدرسها في المجتمع . فتحليلها حينئذ يكون اقرب منالاً . ولكن يجب ان لا نخطئ فافلاطون يجمع في الجمهورية بين كتابين — لانه ينتقل من مسألة ادب النفس، كما هي مرتبطة بحياة الفرد، اليها مرتبطة بحياة المجتمع . وهذا الاستطراد وهبنا « الجمهورية » على انها صورة العدالة المثلى

﴿ ثانياً : المسألة السياسية ﴾ تكون العدالة مستطاعة اذا عاش الناس على فطرتهم . ولو ان فوضوياً اراد ان يفسر كلام افلاطون لقال انه يقصد بذلك الشيوعية . ولكن لافلاطون شيوعية خاصة سيأتي ذكرها . اصغ اليه يصف هذه المعيشة الفطرية ووصف شاعر « انهم يجنون ذرة وخرأ ويصنعون ثياباً واحذية ويشيدون لانفسهم بيوتاً ويمكنهم العمل صيفاً اكثر الوقت بدون احذية ولا اردية . اما في الشتاء فيجهزون بما يلزمهم منها . ويقناتون بالقمح والشعير ويصنعون خبزاً وكعكاً وينشرون الخبز الجيد والكعك اللذيذ على حصر محبوكة من القش . او على اوراق الاشجار النظيفة . ويجلسون على اسرة مصنوعة من اغصان السرو والآس . ويتمتعون بصفاء العيش مع اولادهم ، راشقين الخمر ، مكلمين بالغار، مسبحين الآلهة — معاشرين بعضهم بعضاً بسلام . ولا يلدون اكثر مما يستطيعون ان يعملوا خوفاً من الفاقة والحرب (٣٧٢)

لاحظ ايها القارئ الكريم اشارته الى تحديد النسل والى مذهب الاكتفاء بأكل الخضراوات والى الرجوع الى الطبيعة . ولكنه لا يقبل ان تقوده تصورات الشربة الى الحيدة عن نهج التدقيق الذي اتهمجه فيسأل نفسه « ولماذا يستحيل علينا تحقيق هذا الفردوس على الارض ! » ثم يجيب : هو الطمع من جهة والترف من جهة اخرى فاناس لا يكتفون ان يعيشوا المعيشة الفطرية الساذجة . فانهم لا يلبثون حتى يشوفوا الى غيرها فيطلبوا ما ليس في حيازتهم . ويندر ان يطلبوا شيئاً الا اذا كان في حيازة آخرين . فينتج عن ذلك التعدي على ارض

الجار وممتلكاته والزحام بين الافراد والجماعات على الارض وتناجها فيفضي ذلك الى الحرب وتنشأ التجارة وترتقي فتفضي الى تقسيم جديد بين الناس . « فكل مدينة » قال افلاطون « هي في الواقع مدينتان — مدينة الاغنياء ومدينة الفقراء وكل منهما في حرب مع الاخرى وفي كل من هذه الطبقات طبقات اخرى صغيرة — انك لتخطي خطأ كبيراً اذا نظرت اليها على انها دولة واحدة » : (٤٢٣) وتنشأ طبقة التجار العامة التي يحاول افرادها الوصول الى المراتب الاجتماعية السامية عن طريق المال — « وينفقون مبالغ طائلة من المال على نسايمهم » (٥٤٨) . وهذا التغير في توزيع الثروة يصحبه او يعقبه انقلاب في الاحوال السياسية . فاذا امتدت اصابع التاجر الغني الى الارض أخذت الارستقراطية تندحر امام الاوليفاركية فيحكم الدولة التجار واصحاب البنوك قهبط السياسة — وهي تعاون القوى الاجتماعية وتطبيق الخطط لنمو البلدان — الى درك اسفل وتحل محلها الا لاعيب السياسية وفي مقدمتها فائدة الحزب وشهوة المناصب . وهكذا يميل كل شكل من اشكال الحكومة الى الاخطاط والاندثار اذا عمادى في المبداء الاساسي الذي يقوم عليه . فالارستقراطية تلاشي اذا حددت الدائرة والطبقة الارستقراطية التي يحق لها ان تتولى الاحكام تحديداً ضيقاً والاوليفاركية تميل الى التهدم متى قوي الميل الى جمع المال جمعاً عاجلاً من غير اي اعتبار آخر . وفي كلا الحالين يفضي التصدع الى الثورة . ومتى جاءت الثورة ظهر ان الباعث عليها سبب طفيف او شهوة زائلة . ولكنها في الواقع تكون نتيجة لعوامل خطيرة تعمل مدى دهر طويل كالجسم اذا اضعفته العلة انزل به اقل تعرض للمرض افتك الادواء (٥٥٦) ثم تنجي الديمقراطية فيفوز الفقراء على خصومهم يذبحون بعضهم وينفون البعض الآخر ويمنحون الناس اقساطاً متساوية من الحرية والسلطان (٢٥٧)

ولكن الديمقراطية قد تتصدع وتندثر بكثرة ديمقراطيتها . فان مبداءها الاساسي تساوي كل الناس في حق المنصب وتعيين الخطة السياسية العامة . هذه لمحة خلاصة من نظام يستهوي العقول والنفوس ولكن الواقع ان الناس ليسوا اكفاء معرفة وتهذيباً ليتساواوا في اختيار الحكم وتعيين افضل الخطط . وهذا منشأ الخطر (٥٨٨) ان حكم الرعاع بحر مصطبب اذا امتطته سفينة السياسة تقاذفها كل ريح تهب فينشأ من الديمقراطية الاسبنداد . لان الجمهور يحب المديح والاطراء فاذا جاءه زعيم يطرئه ليحقق مقاصده الخاصة داعياً نفسه حامي الشعب ولاه الشعب السلطة العليا فيستبد به (٥٦٥)

وكما فكر افلاطون في الامر تراه وقد تولاه العجب من هذا الجنون الذي يسمى ديمقراطية — اي ان تعهد الى شهوات الجمهور واهوائه في اختيار الموظفين السياسيين . وحيثه في ذلك :

اذا كنا في المسائل الصغيرة كصنع الاحذية مثلاً لا نعهد في صنع احذيتنا الا الى اسكناف ماهر فكيف نحسب كل من يفوز باصوات كثيرة قادراً على ادارة احكام المدينة . فاذا مرضنا — يقول — ندعو طبيباً بارعاً في طبه ولا نبحت عن اجمل طبيب او افصح طبيب . واذا كانت الدولة معتلة يجب ان نبحت عن اصلح الناس واحكمهم لمنصب الحكم . فنرضى الفلسفة السياسية هو استنباط طريقة يمكننا من ذلك

﴿ المسألة السيكولوجية ﴾ ولكن وراء مشاكل السياسة طبيعة الانسان . ولكي نفهم السياسة يجب ان نفهم الفلسفة النفسية . « الرجل كالذئبة » ٥٧٥ . و« الحكومات تختلف كما تختلف اخلاق الناس . . . والدول مكونة من الطبائع البشرية » ٥٤٤ . . . فالذئبة تكون ما تكون لان ابناءها هم ما هم . فلانطمح في ترقية الدولة الا بترقية افرادها (٢٥) فلنفحص قليلاً هذه المادة البشرية التي تتكون منها الدول . ان تصرف الانسان ينشأ عن ثلاثة مصادر : العقل : الشهوة : العاطفة

انك تجد هذه القوى في كل النفوس ولكن على درجات متفاوتة . ففي بعض الرجال ترى الشهوات مجسمة — لا يستقرّون على حال من القلق في طلاب المال والرفاهة والظهور والزراع . فلا يحققون غرضاً حتى تقوم في نفوسهم اغراض . هؤلاء هم الرجال الذين يسيطرون على الصناعة . وفي طائفة اخرى ترى الشعور مجسما والشجاعة ظاهرة . هؤلاء لا يهتمون بالبائع لهم على خوض غمار حرب وغرضهم منها وانما يهتمون اولا بالنصر . وعظمتهم تتجلى في ابهة السلطان تساق اليهم لافي الممتلكات واحراز الثروة . واعظم جذلم في ميدان الحرب لا في سوق المال . من هؤلاء تتألف جيوش البر والبحر . ثم هنالك طائفة هي اقلية صغرى تهتم بالتأمل والفهم ، تدع جانباً السوق والميدان ، تنسى الدنيا وما فيها في ملكوت الفكر . ارادة هؤلاء نور لا نار . وغرضهم الحقيقة لا السلطان . هؤلاء هم رجال الحكمة الذين لا تفسدهم الدنيا

ولما كان عمل الانسان الفرد على اتمه اذا كانت تمليه الشهوة تذكيها العاطفة ويقودها العقل ويكبح جماحها فهو كذلك في الدولة المثلى : رجال الصناعة ينتجون ولا يحكمون . ورجال الحرب يحمون حمى الدولة من غير ان تلقى اليهم مقاليد الحكم . ورجال المعرفة والعلم والفلسفة يقاتون ويكسبون ويحكموا . لان الناس اذا لم يهدم العلم كانوا اجهوراً من الرعاع من غير نظام — كالشبهوات وقد اطلق لها العنان . فالتناس في حاجة الى هدي الفلسفة والحكمة ، كما تحتاج الشهوات الى انارة العقل . ان الدمار يحل بالدولة حين يحاول التاجر ، الذي نشأت نفسه في الثروة ان يصبح حاكماً (٤٣٤) او حين يستعمل القائد جيشه

لفرض دكتاتورية حرية . المنتج على اصلحه في ميدان الاقتصاد والجندي على اصلحه في ميدان الحرب . وكلاهما يكونان على افسدهما في المنصب العام ، وفي ايديهم غير المثقة تفرق الاعيب السياسة حكمتها . لان السياسة علم وفن والرجل السياسي يجب ان يقف نفسه عليها ويستعدّها والملاك الفيلسوف هو الرجل الوحيد الجدير بقيادة امة

وما لم يصبح الفلاسفة ملوكاً ويصبح الملوك والامراء حازنين لروح الفلسفة وقوتها ، وما لم تجتمع الحكمة والزمامة السياسية في رجل واحد ، لا تستطيع الدول ان تشفى من ادواها . . . ولا الجنس البشري (٤٧٣)

هذا هو ركن الدولة المثلث في جمهورية افلاطون . وهذا هو مفتاح فلسفته

٤ - الحلول التي تقترحها

الحل السيكولوجي — نظام التهذيب ✽ فما هو السبيل الى تحقيق هذا الغرض الاسمي ؟ نشرع بالاستيلاء على كل الاطفال الذين دون العاشرة (٥٤٠) اذ ليس في الطاقة انشاء الفردوس الارضي ما زال الصغار يفسدون كل ساعة باقتفاء آثار كبارهم . يجب ان نفسح امام كل طفل ميدان المساواة في الحصول على التهذيب لاننا لا نستطيع ان نقرر في اي سن يلمع مصباح العبقريّة في نفوسهم وعقولهم . فعلينا ان نبحت عنه في كل طبقة من الطبقات وكل عمر من الاعمار . والخطوة الاولى على طريقنا هي « التعليم العام » ثم قسم مراحل التعليم . فجعله تعليمًا بدنيًا محضًا في السنوات العشر الاولى وقضى ان يكون في كل مدرسة دار وميدان للالعاب الرياضية على اختلافها (الجمناستيك) . وهكذا نخزن في اجسامهم صحة تجعل الطب فناً يستغنى عنه . اننا لانستطيع ان نكون جمهوريتنا من افراد معتلي الابدان . ففردوسنا الارضي يجب ان يبدأ في جسم الانسان

ولكنّ التمرين الرياضي ينمي الانسان في جهة واحدة « فما هي السبيل الى الحصول على طبيعة لطيفة تدعمها شجاعة عظيمة — لانه يظهر ان الاثنين لا يجتمعان » ٣٧٥ . لعلّ الموسيقى تحلّ هذا المشكل المعقد . فبالموسيقى تتعلم النفس الايقاع والاتساق وينشأ فيها ميل الى العدل لانه « يستطيع من كان ذا نفس متسقة ان يكون متعدياً » . ان الموسيقى تهذب الاخلاق ولذلك تجد لها اثرًا كبيراً في تعيين الاحوال الاجتماعية والسياسية . ثم يتناول افلاطون اثر الموسيقى في الصحة على منوال مذهب القائلين « بالشفاء بالاستهواء » وينتقل الى تعليل الاحلام على منوال فلسفة فرويد — اي ان مصدرها هو رغبات النفس المكبوتة . ففي كل منا حتى في الرجال الصالحين تكمن طبيعة الوحش البرّي وتظهر في اثناء النوم (٥٧٢)

فالموسيقى والايقاع يحبوان النفس والجسد صحة واتساقاً . ولكن التماذي في الموسيقى كالتماذي في الالعب الرياضية يفسد النفس . لان هذا يجعل الرياضي كالوحش وذلك (اي الموسيقى) يُلينه ويضعفه (٤١٠) فيجب الجمع بين الاثنين ولذلك من تجاوز الفتى السادسة عشرة يجب ان يقلع عن اتفاق وقته في تعلم الموسيقى

وهو لا يقصد بالموسيقى الانعام فقط بل عرض الموضوعات التي لا يفهمها الفتى في قالب يستهوي كالقالب الشعري مثلاً . وحتى هذه « القوالب » يجب ان لا يرغم على حفظها لان افلاطون يرى ما يراه ديوي وغيره من فلاسفة هذا العصر في طرق التعليم . انه يقول : « فيجب تلقين تلاميذنا مع الاعتناء بتلقيهم العلم بطريقة غير اجبارية لانه

لا يجوز ان يمزج تهذيب الحرّ بشيء من ملابسات الاستعباد . ان ارغام الجسد على الاعمال الجسدية لا يحدث تأثيراً في الجسد . اما في امر العقل فلا يتأصل علم في الذاكرة اذا اتاها بطريق الارغام . فيجب اعطاء الدروس للاحداث بأسلوب الالعب والتسلية . . . ٥٣٦ هذه العقول الناشئة المتفتحة عن ازهار الفكر تفتحاً حرّاً ، وهذه الاجسام القوية

المتسقة في جمالها وقوتها هي اساس الدولة النفسي والفسولوجي . ولكن يجب ان نضيف الى هذين الاساسين اساساً اديبياً لان اعضاء المجتمع يجب ان يعيشوا عيشة وثام . على ان نفس الانسان تتنازعها الشهوات والارغبات . فكيف نقنع اصحابها بان لا يطلقوا العنان لشهواتهم . بنبايت يتقلدها المحافظون على الامن العام ؟ انها طريقة وحشية تثير النزاع وتستدعي نفقات طائلة . فاذا فعل — يقول افلاطون : يجب ان نمدّ القوانين الادبية بسلطة من وراء الطبيعة : — اي يجب ان يكون لنا دين

وهو يعتقد كل الاعتقاد ان الامة لا تكون امة قوية الا اذا كانت تؤمن بالله — ليكون قوة كونية ، او سيباً اولياً ، او اندفاعاً حيويّاً ، ولكنه اذا لم يكن محسباً في شخص فلا يستطيع ان يثير في صدور الناس رجاءً او عطفاً او تضحية . انه لا يستطيع ان يعزي القلوب الجريحة ولا ان يشجع النفوس الخائرة . وهكذا ترى افلاطون يسر بأدلتِه على منوال ادلة بسكال . مع انه سبقه بنحو النفي سنة

بعد هذا يقدم احداثنا للامتحان ، في الامور النظرية والعمومية . ويجعل الامتحان على طريقة تمكن كل ذي موهبة من اظهار موهبته ، وكل ذي ضعفٍ ضعفه على وضح النهار . فالذين يسقطون في هذا الامتحان الاول يعين لهم عمل الدولة الصناعي — الكتاب وعمال المصانع والفلاحون . والذين يجتازون هذا الامتحان الاول يقضون عشر سنون اخرى في التعليم والتمرن . ثم يتقدمون لامتحان آخر اصعب من الاول اضعافاً مضاعفة .

فالذين يسقطون فيه يعينون لمناصب مساعدتي الحكام (التنفيذ) وضباط الجيش وهنا — هنا يتعرض العمل لاعظم المخاطر . اذ كيف نقنع هؤلاء بوجوب قبول مصيرهم والاخلاق الى السكينة . ماذا يمنعهم من ان يجتمعوا مع العمال فيؤلفون دولة مصدر سلطتها الاكبر كثرة العدد ؟ هنا نعود الى الدين فنقنع هؤلاء الشبان ان تقسيم الدولة الى هذه الاقسام منزك لا يتغير — ونقص عليهم خرافة المعادن :

« كلكم اخوان في الوطنية . ولكن الاله الذي جبلكم وضع في طينة بعضكم ذهباً بكمهم من ان يكونوا حكاماً . فهؤلاء هم الاكثر احتراماً . ووضع في جبلة المساعدين فضة . وفي الفتيدين ان يكونوا زراعاً وعمالاً وضع نحاساً وحديداً . ولما كنتم متسلسلين ببعضكم من بعض فالاولاد يمثلون والديهم . على انه قد يلد الذهب فضة . والفضة ذهباً فاذا ولد الحاكم ولدأ ممزجاً معدنه بنحاس او حديد فلا يشفق والدوه عليه بل يولونه المقام الذي يثقف مع جبلة . فيقصونه الى ما هو دونهم من الطبقات . فيكون زارعاً او عاملاً . واذا ولد العمال اولاداً ، ثبت بعد الحك ان فيهم ذهباً او فضة ، وجب رفعهم الى منصة الحكم (٤١٥)

بقي لدينا عدد ضئيل من الناس اجتاز افراد الامتحان الاول والثاني . هؤلاء نعلمهم الفلسفة . والفلسفة تقوم على عمادين . الاول التفكير الصافي الصحيح — وهو علم ما وراء الطبيعة . والثاني الحكمة في الحكم — وهو السياسة . ولتحقيق الغرضين يجب ان يتعلم المذهب افلاطون في الصور والحقائق وهذا المذهب الذي يفيض عليه افلاطون انواراً من شعره وحكمته ، كالتيه لابن هذا العصر يدخل فيه ولا يعرف ان يخرج منه . ولا بد انه كان كوراً يتمحن فيه الطامحون الى مناصب الاحكام

وبعد ما يقضون خمس سنوات يدرسون هذه الفلسفة ، يتعلمون كيف يميزون الحقائق وراء الصور وبعد ما يقضون خمس سنوات اخرى يتعلمون تطبيق هذا المذهب على شؤون الناس ، اي بعد ان يقضوا خمساً وثلاثين سنة يستعدون هذا الاستعداد العظيم نقول ولا شك انهم صاروا جديرين بأن يكونوا الملوك الفلاسفة الذين نطمع بهم

ولكن افلاطون لا يكتفي بذلك . ان تعليمهم في نظره لم يكمل بعد . لان تعليمهم كانت قلب عليه حتى الآن الصبغة النظرية . فلينزّلوا من قمم الفلسفة الى ظلمات الكهف — الى عالم الناس والاشياء . فان النظريات والمذاهب العامة لا تجدي نفعاً اذا لم يتمحن في عالم «الواقع» فيجب ان يخوضوا معمعة الحياة يتنافسون مع التجار والصناع ، ويصطدمون برجال الحيلة والدهاء — وفي ميدان هذا النزاع يتعلمون من كتاب الحياة المفتوح امامهم . قد يؤدي

الكفاح اصابعهم، وقد تجرح حقائق الحياة بعض مذاهبهم الفلسفية . ولكن لابد ان يتعلموا ان يكسبوا خبرهم بعرق جبينهم . هنا يقضون خمس عشرة سنة ، هي الحكبة الاخير فيحصل بعضهم ويفوز البعض الآخر . فالفائزون يكونون قد بلغوا الخمسين — وقد هذبهم السن والاختبار وخفض من كبريائهم النظرية خوض معمعة الحياة فيخرجون وقد تحملوا بالحكمة الناشئة عن التقاليد والخبرة والتهديب والتأمل والنزاع في ميدان الحياة — هؤلاء هم غابنا المنشودة — حكام الدولة المثلى

✽ الحل السياسي او نظام الجمهورية ✽ ومن غير ان نعلم الى الحددة السياسية التي يسمونها « انتخاب » يصبح هؤلاء الرجال حكام الدولة . فكل ابن من ابناها انقش امامه الميدان ليلبغ القمة العليا . فالذين خاضوا المعامات وخرجوا منه سالمين يحقق لهم ان يتقدموا زمام السلطان من غير ان يكون لآخوانهم في طبقات الشعب الاخرى رأي في ذلك فهل هذه هي الارستقراطية ؟ ولماذا نخاف التلفظ بهذه اللفظة ، اذا كانت الحقيقة التي تتم عليها صالحة ومفيدة ؟ اتنا نريد ان يحكمنا افضل الافضل . وهذا هو معنى الارستقراطية . على انها في عرف العصر الحاضر وراثية وهذا ما نخافه فيها . فليعلم القارئ ان ارستقراطية افلاطون ليست كذلك . حتى ليصح ان ندعوها ارستقراطية ديمقراطية . لان الشعب في جمهوريته لا يختار — كما يحدث في بعض البلدان الآن — اهون الشرين من رجلين مرشحين للرئاسة مثلاً — بل يكون كل منهم مرشحاً والزمن هو الذي يختار . فلا انتخاب هو انتخاب التهذيب . ومن يجري في نظام افلاطون التهذيبي الى غايته من غير ان يسقط في الطريق يصبح بحكم الطبع حاكماً وفيلسوفاً في آن واحد . انك لست تجد في هذا النظام طبقة تمتاز على طبقة من هذا القليل فلا المنصب ولا الثروة ولا الاميازات تغني في هذا الميدان . وصاحب الموهبة لا يطمس موهبته الفقر ولا ضعف النفوذ . فان الحاكم يبدأ حيث يبدأ ابن الجندي وابن التاجر وابن الفلاح وابن الاسكاف . ومجال التقدم مفتوح امام الموهبة التي هي اسمى المواهب كائناً صاحبها من كان . هذه هي ديمقراطية المدارس . ديمقراطية التعليم والتهذيب . وهي الفضعف اقل وأحكم من ديمقراطية صناديق الانتخاب يصرف هؤلاء الحكام نظرهم عن كل عمل الا عمل الحكم ، ويقفون نفوسهم على محافظة حرية الدولة فتكون هذه صناعتهم ويصدون عن كل صناعة اخرى لا علاقة لها بها . فيكونون الشارعين والمنفذين والقضاة في آن واحد . حتى القوانين المسنونة لا تربطهم بحكم من الاحكام اذا رأوا ان تغير الاحوال يقضي بتغيير القوانين . وركن حكمهم هو « المعرفة المرنة » ، ورغم تقدمهم في السن يفوزون بهذه الصفة لانهم من محبي الفلسفة

وبالفلسفة يعني افلاطون الثقافة الفعالة — الحكمة تدعمها معرفة مقتضيات الحياة العملية — ولا يقصد بالفيلسوف من يقتصر على درس ما وراء الطبيعة في عزلة عن سمع الجمهور وبصره ، وما يتنازع حياة هذا الجمهور من بواعث ورغبات وانفعالات

[اشتراكية الملك] ولكن ألا يحمل هؤلاء الحكام تيار القوة والسلطان على السطو على املاك غيرهم حين تحذمهم النفس بتوفير الثروة وتوسيع الملك ؟ ان افلاطون احترز من الوقوع في هذا فجعل الحياة اشتراكية في طبقة الحكام . واليك ما يقول :

« ١ : ان لا يمتلك احدهم عقاراً خاصاً ما دام ذلك في الامكان »

« ٢ : ولا يكون لاحدهم مخزن ويجب ان يتقاضوا من الاهلين دفعات قانونية اجرة خدمتهم ، بحيث لا يحتاجون في آخر العام ولا يستفضلون . ولتكن لهم موائد مشتركة كما في ثكنات الجنود . وان يخبروا ان الالهة ذخرت في نفوسهم ذهباً وفضة ستماوين فلا حاجة بهم الى الركاز الترابي ان نفوذ العامة فيها دخل كثير وهي مجلبة لكثير من الشرور ولكن ذهب الحكام السموي عديم الفساد . فهم وحدهم من بين كل رجال المدينة مستثنون من مسّ الفضة والذهب . فلا يدخلونهما تحت سقفهم ولا يحملونهما ولا يشربون بكؤوس صيغت منهما . وبذلك يصونون انفسهم ودولتهم . ولكنهم اذا امتلكوا اراضي وبيوتاً ومالاً وملكاً خاصاً صاروا مالكيين وزرّاعاً عوض كونهم حكاماً . فيصبحون سادة مكروهين لا حلفاء محبوبين . . . يكاد لهم ويكيدون . فيفضون الجانب الاكبر من حياتهم في هذا العراك . . . »

[شيوعية النساء] ولكن ماذا تفعل نساؤهم ؟ هل يكتفين بالصدّة عن اسباب الرفاهية والزّف ؟ فيجيبك افلاطون « لا يكون للحكام نساء » . فاشتركيتم — او شيوعيتم — يجب ان تتناول النساء ايضاً . لانه يجب ان يتحرروا من حب الذات ومن حب الاسرة . ويجب ان لا تنحصر مطالبهم في تحصيل الرزق كما يفعل رب البيت ويجب ان يقفوا حياتهم على المجتمع لا على المرأة . « يجب ان تكون النساء بلا استثناء ازواجاً مشاعاً لا ولك الحكام . فلا يخص احدهم نفسه باحداهن . وكذلك اولادهم يكونون مشاعاً فلا يعرف والد ولده ولا ولد والده . . . » وحال ولادة الاطفال يتسلمهم موظفون مختصون بهذا الغرض . فيحمل الموظفون اولاد الوالدين الممتازين « الى المراضع العامة . . » وتعني نساء كل الحكام باولاد كل الحكام من غير فرق . وهكذا ينشأ الاولاد اخوة بالحق . فيكون كل ولد اخاً لكل ولد آخر . وهذه الشيوعية خاصة بطبقة الحكام فقط

[مساواة النساء بالرجال] ولكن من اين نأتي هؤلاء النساء ؟ لاشك ان بعض

الحكام يخطبون ودد بعض النساء من طبقات العمال ولكن غيرهن يصبحن من طبقة الحكم لانهن يجتزن الامتحانات التي تقدم ذكرها مع الرجال، اذا لا يغرب عن باننا ان ميدان التعليم في جمهورية افلاطون مفتوح للجميع — لا بناء الجنس ولا بناء كل الطبقات على السواء — على مصراعيه وحين يعترض غلوكون قائلاً ان قبول النساء في المناصب العامة (بعد اجتيازهن الامتحانات) يناقض مبدأ توزيع الاعمال الذي سبق لافلاطون فسطه، يجيبه هذا ان تقسيم الاعمال يجب ان يبنى « على الميل الطبيعي والمقدرة الخاصة لا على الجنس ». فاذا ابدت المرأة مقدرة في الادارة السياسية فلتحكم واذا اثبت الرجل انه لا يستطيع ان يعمل عملاً افضل من غسل الصحون فليمنع عن كل عمل الا غسل الصحون ! على ان افلاطون احكم من ان يرضى بان تكون المزاوجة عملاً لا رقابة عليه . لانه يعرف من درس الحيوانات ان التاصيل له اكبر اثر في انتاج الصفات العالية التي يتوخاها اصحابها . لذلك يقول بتطبيق هذا المبدأ على الناس . وهذا هو مذهب اليوجينية لان التعليم في رأيه لا يكفي بل يجب ان يكون الفتى من اصل اصيل . وان يكون من ارومة متينة العقل والجسم . فالتعليم يجب ان يبدأ قبل الولادة — اي بانتخاب الزوجين ولذلك لا يسمع لرجل ولا امرأة ان يعقبا الا اذا كانا متمتعين بصحة جيدة . وكل امرأة يجب ان تبرز شهادة قبل زواجها . ما اقل الحكومات التي تحتم ذلك الان ! والرجال لا يحق لهم ان يعقبوا الا اذا كانت اعمارهم تتراوح بين الثلاثين والخامسة والخمسين والنساء متى كن بين العشرين والاربعين . والمزاوجة قبل هذين الحدين وبعدهما في الرجال وفي النساء يجب ان تكون من غير عقب . واذا حملت المرأة فيجب ان تجهض او ان لا يرى وليدها النور (٤٦١) كذلك يمنع الزواج بين الاقارب ويجب ان « نكثر من تزويج افضل الرجال بافضل النساء وان نقل من تزويج ادنياء الرجال بمثلاتهم من النساء (٤٦٠)

وبعهد في الذب عن حياض الدولة الى طبقة متوسطة بين العمال والحكام هي طبقة الجند . ولكن يجب ان نحترز من الاسباب التي تؤدي الى الحرب واهمها زيادة السكان (تحديد النسل) . وثانيها التجارة الخارجية والمنازعات التي تثيرها (كأن افلاطون ابن القرن التاسع عشر وابن القرن العشرين) . وهكذا نرى ان بناء الدولة السياسي هرمي الشكل اعلاه طبقة قليلة من الرجال والنساء ، هي طبقة الحكم يحميها ويدافع عنها فريق الجند . والقاعدة هي طبقة العمال والصناع والتجار . وافرادها يحق لهم ان يمتلكوا املاكاً خاصاً وان يكون لهم ازواج وأسر . ولكن الحكام يضبطون سير الصناعة والتجارة حتى يمنعوا الهادي في الثروة والهادي في الفاقة وقد يمنعون الربا كما ابان افلاطون في غير مكان من محاوراته

﴿الحل الادبي﴾ اما وقد ايننا على تحليل الاستطراد السياسي فلنرجع الى المسألة الادبية التي بني عليها الكتاب : ما هي العدالة ؟

يرى افلاطون ان العدالة في الدولة هي ان يلزم كل فرد العمل الذي يجيده وان يتناول منها قدر ما يعطيه . فالرجل العادل في الدولة هو الرجل الذي ينزل في منصبه المدلة ، وفيه يذل وسعة ليعطي الدولة قدر ما يأخذ منها . ان دولة كهذه هي بالحق جماعة متسقة اتساقاً موسيقياً لان كل عنصر من عناصرها يجب ان يكون في مكانه يقوم بعمله كما يقوم الموسيقي بعمله في الجوق اما اذا خرج الناس كل من مكانه الخاص به ، فاصبح الجندي حاكماً والعامل جندياً تصدعت اركان الدولة وتفككت عراها وفسد قوامها وانحالت وقضي عليها . فالعدالة هي التعاون الفعال

والعدالة في الفرد هي التعاون الفعال — على المنوال المتقدم — بين العناصر المختلفة التي تتألف منها طبيعة الانسان — فكل انسان عالم من الرغبات والشهوات والآراء والعواطف . فاذا اتسقت هذه الظواهر النفسية وتعاونت ظهر صاحبها رجلاً حكيماً عادلاً . واذا اختل التوازن بينها وسيطرت العاطفة على سائر القوى او نزل منها العقل مجرداً منزل الملك المستبد تصدعت اركان الشخصية وسرى اليها الفساد . فالعدالة هي النظام والجمال في النفس . انها للنفس بمقام الصحة للجسد

وهكذا يرد افلاطون رداً ابدئياً على تراسيماخس ونيثشه واتباعهما . العدالة ليست القوة مجردة . وانما هي القوة المتسقة . العدالة ليست حق الاقوى ولكنها تعاون كل الاجزاء تعاوناً فعالاً متسقاً على ما فيه خير الكل

الجمهورية — كما اثبت التاريخ — هي اولى المحاولات التي حاولها عقل بشري ليخلق دولة مثلى ، توضع في عالم الفكر والسياسة ، مع البارثون في عالم الفن . فالكتاب كله أبلغ مثل على معنى العدالة حسب مذهب افلاطون — انه قطعة من الفن متسقة الاجزاء كأنها لحن موسيقي خرج من ايدي اربابه — فن مقدمتها الى آخر سطر فيها يتبع الرأي الرأي ويأخذ الدليل السابق بعنق الدليل اللاحق ، وذلك في دقة واتقان ومنطق وجمال انك لا تستطيع ان تحذف جزءاً منها من غير ان تفقدها جانباً من كامل روعها . لان افلاطون يكاد يكون الوحيد بين الفلاسفة الذي جمع بين الفلسفة والفن وهذا هو سر عظمته الخالدة المتجددة على كرر الايام

فؤاد صروف

القاهرة ٧ أغسطس ١٩٢٩



السر ادون راي لانكستر

(١٨٤٧ — ١٩٢٩)

خليفة هكسلي — بطل المذهب الدارويني — رسول : العلم قوة

توفي في الاسبوع الثالث من شهر اغسطس الماضي عالم انكليزي من اعظم علماء الحيوان في هذا العصر وند من انداد العلماء العظام الذي ظهروا في الثلث الاخير من القرن الماضي كالسر تشارلس ليل والسر دافيد بروستر وهكسلي وتندل واوين وفرنكلند وستوكس وغيرهم. عالم اتخذ مملكة الحيوان ميداناً لبحثه فلم يصوّب اشعة فكره الى موضوع من موضوعاتها الا غمره بالنور وكشف فيه عن حقائق لم تتجلى لغيره من قبل. ان مكشفاتهِ في عالمي البكتيريا والبروتوزوى (ادنى انواع الاحياء من نبات وحيوان) جعلت اساساً بني عليه جانب من الصرح العلمي المجيد . ومباحثهُ في علم الاجنة وبراعته في وصف الحيوانات وتعيين مراتبها كانت مرحلة ارتقاء صحيح في تاريخ هذين العلمين . اضاف الى ذلك انه قد انقضى عليه نصف قرن وهو اشد انصار المذهب الدارويني شيكمة وارسخهم حجة كما انه كان رسولاً بليغ البيان يذيع بين الناس ان العلم قوة لا غنى عنه لامة في هذا العصر وُلد المترجم في لندن في ١٥ مايو سنة ١٨٤٧ وكان ابوه الدكتور ادون لانكستر كاتباً مجيداً اشتهر بكتاباتهِ العلمية . فنشأ الفتى في بيت علم وفضل . وتلقى العلم في مدرسة سانت پول ثم في كلية دونغ بكبردج في كلية كرينست با كسفرد . فأظهر ميلاً الى العلوم البيولوجية ونبوغاً فيها . وكانت باكورة مكشفاتهِ العنثورية على اول حيوان طفيلي عُثر عليه في الكريات الحمراء في دم الانسان . كان ذلك سنة ١٨٧١ وهو في الرابعة والعشرين من عمره . فبني على هذا الاكتشاف البديع كثير من المباحث الطبية النظرية والعملية . وأشهر الامثلة على ذلك الكشف عن الحيويينات التي تسبب الحمى الملارية . فهي طفيليان تتصل بكريات الدم الحمراء وتتكاثر فيها . فذاعت شهرته العلمية في الحافقين ودعته الكلبان والجامعات للتدريس فيها فشغل مناصب تعليمية مختلفة في لندن وادنبرج واكسفرد . وظل استاذاً للحيوان وتشريح المقابلة في كلية الجامعة بلندن من سنة ١٨٧٤ الى ١٨٩٠ ثم شغل منصب استاذ تشريح المقابلة في جامعة اكسفرد سنة ١٨٩١ — ١٨٩٨ وبعدها عين مديراً لمتحف التاريخ الطبيعي بسوث كنسنتجتون بلندن وظل متقلداً ادارته الى سنة



مقتطفات أكتوبر ١٩٢٥
العام السابعة ٢٢٥

السردون داي لانكستر
١٩٢٥-١٩٤٧

١٩٠٧ فازدھر المتحف في عهدہ واتسع نطاقه حتى صار يحسب من ايجاد المعاهد العلمية في انكلترا. كذلك ظل سنتين استاذاً للفسيولوجيا وتشريح المقابلة في المعهد الملكي بلندن (١٨٩٨ — ١٩٠٠). وانتخب سنة ١٩٠٦ رئيساً لمجمع تقدم العلوم البريطاني الذي اجتمع في يورك فخطب فيه خطبة الرأسة واختار موضوعاً لها « العلم في ربع قرن بسط في مطالعها ما يمكن ان تحسبه خلاصة فلسفته العلمية. قال :

« اذا اردنا ان نراجع مقدار تقدم العلوم في الخمس والعشرين السنة الماضية وجب علينا على ما اظن ان نميز بين نوعين من التقدم. وهذان النوعان كانا نصب عيون الذين انشأوا هذا المجمع. لقد ألف فرنسيس باكون كتاباً سماه تقدم العلم بحث فيه عن الاساليب التي تتقدم بها المعارف وعن كيفية جعل المعارف مفيدة لنوع الانسان ولارتقاء العمران حتى يهتم بها جمهور الناس كما يهتم بها رجال العلم انفسهم... ولذلك اذا اردنا ان نراجع مقدار تقدم العلوم في الخمس والعشرين السنة الماضية وجب ان لا تقتصر على ذكر الحقائق التي كشفت حديثاً والآراء والتصورات التي شاعت بل ان نسأل ايضاً عن التقدم الذي تقدمه العلم في كونه صار من المواضيع التي يشتغل بها الناس بنوع عام. فهل عندنا ما يدل على زيادة تأثير العلم في معيشة السكان وفي سياسة البلاد. وهل نحن مهتمون بما يلزم لترقية العلوم حسبما تستدعيه احوال الزمان وباستخدام الرجال الاكفاء الذين تميزوا على المباحث العلمية لكي تنفع بهم البلاد ؟ »

ولم تحل اعماله الرسمية ومباحثه العلمية الكثيرة بينه وبين القلم. فقد كان كاتباً علمياً جيداً يصف الحقائق العلمية وصفاً يقر بها الى الازهان من غير ان يتهاون في دقة التعبير او يجحد عن النهج العلمي الصحيح. انشأ سنة ١٨٦٩ اي لما كان في الثانية والعشرين من عمره «مجلة العلم الميكروسكوبي» وقام باعبار تحريرها. وظل يكتب الى اواخر ايامه فصلاً علمياً اسبوعياً في جريدة الديلي تلغراف موضوعه العام « العلم من كرسي مريح » وقد جمعت اكثر هذه الفصول في كتابين بهذا العنوان وفيهما يقع الطالب على رسائل طريفة في موضوعات علمية لا يحيط بها ولا يفهمها الا المتفرغ للعلم المتعمق في نواحيه المختلفة. هذا الى صفاء في الفكر وبلاغة في التعبير. وقد عني عناية خاصة بالوقوف على مذكرات هكسلي وطبعها ونشرها وبتفصيل آراء صديقه متشنيكوف. ومن اشهر كتبه « العلم والتعليم ». « كبار الاشياء وصفارها ». « اسرار الارض والبحر ». « تسلييات طبيعي » : وغيرها. وقد اشهر خطيباً علمياً بسلسلة من المحاضرات القاها على جمهور من الاحداث موضوعها « الحيوانات المنقرضة »



كيف تتصل لندن بأكبر
مدن العالم اتصالاً تلفونيا

المشهر الاول

في مكتب تحرير التيمس بلندن في يوم الجمعة ٧ يناير ١٩٢٧

جلس محرر التيمس في مكتبه بلندن واذا جرس التلفون يقرع في نحو الساعة الاولى بعد الظهر والدقيقة الخمسين . فرفع السماعة فسمع صوتاً يقول : انا ادولف اوكن صاحب جريدة التيمس النيويوركية . وكان المستر اوكن جالساً في مكتبه بنيويورك على نحو ثلاثة آلاف من الاميال وامامه صورة محرر التيمس اللندنية لكي يرى الشخص الذي يخاطبه . وبعد ما تبادل عبارات التحية والمجاملة المألوفة وصف صاحب التيمس النيويوركية ما في الولايات المتحدة الاميركية من ميل في الرأي العام الى اعادة النظر في مسألة ديون الحلفاء لايركا . ثم وصف استنباطاً جديداً دعي بالصور المتحركة الناطقة فكانت هذه الرسالة وعدد كلماتها الانكليزية ٢٣٠ كلمة احدى الرسائل الصحافية الاولى التي ارسلت بالتلفون اللاسلكي بين لندن ونيويورك . وقد ردّ عليها محرر التيمس اللندنية بكلمة تناسب المقام وكانت ادارة التيمس اللندنية قد ابرقت الى مكاتبها النيويوركية لكي بعد رسالة تحتوي على نحو ٦٠٠ كلمة يملأها على احدى الكاتبات بالتلفون اللاسلكي لتنشر في الجريدة وفي الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والاربعين قرع جرس التلفون في ادارة التيمس اللندنية فاذا مراسلها في نيويورك يخاطبها فاملى على احدى كاتباتها رسالتين مجموع كلماتها ٥٦٧ كلمة في ست دقائق وهو الوقت المحدد للمخاطبة . وبعد ما اتمّ املاء الرسالتين سأل رؤساءه في لندن هل سمعوا كل كلمة فاه بها ودونها او يلزم ان يرسل الرسالتين بالتلغراف حتى تصححا فقالوا « سمعنا كل كلمة على ما يرام » وانتهت المخاطبة . وفي اليوم نفسه جرت محادثة تلفونية بين صاحب جريدة « الورلد » النيويوركية ومحرر « الدبلي اكسبرس » الانكليزية . وبين مدير شركة التلغرافات والتلفونات الاميركية ومدير مصلحة البريد الانكليزية .



لندن والعمل

ارتقاء الخطابات الاسلامكية
بين عواصم الدنيا وغرائبها

المشهد الثاني

في مرسى ليكهرست بالولايات المتحدة في ١٥ أكتوبر ١٩٢٨

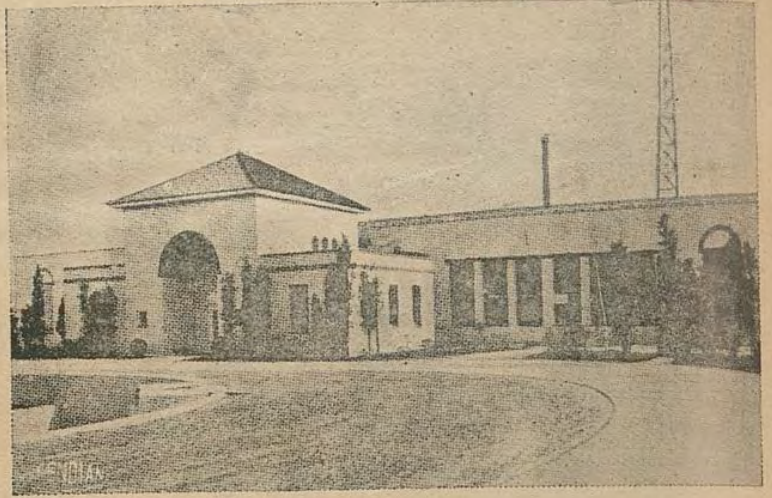
البلون غراف زبلين محوّم فوق مرسى ليكهرست بعد ما اجتاز المسافة بين المانيا والولايات المتحدة في احوال تسترعي الانظار والاسماع وبعد ما لقي في طريقه من العواصف والخطرات ما التي في النفوس القلق والروع وبعد ما ابدى ربّانهُ وابن ربّانهِ وملاحوه من البراعة والجرأة ما ينزل من تاريخ الطيران في صفحة المجد . وعلى الارض جمهور من المتفرجين يحصى بعشرات الالوف انقضى عليهم ساعات وهم ينتظرون قدوم ملك الفضاء وقد عيل صبرهم فجعلوا يتدافعون حتى تحطوا الحدود التي عينها البوليس الاميركي . ولما اقترب البلون من الارض اندفع الجمهور كالتيار الجارف حتى كاد رجال الحفظ يعجزون عن صدّه عن اذية البلون . واذا الجمهور كذلك انسل منه شابٌ وعدا الى دكان قريب من المطير . لان الثانية في نظره كانت بمثابة دهر وهو مكاتب صحافي ديدنه السبق في نقل الانباء . ودخل الى غرفة من غرف التلفون العمومي يشرف من كوتتها على المطير . وطلب باللغة الانكليزية شاكرًا لربه المامه بها ، ان يتصل في الحال بمكتب الخطابات الطويلة المدى . فلما اتصل به طلب ان يخاطب رقم S.N. ٦٨ برلين . وما انقضت عليه دقائق ست حتى سمع صوت زميل قديم له يُخاطبه من مكتب جرائد اولشتاين في برلين فهزه الدهش والاعجاب حتى كاد ينسى غرض المحادثة . ولما افاق من حيرته ودهشه املى على زميله وصفاً مسهباً لوصول الغراف زبلين الى ليكهرست ونزوله فيها سالماً والاستقبال العظيم الذي كان معداً له . ومن مكتب شركة اولشتاين في برلين وزعت هذه الاخبار على اشهر مدن المانيا ولم تلبث ان ظهرت طبعا خاصة من صحفها تصف باسهاب حادثاً تمّ في اميركا قبل ربع ساعة وصفاً نقلت كل كلمة من كتابته شفاهاً وكان الحديث ينقل والبلون لا يزال آخذاً في النزول الى الارض

ومن بدري فقد يتاح لنا في يوم من ايام السنة القادمة او التي تليها ان نجلس في مكتبتنا في دارالمقتطف والمقطم ونسك سماءة التلفون فنطلب لندن ومنها منشستر او ادنبرج او نيويورك ونحدث الى من نريد ان نحدث اليه فيها كأننا نخاطب القدس او الاسكندرية او الزيتون. ذلك لان الحكومة المصرية قد اتفقت مع شركة مركوني والشركات المتحدة بها ان تنشئ محطة لاسلكية في مصر تمكننا من مخاطبة لندن بالتلفون. لذلك رأينا ان نبسط للقراء مبادئ التلفون اللاسلكي المستعمل الآن بين اميركا واوروبا بل قل بين كل بلدان العالم. لانه ما كاد يحذف المداد الذي نكتب به هذه الكلمات حتى جاءتنا الانباء البرقية ان المحادثات التلفونية اللاسلكية قد فتحت بين لندن واستراليا فصار الرجل الجالس في داره في اية بلدة من بلدان انكلترا يستطيع ان يخاطب ابنه او ابن عمه او صديقه او زميله في سديني او ملبورن على بعد عشرة آلاف ميل او اكثر. هذا هو سحر العلم والاستنباط!

بين اميركا واوروبا

افتتح الخط التلفوني اللاسلكي بين لندن ونيويورك في ٧ يناير سنة ١٩٢٧ وكان الناس لا يزالون في ريبة من صدق ما يدعيه المستنبطون حاسبين أن المحادثات التلفونية اللاسلكية سحر الآلهة لا يكشف عن سره لا بناء الارض. أما القائمون بالامر من رؤساء شركة التلفون والتلفون الاميركية ومديري مصلحة البريد الانكليزي فكانوا يثقون كل الثقة بالنتائج التي اسفرت عنها مباحث العلماء والمهندسين وحسبوا ان غرابة الامر لا بد أن تبعث الناس على الدهش اولاً ثم على الاقبال على استعمال هذه الوسيلة الجديدة من وسائل المحادثات

وقد صحح فآلهم. فان ٢٩٠٠ شخص في اميركا استعملوا هذا التلفون في السنة الاولى من انشائه. ثم اخذ العدد يزداد ازدياداً مطرداً حمل القائمين بالمره على تخفيض الاجور. فقد كان اجرة المحاطبة التي تستغرق ثلاث دقائق ١٥ جنهاً مصرياً في البدء فخفضت الى تسعة جنيهات. كذلك كان النجاح الذي صادفوه في هذا الضرب من التخاطب باعثاً لهم على توسيع نطاقه. فبعد ما كانت المحادثات تجري بين نيويورك ولندن فقط اتسع نطاقها حتى صارت تشمل كل مدن الولايات المتحدة الاميركية وكندا والمكسيك وكوبا من جهة وكل مدن انكلترا الكبيرة وعواصم اوروبا من جهة اخرى. وصار التخاطب بين شيكاغو وبرلين او كوبنهاغن او فيينا أو باريس أمراً مألوفاً. وقراء المقتطف يذكرون أن الطيار لندبرغ تخاطب مع امه بعيد وصوله الى باريس طائراً من نيويورك وكانت هي في درويت مدينة تبعد عن نيويورك نحو الف ميل. وقد وصف مدير التلفون اللاسلكي في



محطة ارسال المحادثات التليفونية اللاسلكية قرب نيويورك

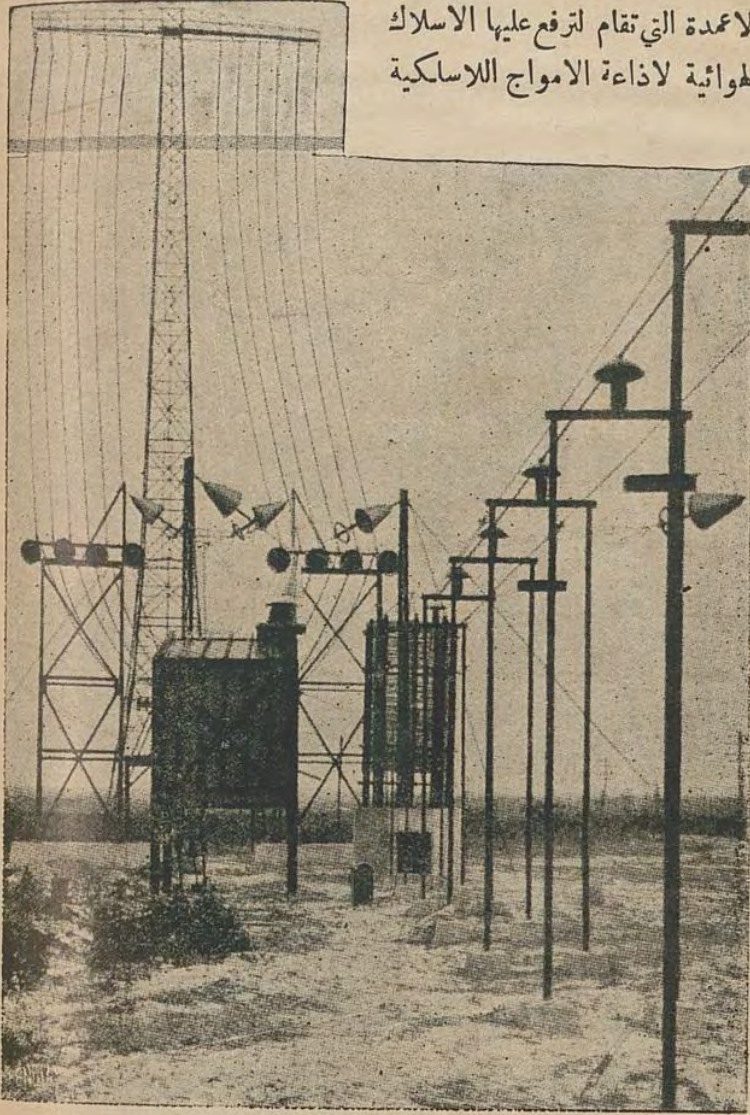


مركز (ستراي) التليفون اللاسلكي في مكتب المحادثات البعيدة بلندن

مقتطف اكتوبر ١٩٢٩

لمام الصفحة ٢٧٢

الاعمدة التي تقام لترفع عليها الاسلاك
الهوائية لاذاعة الامواج اللاسلكية



المحطة اللاسلكية المرسلة في رُكي بوينت قرب نيويورك

مقتطف اكتوبر ١٩٢٩

امام الصفحة ٢٧٠



شركة التلغراف الأميركية هذا الاتساع فقال : ان في الولايات المتحدة الاميركية نحو تسعة عشر مليوناً من التلغونات وكل واحد منها صار يستطيع ان يتصل بأي تلفون من تلفونات العالم القديم وعددها نحو ثمانية وعشرين مليوناً !

وقد اتسع هذا النطاق حديثاً حتى تشمل القسم الغربي من شمال افريقية وقريةياً يشمل مصر ومدن اميركا الجنوبية كما عمّ منذ عهد قريب مدن استراليا

ايدرك القارئ ما يعني كل هذا التقدم ؟ انك تستطيع ان تتخاطب وانت جالس في مكتبك أو دارك أو ناديك مع من شئت سواء كان في لندن بانكلترا أو بونس ايرس في الارجنطين أو فينا بالهنا أو استوكهولم بالسويج أو سدني باستراليا أو تونس بالجزائر . وكل هذه المخاطبات على جانب عظيم من السكتمان لان التلفون اللاسلكي والسلكي يشتركان في ارسالها واذاعتها واستقبالها . فاذا التقطت الامواج الاثرية سارت على سلك خاص يوصل الكلام الى سماعتك الخاصة وللسكتمان جهاز خاص لا يزال امره سرّاً مكتوماً

كيف تجري المخاطبات

هبك في شيكاغو وتريد ان تخاطب صديقاً أو عميلاً لك في فندق سافوي بلندن . فتناول سماعة تلفونك العادي وتطالب من عاملة التلفون التي تحييك ان تصلك بالمكتب الخاص بالمخاطبات البعيدة فتقول للعاملة في هذا المكتب أريد أن اخاطب فلاناً في فندق سافوي بلندن . فتفتح الطريق التلفوني أمامك الى نيويورك كما تفتح الطريق أمامك عاملة التلفون بمصر حين تخاطب الاسكندرية أو بيت المقدس . وحالما تعلم عاملة التلفون في نيويورك أنك نود أن تخاطب لندن تحول صوتك الى القسم المختص بذلك في مكتب نيويورك ومنه ينتقل صوتك على اسلاك التلفون السلكي مسافة ٧٢ ميلاً الى المحطة اللاسلكية القائمة في مكان يدعى « رُكي بوينت » على مقربة من مدينة نيويورك . في هذه المحطة يقوى الصوت ويتحوّل الى أمواج لاسلكية قوية بواسطة أنابيب مفرغة معدّة لذلك . ثم يبعث في الاسلاك الهوائية التي يبلغ طولها ميلان ومنها يذاع في الجوّ امواجاً لاسلكية تجتاز الفضاء بسرعة النور . أي بسرعة ١٨٦ الف ميل في الساعة . على ان هذه الامواج تضعف كثيراً في اجتيازها الفضاء بين اميركا وانكلترا ولكن ما يبقى منها تلتقطه الاسلاك الهوائية في محطة الاستقبال الانكليزية القائمة في بلدة كوبار بشمال اسكتلندا وهناك تقوى وتحول الامواج اللاسلكية الى تيار تلفوني سلكي عادي وترسل على الاسلاك العادية الى لندن . ومثل كل محادثة تلفونية عادية ينتقل الصوت الى صديقك في فندق سافوي

ولكن حين يردّ عليك صديقك لا يتبع صوته الطريق التي جاء عليها صوتك. ذلك انه متى ردّ عليك ينتقل صوته الى السنترال اللندني ومنه لا يرجع الى كوپار حيث النقط صوتك بل يذهب على سلك تلفوني عادي الى محطة قريبة من لندن تدعى محطة رجي ومنها يذاع امواجاً لاسلكية كما اذيع صوت صديقك من محطة « ركي بوينت » وحين يصل صوتك الى اميركا لا تلتقطه محطة « ركي بوينت » بل تلتقطه محطة أخرى في بلدة هولتن بولاية ماين وهناك تقوى امواجه وتبعث الى نيويورك على سلك تلفوني طوله نحو ٦٠٠ ميل ومن نيويورك تنقل الى شيكاغو مثل كل محادثة تلفونية بعيدة المدى فلدنيا اذاً أربع محطات لاسلكية الاولى محطة ركي بوينت ومنها يرسل كلام الاميركي ومحطة كوپار باسكتلندا التي تلتقط هذا الكلام . ثم هناك محطة رجي قرب لندن التي ترسل كلام المحدث من فندق سافوي الى اميركا فتلتقطه المحطة الاميركية التي في هولتن بمان والغريب العجيب في أمر هذه المحطات كلها انها بلغت من الدقة والانتظام والسرعة في اذاعة الكلام واستقباله حتى لتشعر وأنت تحدث شخصاً ببعد عنك الوف الاميال وتفصله عنك بحار وقارات كأنه على مقربة منك يحدثك من غرفة مجاورة

غرائب المحادثات

كان عدد الذين استعملوا التلفون اللاسلكي بين لندن ونيويورك يوم افتتاحه الاول ٣٥ شخصاً . ولكن هذا العدد قد تضاعف الآن منذ اتسع نطاق المحادثات حتى صار يشمل اشهر مدن اوربا واميركا ومنذ خفضت اجورها واستبدلت طريقة لكتابتها بمتوسط عدد الذين يستعملون هذه الطريقة من طرق المحادثات كل يوم سبعون شخصاً ستون في المائة منهم يستعملونها لاغراض تجارية ومالية واربعون في المائة لاغراض اجتماعية . واول صفقة تجارية عقدت بالتلفون اللاسلكي كانت بين شركة انكليزية وشركة اميركية فاشترت الاولى من الثانية مقداراً كبيراً من الحشب

ولما ثبت ان هذه الوسيلة الجديدة من الوسائل التي يصح الاعتماد عليها اقبل الناس عليها اقبالاً عظيماً . فعقد مجلس الادارة في احدى الشركات البريطانية جلسة اصغى فيها الى خطبة خطبها رئيسه وهو جالس بمكتب في نيويورك . وعقدت احدى شركات البترول قرضاً قدره خمسة ملايين لاجل فروعها وكانت الرسائل قد عجزت عن ازالة سوء التفاهم الذي نشأ فزاله حديث استغرق بضع دقائق . وعرف رجل بنيويورك ان صديقة له عملت لها عملية في لندن فتكلم مع احد بائعي الازهار وطلب اليه ان يرسل اليها طاقة من الورد.

واشترك المستر روزنباخ الاميركي المشهور بجمع الكتب النادرة بواسطة احد عملائه في مزاد للكتب اقيم في لندن فكان هو يكلم عميله من سريره بنيويورك وعميله يزيد على العروض ثمناً لكتاب قديم واخيراً دفع ثلاثة آلاف جنيه وفاز به . وتكلم احد ناظمي الاغاني الذائعة مع مغنٍ فاملى عليه اغنية جديدة نظمها ولحنها فدفعت اجرة الحادثة مائة وخمسين من الجنيهات . ولما شاع ان المس هلن ولز لاعبة التنس المشهورة قد عقدت خطبتها حادها احد مكاتبى الجرائد الانكليزية من لندن وكانت هي في سان فرانسيسكو فأيدت الخبر واطول محادثة تلفونية جرت بين لندن ونيويورك استغرقت خمساً وتسعين دقيقة بلغت أجرها ٢٨٥ جنيهاً ويقال ان المستر دورانت أحد كبار المثرين الاميركيين ومن اكبر المساهمين في شركة جنرال موتورز دفع في اسبوع واحد وهو مصطفى بانكلترا خمسة آلاف من الجنيهات اجرة لمحادثاته التلفونية مع نيويورك . وقد كان الغرض من هذه المحادثات الوقوف على حال السوق المالية في وول ستريت . وفي احد الايام ابتاع وهو جالس بسريره في فندق بلندن ما قيمته مليون ومائتي الف جنيه من الاسهم

وتدير هذه المحادثات عمل شاق . هب ان رجلاً في نيويورك يريد أن يحدث سيدة في لندن في الساعة السادسة مساءً بحسب وقت لندن . فعامله التلفون في نيويورك يتحدث عاملة مكتب لندن أولاً وتطلب اليها ان تثبت ان هذه السيدة مستعدة لمخاطبة هذا الرجل في الساعة المعنية فتكلم العاملة السيدة بالتلفون وتجربها بذلك . فاذا قبلت فيه . واذا تعذر عليها ذلك طلبت اليها ان تعين ميعاداً آخر وتجرب به عاملة نيويورك لترى هل هذا الميعاد يوافق المتكلم من نيويورك وهكذا . اذ لا يخفى ان نجاح هذه المحادثات لا يتم الا اذا خاطب الانسان من يريد مخاطبته . فيقع على مكنتي التلفون عناء الجمع بين المتخاطبين على بعد الدار واختلاف الساعة بسبب اختلاف خطوط الطول

وكثيراً ما تضطر عاملات التلفون ان تتعقب الشخص المطلوب تعقب رجال البوليس السري وفي ذلك تحتاج الى اوفر نصيب من طول الالانة وسرعة الحاطر

فقد حدث مرة ان طُلبت سيدة اميركية في لندن للتحدث مع سيدة اخرى من نيويورك فبحثت عاملة التلفون في الفندق الذي تقيم فيه هذه السيدة فقبل لها انها ذهبت بتناع ما يلزم لها من شارع ريجنت . فالتصت بكل مخزن من مخازن ريجنت ستريت المشهورة تسأل عنها حتى عثرت عليها وكانت تهم يدفع النقود ثمناً لما ابتاعته فانتزعتها من مكانها وجعلتها تكلم نيويورك من غرفة تلفون في المحل عينه

تلك الرسالة ١٨ سنة فاقوم معرض فلادلفيا سنة ١٨٧٨ فعرض فيه الكسندر غرام بل تلفونه الاول وتكلم به مع السروليم طمس (لورد كلثن بعدئذ) على مسافة قصيرة فدهش السروليم لهذا الاستنباط العجيب بعد ما مر به اولاً مر الكرام. ولكن السلك التلغرافي والتلفون العادي اجسام وترى وتلمس فما اعظم الدهشة التي تتولى الناس الآن وهم يخاطبون على مسافة آلاف من الاميال من غير اسلاك في البحر او على اعمدة في الهواء. بل وفي الامكان

الآن ان يتحدث الرجل المسافر على باخرة في عرض البحر او المظلي منطاداً حلقاً في الفضاء الى رجل آخر جالس في مكتبته في احدى المدن. وأدهى من ذلك ان الكومندر برد



الرائد القطبي تمكن من ان يحلق بطائرته فوق الاصقاع القطبية وفيما هو حلق بها تمكن من مخاطبة نيويورك مخاطبة تليفونية وهي على نحو ١٠ آلاف ميل منه. كل ذلك والاصوات تسمع واضحة وبراها جلية كل الجلاء. لقد اصبح انتقال الصوت سريعاً كالانتقال النور وتفوقت الحقيقة على بنان الخيال. كنا بالامس نستعمل الاشارات للتفاهم وهانحن اليوم نخاطب وغداً ننظر بعضنا بعضاً وجهاً لوجه. فاذا يفصل بين الناس بعدئذ وعجائب المواصلات والمخاطبات قد جعلتهم امة واحدة !

وتعقبت عاملة اخرى رجلاً من باريس الى انفرس الى مونت كارلو الى برلين. ولما عثرت على الفندق الذي قيل لها انه يقيم فيه في برلين طلبت ان يتحدث ففعل لها انه ذهب الى مطعم كذا لتناول العشاء فعثرت عليه هناك ودعته الى التحدث مع رجل طلبه من فيلادلفيا. وطلب مرة اخرى رجل ظهر لدى البحث عنه في داره انه ذهب الى دار الاوبرا بكوفنت جاردن بلندن فبحثت عاملة التلفون عن رقم كرسية ودعته الى غرفة التلفون في دار الاوبرا نفسها

فتكلم مع شيكاغو. وطلب مرة رجل آخر فبحث عنه في داره فلم يعثر عليه وبعد البحث عنه تعقبته عاملة التلفون الى فوكستون وهو على وشك الابحار منها الى فرنسا

فتكلم مع نيويورك وماكاد ينتهي حتى كانت السفينة قد اخذت تقلع من المرفأ فعدا حتى بلغها

منذ نحو سبعين سنة نقل سلك التلغراف الذي مد في الاقيا نوس الاتلنتيكي اول رسالة تلغرافية ارسلت من اوربا الى اميركا. وكانت من الملكة فيكتوريا الى الرئيس بوكنان الاميركي وكانت كلماتها تسعين كلمة استغرق ارسالها نحو ساعة ونصف ساعة فصرح بريطان احد زعماء الاحرار البريطانيين في ذلك العهد « ان السلك التلغرافي قد قرب العالم الجديد الى العالم القديم ». وانقضى على



آلة العيش صحة وشباب

العمليات الغريبة لاعادة الشباب

ذكور الجرذان تصير اناثاً — والاناث ذكوراً — والشيوخ شباناً — والصفات الجنسية تتحول بنقل الغدد وزرعها

٢

اشهر العلماء في عملية نقل الغدد من جسم الى جسم للانتفاع بمفرزاتها في الجسم الذي تنقل اليه وتزرع فيه هو الدكتور اوجن شتيناخ النمساوي استاذ الفسيولوجيا في جامعة فينا . فقد بدأ مباحثه في صفات الحيوانات الجنسية سنة ١٨٩٤ ولا يزال الى الآن في الطليعة . وبدأ تجاربه في مفرازات الخصيتين والمبيضين سنة ١٩٠٦ ونشر كثيراً من آرائه والنتائج التي اسفرت عنها تجاربه في رسائل مختلفة ، فأثارت دهشة وعناية في مختلف البلدان وهبّت طائفة من الباحثين لاقتفاء خطواته في هذا الميدان

على ان مباحثه في البدء لقيت مقاومة شديدة مبنية على الاغراض الادبية اكثر من انبنائها على البحث العلمي . ولقد يعجب القارىء ان يرى المعتقدات الادبية تقحم في المباحث العلمية ولكن الذين اشتغلوا بالبحث في مسائل « الجنس » و « النسل » يؤيدون القول بأنها لم تزل تعضيداً — ان لم نقل انها لقيت مقاومة — من جانب الذين لا يرضون ان يروا الحقائق العلمية تززع مذاهبهم الادبية ومعتقداتهم الدينية

ولكن لما اجتمع المؤتمر الدولي الاول للباحثين في مسائل النسل سنة ١٩٢٦ في برلين وقف الاستاذ بندا — وقد كان من قبل اشد مقاومي شتيناخ شكيمه وابلغهم حجة — فصرح امام اعضاء المؤتمر قائلاً ان مباحثه المستقلة قد اقنعت بوجوب تغيير آرائه وموقفه وانه منفق كل الاتفاق مع الدكتور شتيناخ فيما يتعلق بالمبادئ الاساسية التي يذهب اليها

وتلخص مباحث شتيناخ في ان المراهقة في مظهرها الجسدي والنفسي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعناصر المفرازات الداخلية التي تفرزها الغدد الجنسية . وقد اثبتت المباحث ان من هذه العناصر ما يوجد في مفرازات غدد اخرى . على ان مفرازات الغدد الجنسية هي في المقام الاول من هذا القبيل والى القارىء وصف بعض التجارب التي تؤيد قول شتيناخ

أخذ شتيناخ ذكور جرذان صغيرة السن وخصاها ثم زرع فيها غدد الاناث الجنسية فلم تظهر في الذكور الصفات الجنسية الثانوية الخاصة بالذكور وظهرت بدلاً منها الصفات الجنسية الثانوية الخاصة بالاناث . فبدأ شكل هذه الذكور قريباً من شكل الاناث . وتغير تصرفها الجنسي فصارت تميل الى الذكور بدلاً من ان تميل الى الاناث . وفقدت جذبها للاناث فصارت الاناث تصدف عنها وتميل الى غيرها من الذكور التي لم تعالج هذه المعالجة ومن اغرب ما حدث لما انها ارضعت صغار اناث اخرى

وجرب شتيناخ تجارب في الاناث على هذا النمط فزال غدها الجنسية وزرع مكانها خصى الذكور فتحوّلت صفاتها الجنسية الثانوية وصارت شبيهة بصفات الذكور . فاصبحت تجذب الاناث بدلاً من ان تجذب الذكور وتميل الى الاناث بدلاً من ان تميل الى الذكور ثم خطأ خطوة اخرى فاخذ جرذاناً ذكوراً واناثاً وازال غدها الجنسية فلم تظهر فيها الصفات الجنسية الثانوية . ثم اخذ الغدد الجنسية من جرذان صحيحة الجسم قوية البنية وزرعها في الجرذان الخصة — الخصى في الذكور والمبايض في الاناث — فظهرت مظاهر النشاط الجنسي فيها كلها وبدت الصفات الجنسية الثانوية

بعد ذلك عدل طريقة بحثه فقال في نفسه اذا كان الهرم والضعف الناشئ عن الشيخوخة يحدثان جنباً الى جنب مع ضعف القوة الجنسية افلا يمكننا ان نزرع خصية منقولة من جرذ فتي قوي في جرذ هرم ضعيف فنعيد الى هذا نشاطه الجسدي والعقلي والجنسي ؟ وجرب تجارب كثيرة في الجرذان لكي يصل الى حكم فاصل في هذا الموضوع . وقد وقع اختياره على الجرذان لانه عرف طبائعها ولان مدى حياتها قصير لايستدعي عناية على ثلاثين شهراً فيمكنه ذلك من درس نتائج التجارب والعمليات التي يجريها في اجيال متوالية منها وفضلاً عن ذلك ان نفقات حفظها قليلة

فكانت النتائج التي اسفرت عنها هذه التجارب مما يبعث على الدهش والعجب . اخذ اثني جرذ في الشهر السادس والعشرين من عمرها اي انها كانت قد اشرفت على الحد الطبيعي لحياة الجرذان . وكان قد انقضى عليها عشرة اشهر وهي تولد جرذاناً فقدت كل ما تمتاز به الاناث من جذب الذكور اليهن وبدت عليها كل مظاهر الهرم الطبيعية . اخذها شتيناخ وزرع فيها مبيضين من اثني فتية قوية وانتظر احد عشر يوماً فاذا الذكور يقبلون عليها اقبالا غير مألوف ويخصونها بعنايتهم وبعد شهرين حملت . وفي اثناء ذلك كانت مظهرها الطبيعي قد اصابه تغير كبير فزال مظاهر الشيخوخة وحلت محلها دلائل القوة والنشاط . وبعد ما انقضت ثلاثة اشهر على هذه العملية اي وهي في السن الذي يموت فيه الجرذان

مادة ولدت بضعة جردان وهذه الولادة ظاهرة تبعث على الدهش . وزد على ذلك انها ارضعها ونمت كلها نمواً طبيعياً . وعاشت الام التي جدّد شبابها حتى بلغت الشهر السادس والثلاثين من العمر مع ان اخها في الولادة والرضاع التي لم يجدّد شبابها ماتت في الشهر الثامن والعشرين . وأعيدت التجربة في طائفة من اناث الجرذان وذكورها فأسفرت عن مثل هذه النتائج الغريبة . وبعض الذكور الذين عولجوا كذلك عاش حتى بلغ الشهر السابع والثلاثين من العمر اي ان عمره زاد ٢٥ في المائة عن متوسط عمر الجرذان من نوعه

بعد ذلك استنبط شتيناخ طريقة اخرى تمكنه من استحداث هذا التجديد في قوى الذكور من الجرذان من غير ان يزرع في الهرم منها خصيلتي ذكر فتي قوي . ذلك انه وجد انه اذا ربط قناة الحيوط المنوية التي تفرزها الخصيلتان ضعف القسم الخاص بتوليد هذه الحيوط في الخصيلتين وضمّر ونشط القسم الآخر الذي يفرز المفرزات الداخلية ونما . وقد روي هذا بالمكروسكوب . وصحب الضعف في الاول والنشاط في الثاني ظهور بوادر النشاط في القوى الجسدية والعقلية والجنسية . وبعد انقضاء بضعة اشهر ثبت بالبحث المكروسكوبي ان الخصى عادت الى حالتها الطبيعية من غير ان تحبوا آثار النشاط التي اسفرت عنها العملية . وهو يرى انه متى خبت هذه الآثار امكن اعادة العملية من جديد مثنى وثلاث . واذا صارت عملية ربط القناة لانقيد من هذا القليل لجأ الى عملية زرع الخصى المنزعة من جردان قوية . وهذه العملية يمكن اعاتها — من الوجهة النظرية — مرة بعد اخرى الى ما شاء . ولكن الجرذ لا بد ان يموت في اثناء ذلك من مرض او مصاب بحلّ به ان لم يمت موتاً طبيعياً ناشئاً عن الضعف والهرم

وقد جربت هذه التجارب في كثير من الجرذان وغيرها من الحيوانات العليا كالكلاب والماشية والحيل فأسفرت كلها عن نتائج مماثلة في اساسها لنتائج التجارب المذكورة آنفاً

ونسبت الحرب الكبرى فاغتم الجراحون هذه الفرصة السانحة لتجربة تجارب شتيناخ في الناس . ففي سنة ١٩١٥ عالج لختنشرت — وهو اشهر جراحي فينا في جراحة الاعضاء التناسلية — جندياً بالغاً من العمر تسعاً وعشرين سنة كان قد فقد كلتا خصيلتيه بشظية قبلية اصابته . فضعفت قواه الجسدية والعقلية على اثر ذلك ضعفاً بادياً فكان بليد العقل خامله وأصبح غشياً (اي فقد قوته التناسلية) وبدت آثار ذلك في شعر عارضيه وشاربيه فقلّ ولان . وسمن جسمه وتهدل . فأخذ لختنشرت وزرع فيه خصى بشرية من شاب فلم تنقص

عليه ستة اسابيع حتى عاد اليه نشاطه العقلي والجسدي وصارت تحالجه عواطف الرجال في التقرب من النساء وفاز بمقدرتهم الجنسية ولكنه ظل غير قادر على اخلاف عقب لانه فقد خصيلته — والخصية المزروعة تفرز كثيراً من المفرزات الداخلية ولكنها لا تفرز خيوطاً منوية وهي الاصل في التلقيح . واتبع لختنشرت عمليته هذه وهي الاولى من نوعها بست وعشرين عملية مماثلة لها فنجح في ٢٢ عملية منها كل النجاح . وقد دامت آثار العمليات الى الآن مع ان اقدمها تم منذ ١٤ سنة

✕ وقد فاز بمعالجة رجل يميل الى اللواط فشفاه بأخذه خصية رجل لا يميل اليه وزرعها فيه . ومع ان هذه الطريقة في معالجة اللواط لم تسفر في كل العمليات التي عملها عن النجاح ولكنها لا بد ان تسترعى انظار الباحثين من العلماء والاطباء ، بما اصابته من النجاح لانها تفوق على الاقل الطريقة المستعملة في اكثر بلدان اوربا وهي سجن المصابين بهذا الداء . فالسجن لا يشفي المصاب وكثيراً ما يفضي الى افساد المسجونين والحراس وختنشرت يؤثر زرع الخصية في عضلات البطن لا في مكانها الطبيعي . على ان الجراحين يختلفون في اختيار مكان زرعها ومع ذلك فالتأثير التي اسفرت عنها عمليات الزرع هذه متماثلة في اساسها

قد يستطع الجراح الحصول على خصية بشرية فتيّة قوية ليزرعها في رجل فقد خصيلته من اخ او ابن عمّ يجود بها ليخلص اخاه او ابن عمه . ولكن هذا نادر . على ان الكاتب الذي لخصنا عنه ما تقدم — وهو من الثقات في هذا الموضوع — لا يرى صعوبة ما في الحصول على كمية من الخصى البشرية التي تصلح لعمليات عود الشباب من المصادر الآتية (١) هناك رجال يصابون بمرض يدعى « الخصية المرتفعة » ويستلزم ازالة الخصية فبدلاً من ان تطرح الخصية التي تزال يمكن استعمالها في العمليات المذكورة (٢) ثم هناك مجرمون يعاقبون كلّ يوم قتلاً او شنقاً فلتزل خصامهم لتستعمل فيما يفيد الناس (٣) ولتزل كذلك خصى الشبان الذين يصابون باصابات تقضي عليهم في سيارة او معمل (٤) وحبّ الناس لاستئجاب السلم لا يمنعهم عن التفكير باستعمال خصى الجنود الاقوياء الذين يسقطون في ساحة الوغي لتجديد شباب الشيوخ

وفي كل ذلك يجب ان يفحص واهب الخصية كواهب الدم في عملية نقل الدم ، فحماً دقيقاً ليثبت

انه غير مصاب بالسل او الزهري او غيرها من الامراض الفتاكة التي قد تنتقل الى من يزرع فيه فيضراً من حيث اراد النفع ولا ريب في ان الناس في اجماع كاجتماعنا البشري قائم على العاطفة يتقززون من عمل كهذا. فقد كاد الكاتب يرجم مرة في مؤتمر عقد لرفع احتجاج على نقل الغدد الجنسية وزرعها اذ رفع صوته بالاحتجاج على الاحتجاج والاحتكام الى العاطفة من هذا القليل خطأ فاضح ما زلنا لا نجد اعتراضاً من الوجهة البيولوجية. ذلك انه اذا اصبحت يد السر الفرلديج بحرق خطير ووجبت معالجته بزرع قطعة من جلد رجل قوي نشيط وتقدم لذلك المستر ادغار ولس فانتا لالخاف ان يفعل ذلك بالسر الفرلديج وبصره عن مباحثه العلمية والفلسفية النفيسة الى كتابة القصص البوليسية التي برع فيها وليس. واذا تقدم كشاف الى مستشفى وجاد برطل من دمه لاعادة الحياة والنشاط الى سيدة اصبحت بالانيميا على اثر نزيف حاد فلا ننتظر ان تصبح المرأة العجوزة مبالاة الى الكشافه ميل الفتى. واذا شربنا اللبن او اكلنا الزبدة او لحم الضأن او البقر فلا نخاف ان نصبح شبينين بالضأن او البقر. وعلاوة على ذلك فالعمل الذي يقوم به ادغار ولس والكشاف عمل متمدح من الهيئة الاجتماعية. فلماذا لا يكون نقل الغدد او الانسجة الاخرى كذلك والقول بان زرع الغدد الجنسية ينقل الى الرجل الذي زرعت فيه صفات الرجل الذي جاد بها كلام لا يقوم على سند علمي

ولما كان الحصول على خصى الناس الذين في ريعان القوة والشباب متعذراً او هو صعب عند الدكتور فورونوف المعروف في هذا القطر الى استئصال الغدد الجنسية من القردة واستعمالها لهذا الغرض. فخرّب تجاربه في الغنم والماعز فأسفرت عن نتائج شبيهة بالنتائج التي اسفرت عنها تجارب شتيناخ في الجرذان مع ان الاول يعلاها بغير تعليل الثاني ثم اخذ فورونوف يستأصل خصى القردة العليا ويزرعها في الناس الذين يتقدمون للعملية ويدعي ان النتيجة شبيهة بالنتيجة التي حصل عليها لختنشرت في فينا بزرع خصى الشبان في غيرهم. ولكن الادلة المؤيدة تشير الى ان آثار هذا الزرع لا تستمر طويلاً متى كان الكائن الذي تستأصل منه الغدة والكائن الذي تزرع فيه من نوعين مختلفين. وكلما بعد المدى بينهما ضعف اثر العملية. اما المستحضرات الطبية التي تباع في السوق ويقال انها تحتوي على المفرزات الداخلية التي تفرزها الغدد الجنسية فلم تبلغ بعد — في الغالب — درجة تجعلها صالحة للاستعمال في نوع الانسان مع انها نجحت بعض النجاح في الحيوانات



المعادن والحرب والعمران

ملخص خطبة الرأسة في مجمع تقدم العلوم البريطاني

الملتئم في جوهانسبرغ بمجنوب افريقية

للسر توماس هاسلندر

جرت العادة ان يلخص رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني في خطبته الارتقاء الذي تم في العلم الذي يشتهل به . واذا كان من اصحاب النظر الشامل والفكر المحيط بأبواب العلوم لحص تقدم العلوم في ربع قرن او نصف قرن كما فعل السر ميخائيل فوسترسنة ١٨٩٩ والسر ادون راي لنكستر سنة ١٩٠٦ على ان تشعب العلوم الحديثة وشموس فروعها يجعل الخطبة الشاملة الان متعذرة الى حد ما كما يجعل الخطبة في موضوع خاص غامض التفاصيل مما لا يهتم جمهور الاعضاء ويخرج بها عن غرض الجمع الاصيل وهو بسط الحقائق العلمية وبيان علاقتها بالعمران والحياة . لذلك خرج السر توماس هاسلندر في خطبته هذه السنة عن العرفين المتبعين . فلم يعد خطبة يدسطفها التقدم الذي اصاب فروع العلم بعد الحرب الكبرى مثلاً ولا التي محاضرة في موضوع بحثه الخاص الذي يدور على علم المعادن المكريسكوبي (ميكرو تولوجيا) لكنه نظر الى المعادن وعلاقتها باسالم والحرب وهو نظر جديد على ما تعلم يجدر برجال السياسة ان يتاملوه اذا كان ما يقترحه العالم يؤيد ما يعقده السياسي من العهود والمواثيق

ابان الخطيب اولاً ان البشر استعملوا المعادن لصنع ادواتهم واسلحتهم من اقدم الازمنة . ولكنهم لم يكثروا من استعمالها الا بعد الثورة الصناعية التي حدثت في انكلترا وما عقبها من التوسع في استعمال الآلات في معامل الغزل والنسيج وبناء السفن والقاطران ومناجم الفحم والحديد . ولا ريب في ان نجاح هذه الثورة الصناعية في انكلترا انما يعود في المقام الاول الى وجود المعادن الضرورية فيها كالحديد والفحم جنباً الى جنب . ولما استتب بسمر طريقة جديدة لصنع الصلب بعث في الصناعة الانكليزية حياة ما كان يستطيع ان يبعثها لولا وجود المعادن غير الفصفورية في مناجمها . كذلك لما استتب توماس وجلكرست طريقة لصنع الحديد الزهر من المعادن الفصفورية وقع استنباطهما في انكلترا بزوراً حجة في ارض مجدبة . على ان هذا الاسلوب الصناعي الجديد ازهر وأثمر في بلاد اخرى في اميركا من جهة والمانيا من جهة اخرى . فان رجال الصناعة الالمان رأوا في هذا الاسلوب الصناعي الجديد وسيلة تمكّنهم من تسمير مناجم الالزاس واللورين الغنية بالمعادن الفصفورية . وهكذا توافر لرجال السياسة والحرب من الالمان الحديد الذي شجعهم على خوض غمار حرب

ببغون من ورائها السيطرة على العالم . وقد ظلت انكلترا قادرة مدة نصف قرن بعد الثورة الصناعية ، ان تستخرج من مناجمها المقادير الصغيرة التي كانت تحتاج اليها معاملها من حديد ونحاس وزنك ورصاص وقصدير . على ان اتساع صناعة الحديد بعد استنباط طريقة بسمر حتم على رجال الصناعة في انكلترا ان يبحثوا عما يكفيهم من هذه المعادن وغيرها في بلدان اخرى

ثم ارتقت صناعة المعادن واتسع نطاقها بعد ما استنبط السير روبرت هذفيلد حديد المنغنيس سنة ١٨٨٨ فنشأ عن ذلك استنباط انواع مختلفة من الاخلاط الحديدية كل منها له صفات خاصة تختلف باختلاف المعدن الذي يختلط بالحديد . وهكذا صار رجال الصناعة يحتاجون الى القناديوم والتغنستن والمولبدنوم والالومنيوم والكروم والكوبلت والنيكل بعد ما كان استعمال هذه المعادن محصوراً في المختبرات العلمية . فاعتمد الصناعات المختلفة على الاخلاط الحديدية الملوّعة كان فاتحة عهد معدني جديد في تاريخ البشر لانه كان باعناً للدول الصناعية على البحث عن معادن كانت تحسب حتى ذلك الوقت نادرة لا قيمة لها

وهكذا ترى ان البلاد التي نشأت فيها الثورة الصناعية وترعرعت بوجود المعادن الاساسية في ترابها جنباً الى جنب اصبحت وهي لا تستطيع ان تكفي بذلك ولن تستطيع بعد الآن . حتى في زمن السلم تستهلك بريطانيا كل الرصاص ومضاعف مقدار النحاس الذي تخرجه الامبراطورية كلها . وكانت الصناعة قد اخذت تحطو خطوات واسعة في الولايات المتحدة والمانيا فلم يدر قرن القرن العشرين حتى كانت الصفة الغالبة على صناعات العالم الكبرى هي الحاجة الى المعادن المختلفة النادرة وغيرها لصنع ما يحتاج اليه الناس في ابان السلم وعليه لم يعد في طاقة امة من الامم ان تستقل عن غيرها استقلالاً معدنياً . اي انك لن تجد امة واحدة حتى ولا الامبراطورية البريطانية تستطيع ان تستخرج من ارضها كل ما تحتاج اليه من المعادن . على ان هذا التغيير لم يتضح لرجال الدول الا سنة ١٩١٤ حين ادركوا ان ارتقاء الصناعة في ابان السلم قد غير ما يحتاج اليه الامم في زمن الحرب . حتى فواد الحليش الالمانى المشهورين بدقتهم وضبطهم في اعمالهم لم يدركوا الحالة قبل وقوعها

خذ مثلاً على ذلك مناجم الولفرام (تيرالتغنستن) في جنوب برما . فقد كانت تديرها شركات انكليزية ولكن المانيا كانت تشتري الجانب الاكبر مما يستخرج منها لتستعمله في صنع التغنستن وهو عنصر معدني لا مندوحة عنه لصنع صلب التغنستن — امنن انواع الصلب المعروفة . ومع ان شفيدل كانت لا تزال الى ذلك الحين متفوقة في صنع هذا النوع من الصلب كانت معاملها تستورد التغنستن من المانيا والامان كانوا يستوردون تيره من

شركات انكليزية ببرما . فلما نشبت الحرب الكبرى عجزت معامل الانكليز عن صنع صلب التنغستن قبل سنة ١٩١٥ حين تمكن علماءهم من استنباط طريقة لصنع من تبره المستورد من برما . اما الالمان فخاروا في امرهم فاستعملوا كل ما لديهم من التنغستن وتبره مما استوردوه قليل الحرب وخزنوه ولما عجزوا عن الفوز في الحرب في شهورها الاولى عمدوا الى المولبدنوم الزوجي يستعملونه بدلا من التنغستن فقطع الانكليز عليهم هذا المورد وابتاعوا كل ما يستخرج في نروج من المولبدنوم

ثم رأت المانيا انها محتاج في صنع ادوات الحرب الى مقدار من النيكل يفوق ما يستخرج في المانيا والنمسا عشرة اضعاف فاخذت تستورده من البلدان السكندنافية وهذه كانت تستورده من غيرها واكثره كان من مناجم كندا وهي اغنى مناجم العالم نكلا . وهكذا ادرك الانكليز في نهاية الامر ان اهلهم الصناعات المعدنية حملتهم على مواجهة اسلحة وقنابل فتسكة مصنوعة من معادن تستخرج من مناجمهم

كانت حدود البلدان في العصور الغابرة تعين وفق مقتضيات الزراعة ولكنهما لم ترتبط ارتباطاً ما بتوزيع الثروة المعدنية فيها . وهذه الثروة المعدنية اصبحت في هذا العصر مندوحة عنها لنجاح الصناعات في اثناء السلم ولتجهيز الامم بادوات الحرب في اثناء الحرب . ولهذا المسألة العلمية الصناعية علاقة وثيقة بالعهود الدولية التي قطعت حديثاً في اوربا واميركا لحفظ السلم . ان هذه العهود لن تنجح في تحقيق الغاية المنشودة الا اذا نظر رجال السياسة الى توزيع المعادن كاداة من الادوات الفعالة في ضبط المعاملات الدولية في المستقبل . لانه اذا كانت المعادن ضرورية لحضارتنا الصناعية الجديدة فهي جديرة بان تخوض الشعوب الحرب لاجل الاستئثار بها . واذا كانت باعاً من بواعث الحرب فالسيطرة عليها يجب ان تجعل اداة من ادوات السلم . وربط توزيع المعادن بشؤون السياسة العامة لا يحملنا على اقحام مسائل جدلية في الموضوع . فكنا نتفق على امرين الاول رغبنا في توطيد السلام العام . وثانياً وضع بيان علمي عام للمعادن المطمورة في مختلف البلدان ثم ينقح هذا البيان من حين الى آخر كلما تغير نوع المعادن المسيطرة على الصناعة ثم استطرد الخطيب الى الكلام على توزيع المعادن مدلا على انه اذا اجتمعت الولايات المتحدة الاميركية والامبراطورية البريطانية امكنهما ان تستخرجا كل ما تحتاجان اليه من المعادن وثلاثي ما يستهلك كل سنة في كل انحاء العالم وبعض ما يحتاج اليه الامم الاخرى ولا تجده في غيرها . ولذلك اقترح ان تنفق الامتان على منع المعادن عن كل امة تحل بينها كلوج الذي تمهدت فيه الدول الموقعة عليه بتحريم الحرب



نظرة في مصرع كليوباترة

بحث انتقادي في الرواية الشعرية التي اخرجها حديثاً احمد شوقي بك

للمستاد انيسى المقدسى

استاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

لما تلقينا نسخة من مصرع كليوباترة بعثنا بها الى صديقنا الاستاذ المقدسى وعهدنا اليه في كتابة فصل انتقادي في تحليلها فلي طلب المقتطف بهذا المقال النفيس. ولا يفوتنا ان نذكر في هذا المقام ما للمرحوم نجيب الحداد و خليل بك مطران والدكتور احمد زكي ابو شادي من الفضل والاثـر في الرواية الشعرية العربية . ولعلنا نمود الى هذا البحث في حين آخر

مميزات الشعر العربي

مهما بلغ العرب في ميدان القريض ومهما بلغ بنا الحب لما خلفوه من آثـارهم الشعرية الخالدة فانه لا مندوحة عن الاعتراف ان السلف الصالح لم يتفـنـسـنوا في الشعر تفننهم في سائر العلوم . تلك قضية لا اتطـرّف الى القول انها حقيقة لا تقبل النزاع والجدل ولكن النظر في تاريخ الشعر نظراً مجرداً عن الهوى يميل بنا الى اثباتها . فقد كانت نزعات العرب الشعرية ولا تزال مندفعة في مجرى واحد لم تتحول كثيراً الى سواء . هو الشعر الوجداني (subjective) او الغنائي (Lyric) الذي يدور حول نفس الشاعر كما تدور الارض على محورها وينحصر في تأثيراته الخاصة كما نـما الطبيعة انما خلقت لافراحه وراحه وكأن الحياة كلها ما يختص بذاته او ذويه . فاذا رأى مشهداً فتاناً من مشاهد الطبيعة هاجت عواطفه فشكى او بكى او وصف ما يراه وصف المذكر المتذكّر . واذا ما خاض غمار الحياة اثار ذلك فيه غضباً على عدوٍ يناوئه او فخرأً بقبيل ينتسب اليه او مدحاً لعظيم ينيله

لا جرم يحق للعرب ان يفاخروا بشعرهم الوجداني فقد بلغ عندهم في كل فنونه اسمى الدرجات وما تاريخ الشعر العربي لدى التحقيق الا وصف لهذا النوع من القريض في اختلاف احواله وبيئاته . نعم لا يخلو تاريخ ادبنا من بعض الشعر الموضوعي او الكوني (Objective) وهو الشعر الذي يمثل احوال الحياة والعمران كما هي ولكنه قليل جداً .

وأكثره اذا حللناه يعود الى النوع الاول الذي تبرز فيه شخصية الشاعر وتغشى كل شيء سوى مشاعره وتزعاته . وقد عني الغربيون قديماً وحديثاً بالشعر الموضوعي واقتسوا في ضروبه المختلفة من ملاحم فرسية ووقائع قصصية وروايات تمثيلية وقلما اكثر له الساميون . ولا ادري لذلك سبباً الا ان يقال ان تلك طبيعة الامم فقد امتاز الساميون عموماً بالانشيد الشجية الناشئة عن انفعالات النفس لدى حادث مؤثر فجاءت حكمتهم كما قال الشهرستاني عن العرب « فلتات الطبع وخطرات الفكر » . هم يلمحون الاشياء واحداً واحداً ويتأثرون بما يشاهدونه تأثراً شديداً فيعبرون عن تأثرهم بشعر بليغ ولكنهم لا يهتمون بان يقارنوا الامور بسواها او ينظروا الى الحياة والكون نظراً شاملاً . وعلى عكس ذلك الآريون فانهم لا يلمحون الا جزءاً فقط ولكنهم يرون العلائق والروابط التي تجعل الحياة او الطبيعة « كلاً » متناسباً . تجدد ذلك في موسيقانا التي تضرب على وتر واحد لاتعداه وفي موسيقا التي تميل الى تألف الالحان وتناسق النغمات . وتجده في دواوين شعرائهم الخافضة بالروايات والملاحم يصفون بها عواطف البشر ومنازع الحياة الاجتماعية

قد نجاري الغربيين او نفوقهم في شرح تأثرنا من حادثة او مشهد ولكننا دوفهم في محاولتنا ان نفكر ونترى فيما حولنا من روائع الكائنات وسنن الحياة والاجتماع . ذلك التأمل الهادى الذي يمكن الانسان من فهم عواطف الآخرين والنطق بلسانهم وفهم عبر التاريخ والطبيعة والعمران ليس له اثر كبير في تاريخ الشعر العربي . وليس في انتقادات المعري وحكم المتنبي وتأملات الفارض ما يناقض قولنا هذا

على انه من الخطل ان يقال ان هذا النقص في الشعر العربي قضاء سرمدى لاهرب منه وان العرب انما وجدوا ليقوا على ما وجدوا عليه . ذلك مخالف لسنة الارتقاء . فقد تنبه شعراؤهم المتأخرون الى هذا الامر وقاموا في الاونة الاخيرة بحركة جديدة ترمي الى تجديد الشعر ودفعه في مجار جديدة . فهم يحاولون ان يفكروا ويتأملوا ويخرجوا عن منطقة الذات المحدودة الى رحاب الحياة الواسعة

وقد كنت منذ صباي من الذي أعجبوا بشاعرية شوقي ورأوا فيها اناقة ممتازة . على اني كنت ولا ازال من الذين يرمون الى توسيع نطاق الشعر العربي وقد بسطت ما اخترته من ذلك في رسالة مسببة نشرها المقتطف لما احتفل بيوبيل شوقي وموضوعها « الشعر وراميه العالية » . واشد ما كان اغتباطي عند ما تناولت مؤخراً « مصرع كليوباترة » ووجدت ان شاعرية شوقي الممتازة قد تحولت عن مجرى الشعر الوجداني المؤلف الى رواية تمثيلية هي نمط

فنية في معانيها ومبانيها. ولا ابالغ اذا قلت انها تكاد تقابل بأجل ما قرأت للتربيعين في هذا النوع فنيها النكات المستملحة والافصاف الشائقة والحكم البليغة مع خلو من السفسفة والركاكة

مرار الرواية

تدور هذه الرواية على مصرع الملكة الفتانة كليوباترة وعلى مصرع محبها القائد الروماني الكبير مرفس انطونيوس . والناظر في الرواية يراها تضرب على وتر واحد لكنه خلاب هو ممجيد كليوباتره وباللالي ممجيد عرش مصر . ولعله اذا انعم النظر وقرأ ما وراء السطور رأى في حوادث الرواية وأشخاصها ما يكاد يكون مماثلاً لحالة مصر اليوم ومن يدري ما في اعماق نفس الشاعر من نزعات سياسية او وطنية — استميجحه العذر على هذا الظن — بل قد يكون في جو مصر اليوم ما اوحى الى الشاعر دون ان يدري فكرة كليوباترة اليونانية المنتصرة « والسلطة » الرومانية الطاغية والكاهن المصري المتعصب لوطنه وحزبه « حابي » الوطني الناقم وغيرهم من اشخاص الرواية . وهل نفس الشاعر القومي الا لوحة حساسة ترسم عليها العواطف والاميال القومية . وهنا تتجلى روح شوقي — انظر الى شعره منذ قرض الشعر الى الآن واترك بعض ما لا يروقك من مدحه وترلفه أفلا ترى فيه تلك النزعة القومية التي تتقد من آن الى آخر في بعض قصائده الطنانة اتقاداً تهزله جوارح الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً وتصبح على اللسان كما قال المتنبي في نفسه « اذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدًا »

وفي هذا اليوم وقلوب المصريين متجهة الى توطيد استقلال بلادهم والى تعظيم قوميتهم ورفع شأنها ترى شوقي يقوم فيذكرهم بما كان لهم ايام ملكتهم الشهيرة من عظمة ومجد ويريههم كيف ضاعت بعدئذ آمال العرش والامة . وقد سلك الشاعر في ذلك مسلكاً لم يستج للمؤرخ . فان التاريخ ينسب كليوباتره الى اليونان ويرجع مجدها (ان كان لها من مجد) الى البطالسة خلفاء الاسكندر . اما شاعرنا فقد تخطى ذلك بحذق وسكينة الى منطقة العلوم النفسية ليرينا كيف تتطبع النفوس وتتطبع المشاعر . حول جنسية الملكة تحويل الفنان الماهر وقلب طباعها فجعل لها عصبية مصرية تغار عليها وتتفانى في سبيلها . وكأنني بشوقي هنا يلح العرش المصري الحالي ويقابله مقابلة خفية بعرش كليوباتره . كلاهما من اصل غير مصري وكلاهما اصبحا مصريين صميمين . هوذا العصبية القديمة تموت في الوطن الجديد افكر شعري جميل لا ادري اذا كان شاعرنا قصد اليه . ولكن هل اولى من شوقي ان يحسمه بساحر الالفاظ والبارات . او ليس الشاعر الحقيقي هو الذي يوحى الينا شعره مختلف الآمال والاماني ؟

اما موقفه لدى شخصية الملكة فجريء جداً . يجابه الحقيقة المعروفة لاجل غرضه . فيحاول ان يبرئها من كل تهمة وصمها التاريخ بها . الا ترى كيف يصفها وصفاً يحملك على الاعتقاد ان المؤرخين تحاملوا على تلك الحسنة الناعسة الحظ ؟ تلك مقدرة الشاعر . بسحر الفاظه يغير اعتقادك ويكسب رضاك . فكأن شوقي هنا ابو نواس في خمرياته يحبب اليك الخمر وانت تذكرها وتمجها او عمر بن ابي ربيعة في بعض مبادله يثير شعورك وشفتك وانت تذكره عمله وتنفر منه

استغفر الله ليس شوقي هذا ولا ذاك . بل هو ابعد نظراً واسد رأياً . هو يني نظريته في الملكة على اجتهاد عقلي قد لا يكون بعيداً عن الحقيقة . ولكن في النظرية وهنا شيئاً من التناقض . فهي عنده وفيّة للغرام اذا لم تعترضها المطامع السياسية . وهي طاهرة نقية النفس ولكنها تبذل جمالها لاجل المجد . وهي بعيدة النظر في الامور ولكنها في اخرج المواقف تقول اليوم خمر وغداً امر . وهي حازمة ولكنها تصرف امام قادة الرومان تصرفاً يدل على طيش وغرور . ان شوقي « الشاعر » يتطوع لنصرة كليوباترا مستقلاً كما يقول عن كل « نفوذ اجنبي » او تأثير تاريخي . فهو يرى « ان البحث العلمي يكشف بين الحين والحين في هذا التاريخ المتهم عن حلقات ضائعة او اوهام ازلت فيه منزلة الحقائق فلا بد من انصاف هذه المصرية المضطهدة والا تحرم على الاقل من سمو الغاية ونبالة القصد »

ولا يعني لنا نحن هنا ان نحقق او نجرح ما ذكره التاريخ عن كليوباترا فذلك ليس لنا ولكن لنا ان نقول ان الشاعر سلك في التاريخ مسلكاً دقيقاً وخطراً فهو يتهم التاريخ ويتمسك بالاجتهاد العقلي انكلاً على ان البحث الحديث يكشف عن حقائق ضائعة وان الذين كتبوا تاريخ تلك الملكة هم اعداؤها . ونحن اذا اعتبرنا الغرض من الرواية رأينا ان الشاعر وفق كل التوفيق في الدفاع عن مليكته . والى القارى بعض اوصافه فيها—

سعة الصدر : قالت تعاتب حابي احد « الموظفين » في مكتبتها وكان من النافين عليها

وترسل في العرش هجر الكلام وتحفي الحفيظة لي والقلبي

ولكن لننس الذي قد مضى فثلك تاب ومثلي عفا

دع الذود عن مصر لي اني انا السيف والآخرون العصا

الاباء والانفة : قالت تخاطب انويس الكاهن وقد خشيت ان بأسرها الرومان

ابي لا العزل خفت ولا المنايا ولكن اب بسروا بي سيئاً

ايوطاً بالمناسم عرش مصر وثمت شعرة في مفرقياً

الطموح : من كلام الكاهن وقد وقف لدى جنبها
 ان تصبجي جسداً ففسك حرة وعلاك سالمة وعرضك ناجي
 سيقول بعدك كل جيل منصف ذهبت ولكن في سبيل التاج
 ولعل ابلغ دفاع عنها ما وضعه الشاعر على لسانها قبيل اتخارها صفحة ٩٤
 اما سائر اشخاص الرواية فليسوا مما ينازع فيهم وقد كفانا ذيل الرواية النثري عناء
 نقدم . بقي علينا كلمة في شعر الرواية وسبكها مع امثلة من اطايب الكلام فيها

شعر الرواية وشاعريتها

الحق اني لم ار في شعر شوقي ما هو ادل على قوة شاعريته من هذه الرواية . قد تخالفني
 في ذلك وتشير الى بعض قصائده الرائعة المشهورة التي اصبحت ملء الافواه والآذان .
 فانقول ان تلك القصائد على بلاغتها هبتات نفسية تثيرها حادثة وقتية شديدة التأثير فلاغربة
 اذا بلغت اوج البلاغة الشعرية . اما اناشيد هذه الرواية فشعر هادي مفكر مقرون
 ببلاغة وجمال . هي معرض لتحف شعرية نادرة . فيها المدح والفخر والعتاب والهجاء والحكم
 والسياسة والحب والخمر والظرف . وهذه التحف في غاية ما يكون من حسن التناسق والتآلف
 فليست هي خاطراً ناشتاً عن مؤثر خاص كحج الخديوي مثلاً او كنوز توت عنخ امون
 او سقوط عبد الحميد او موت بطرس غالي او زيارة الشام . في مثل هذه الخواطر قد يجد
 الشاعر الكبير من يجاريه من اقرانه او يتأثر تأثره ولكن الشاعر يمتاز اذا استطاع ان
 يبدع وهو في جو هادي يتأمل وينظر . يمتاز اذا استطاع ان يخرج عن نفسه قليلاً الى
 الكون فيريك جماله ومعانيه والى الحياة فيوقفك على منازعها واحوالها . وذلك ما فعله
 شوقي في هذه الرواية . ينطق الملك والكاهن والخادم والعاشق والقائد والماجن وسواهم
 لفظاً ترناح اليه النفس ويحدثك عن علاقات الناس وخوارج نفوسهم حديثاً صحيحاً يهز
 الجوارح . وقد كنت اجد احياناً في بعض منظومات شوقي ما يحدوني الى الشك في تفوقه
 او في سمو خياله وكنت اجدني على غير انتباه بين من ينمي عليه القوة على التجدد
 والتطور حتى قرأت روايته هذه فقلت شوقي شاعر يحق لنا ان نفتخر به . واليك بعض
 الامثلة من شعره في « مصرع كليوباترا »

١ — انطونيو قبيل اتخاره يخاطب روما وقد هزمته جيوش اوكتافيوس وجاءه
 الخبر ان كليوباترا قد انتحرت . وهو موقف دقيق يحاول فيه الشاعر ان يجمع في هذا
 القائد الروماني العظيم الوفاء للوطن والحب فيغلب غرامه حب لوطنه ويمتدح عن

ذلك اعتذاراً رقيقاً يثير في نفس القارئ الشفقة عليه . قال من قصيدة صفحة ٥٦

روما حنانك واغفري لفتاك
روما سلام من طريد شارد
اليوم يلقي الموت لم يهتف به
ان الذي اعطاك سلطان الثرى
يا رب تاج في جبينك زاهر
الامهات قلوبهن رقيقة
ان كان موتى كل ما تبغينه
يا ام عذرک في اتهم بنوي
لولا الجمال وفتنة من سحره
صفحاً كلوبارا فربت زلة
لما لقيتك في الجمال وعزه
فنسيت في ناديك ذكر وقائي
وسلوت ايامي يوم لقاك الخ

ومن المواقف الرائعة في الرواية حديث الملكة وانويس الكاهن وهو يصف لها سم الافاعي ويحاول ان يستهويها لتقدم على الانتحار حفظاً لشرف العرش المصري. ولا احاول ان انقل هنا ما دار من الحديث الرقيق بينها ولكني احيل القارئ الى صفحة ٦٩ الى ٧٠ من الكتاب فقراءته هناك اولى واحفظ لجماله . ويشعني جداً خطاب الملكة للزنبقة صفحة ٨٩ . وكانت الملكة بحسب الرواية اسيرة في قصرها وقد اقام اوكتافيوس عليها الحراس والرقباء فالتفتت الى زنبقة عندها في ابيض وقالت تقابل حالها بحالها

زنبقة في الآنية نحية الانانية
جنت عليك غربة الاسر الاكف الجانية
وبدلت من سعة الربوة ضيق الباطية
يسقونها من جرّة بعد العيون الجارية
يا جارتا شأنك لا يشبه الا شانية
لم يبق من ملكي العريض غير دار خاوية
وكلنا ذابلة عما قليل ذاوية
زال النعيم وفرغنا من حياة فانية

ولعل ابداع مواقف الرواية الشعرية خطاب الملكة الى ايزيس صفحة ٩٩ وتد

صنمت على الانتحار فركت امام تمثال الالهة واخذت تحدّثها بحديث حياتها وتقابل
 نفسها بالدنيا ثم تعطف على الموت وتطلب منه ان ينقلها برفق الى حيث حبيبها انطونيو
 اليوم أقصر باطلي وضلاي وخلت كاحلام الكرى آمالي
 وصحوت من لعب الحياة وهوها فوجدتُ للدنيا خمارَ زوال
 وتلفتت عيني فلا بمواكبي بصُرتُ ولا بكسائي ورجالي
 ايزيسُ ينبوع الحنان تعطيني وتلفتي لضراعتي وسؤالي
 اني وقفتُ على رحابك فارحمي ذلّ الملوك لمجدك المتعالي
 هل تأذنين بأن اعجّل نفاي واحثٌ عن دار الشقاء رحالي
 وعُلاك ما ادع الحياة جبانة او ضيق ذرع او قطعة قال
 اني انتفعت بعقري جمالها وتمتعت من عبقرى جمالي
 وجمعت بين شعورها وعواطفي وقرنت رجب خيالها بخيالي
 ووجدتها قد خلدت ابطالها فبسطتُ سلطاني على الابطال
 بنتُ الحياة انا وتشهد سيرتي ما كنت من امّى سوى تمثال
 منها تناولتُ الرياء وراثته واخذتُ كلّ خديعة ومحال
 وقسوتُ قسوتها ولنت كليتها واقتستُ في صدي لها ووصالي
 ولربما رشدتُ فسرتُ برشدها وغوتُ فاغوتني وضلّ ضلاي
 ووجدتها جبّا يفيض ولذة فجعلتُ لذات الهوى اشغالي
 يومي بايام لكثرة ما مشت فيه الحياة وليتي بليالي
 ياموتُ هل حرجٌ على مستنجد بك ان يسابق واقع الآجال
 يومي اعجّله ولو لم انتحر للقيتُ يوماً ماله من نال
 ياموت انت احبُّ اسراً فاسبني لا تعط روما والشيوخ عقالي
 ياموت لا تطفئ بشاشة هيكلي واحفظ جواهر لمحي وجلاي
 ياموت طف بالروح واسرقها كما سرق الكرى عين الحلي السالي
 حتي اموت كما حيثُ كانني بيت الخيال ودمية المثال
 وكان اغماض الجفون تناعس وكان رقدي اضطجاع دلال
 سرّني الى انطونيو في نصرتي ورواء جلبابي وزينة حالي

ثم تقوم الى احدى السلالم فتكشف عن افئى وتحدّثها ذاكرة حالها وما صارت اليه من هوان
 الاسر وفي هذا الحديث ما فيه من جمال وسحر . انقل هنا للقارىء بعض اياتيه — قالت :

هلم الآت منقذتي هلمي
 على نايك من زرق المنايا
 وبعض السم ترياق لبعض
 هلمي عاتقي افعى قصور
 سبط روما على ملكي ولصت
 فرمت الموت لم اجبن ولكن
 ادخل في ثياب النذل روما
 يراني في الجبائل مترفوها
 اذن غير الملوك ابني وجدي
 اموت كما حييت لعرش مصر
 حياة النذل تدفع بالمنايا
 واهلاً بالخلاص وقد سعى لي
 شفاء النفس من سود الليالي
 وقد يشفي العضال من العضال
 بها شوق الى افعى التلال
 جواهر اسرني وحلي آلي
 لعل جلاله يحمي جلالي
 واعرض كالسي على الرجال
 وقد كانت القياصر في حبالي
 وغير طرازهم عمي وخالي
 وابذل دونه عرش الجمال
 تعالي حية الوادي تعالي

هذه امثلة قليلة من اطايب هذه الرواية ولو اردت الاسهاب لارجعت القارىء الى حديث
 انويس الى الافاعي صفحة ٦١ والى الوصف ص ١٥ والى خطاب انطونيوس لا وروس ص ٨
 والى حديث انويس وجابي ص ٢٣ والى الحكم التي رصع بها الشاعر اناشيد الرواية: كقوله
 الرأي ليس نافعا اذا اوانه مضى

يقيد القلب وراء مرصده فيجرس الدار على مقيده

الا يا رب خذاع من الناس تلاقيه

يعيب السم في الافعى وكل السم في فيه

هداك الله من شعب بري يصرفه المضلل كيف شاء

ارى راكب الشك ملء المجال طويل العنان بعيد المدى

ولو شككت في السرج الفراش لكان سلاماً عليها السنا

وتحسب في الكتب علم الحياة وما منه في الكتب الا شدا

لسان ابن آدم او نابكن كلا السائلين لعاب القدرة

وان التهاوت فعل الثعا لب ليس التهاوت فعل السباع

وما جثة الليث الا لقي اذا الناب طاحت او الظفر ضاع

انيس الخوري المقدسي



هل طعام اليابانيين سبب قصرهم ؟

هل نحتاج الى طعام دولي

لتعميم الصفات الجسدية والعقلية المرغوب فيها ؟

للكنور عبر الرحمن شهيندر

تقدم العلماء تقدماً كبيراً في مباحث الغذاء واثره في الصحة والنمو . وقام حديثاً فريق منهم يربط هذه المباحث بنشوء الانسان وتاريخ ارتقائه وتفرقه شعباً واجناساً فقال اذا كان لنوع الطعام هذا الاثر العظيم في نمو الجسم وصحته أفلا يجوز ان يكون الصينيون واليابانيون والكوريون وغيرهم من شعوب الشرق الاقصى قصار القامة لان اكثر طعامهم من الارز ؟ اولا يجوز ان يكون بعض سكان افريقيا واوروبا طوال القامة ضخام الجثث ازاء الصينيين لانهم وقعوا على طعام من شأنه ان يزيد نمو الجسم وقوته ؟ اولا يجوز ان يكون الانسان نفسه قد بلغ ما بلغه الآن من حيث شكله وقامته لانه اصاب في فجر نشوئه طعاماً معيناً ؟ وانه لو اصاب طعاماً مختلفاً وزاول تناوله لكان نشأ وشكل جسمه من حيث الطول والقصر والضخامة والنحافة غير ما هو الآن ؟ هذه مسائل خطيرة لها اثرها في حل المشكلات الاجتماعية والدولية علاوة على ما فيها من الفكاهة ولذة البحث العلمي . وقد بسطها الدكتور شهيندر في المقال التالي بسطاً وافياً

قال (هنري بكل) وهو من علماء القرن الماضي البارزين في الاستقراء والتتبع « ان تاريخ اعلى الامم كعباً في الحضارة يمكن تعليله بالعناصر الكيميائية التي يتألف منها طعامها » وسبق المشاركة هذا الباحث الغربي بما عرفوه من تأثير الاطعمة الخفيفة في صفاء النفس وما تحدثه التخمة من البلادة والاضطراب . وعرفنا عدداً من المتصوفة يقضون فصلاً من فصول السنة على التمر والبن « للريضة » « والحب والاستزادة من الحيرة » وفهم « التجليات » وادراك « وحدة الوجود »

وقال (الجمل في علم الاجتماع) « ان كثيراً من الناس اصابوا بالفاقة بسبب الاطعمة

الناقصة التي تغذوا بها وان كثيرين غيرهم ينسبون فشلهم في مضمار الحياة الى ما يعانون من سوء الهضم او غير ذلك من الامراض الناشئة عن فقد الغذاء الصحيح»
ويتجنب الصائم في رمضان من وقت العصر الى وقت الغروب الموضوعات المرتبة والمصالح المعقدة خشية ما يحدثه الجوع في نفسه من الحدة . وتتبع استاذنا المرحوم الشيخ طاهر الجزائري التطورات الاجتماعية في دمشق فوجدها اشد ما يكون في شهر الصيام . وقد يكون للمجالس التي تعقد فيها ليلاً وللسهرات الطويلة التي تدوم حتى السحور شأن ايضاً في احداث هذه التطورات علاوة على ما لنوع الطعام في رمضان واختلاف اوقاته من التأثير الواضح . وهكذا فالامثلة على تأثير الاكل في العقل لا تكاد تحصى وقد لاحظها المتقدمون كما عرفها المتأخرون ولكن هناك باباً جديداً في علم الحياة — البيولوجيا — لم يفتح لاحد سوى لاهل الاختصاص من ارباب الطريقة العلمية التجريبية في العصر الحاضر . وهذا الباب هو التأثير الخاص لبعض الاغذية في تكوين بعض الانسجة الجسدية وظهور بعض العاهات لفقد بعض العناصر

زرت مدينة (بوسطن) في الولايات المتحدة سنة ١٩٢٤ فأتيت لي ان اجتمع فيها بأستاذ من الاساتذة المعروفين لدى طائفة كبيرة من خريجي جامعة بيروت الاميركية وهو الاستاذ الفرد پاتش الكيمائي فدعاني الى زيارة مخبره ومما رأيت فيه واستوقف نظري كثيراً بعض تجارب حيوية كان يجريها في الجرذان لاثبات بعض الخصائص التي في زيت كبد الحوت (زيت السمك)

والجرذان تفضل على غيرها في مثل هذه التجارب لاسباب متعددة منها رخصها وسهولة الحصول عليها وقلة نفقاتها وأهم من ذلك كله ان الجرذان تعيش على الطعام المشترك مثل الانسان يعني انها تأكل الخضراوات واللحم وهي وان كان معدل اعمارها ثلاث سنوات الا أن طريقة تحويل الاطعمة في اجسادها الى انسجة او حرارة نشابة في كثير من الوجوه هذه الطريقة في الانسان

قسم الاستاذ پاتش جرذانه الى اقسام وضعها في اقفاص خاصة وعين لها جرابية يومية متماثلة في تركيبها خالية من مادة جوهرية تعرف بأثرها اسمها « ثيتامين د » كان تكون هذه الجرابية مؤلفة من لبن مغلى الى درجة التعقيم مع الخبز الابيض الناصع وزيت الكتان فكانت علامة الكساح تظهر عليها جميعاً بعد فترة من الزمن فاذا استمر على هذه الجرابية الناقصة كانت هذه الجرذان تموت اما اذا اضاف الى بعضها زيت السمك فان اعراض

الكساح كانت تزول رويداً رويداً من آكلها بحسب مقدار الزيت ومدة استعماله . وقد رأينا الفروق عظيمة بين الجرذان التي بقيت على الجراية الاصلية وبين الجرذان التي اضيف الى جرايتها زيت السمك فكان جمود العين وأحديداب الظهر وتواء الصدر وتقوس الأطراف في الاولى من العلامات القاطعة على فعل زيت السمك في ازلتها من الثانية . وقد دعا الاطباء المادة الفعالة الموجودة في زيت السمك «فيتامين د» وعرفوها من بعض خصائصها الطبيعية وعرفوا ايضاً ان نور الشمس او الاشعة التي وراء البنفسجي تفعل فل هذا الفيتامين بل ان البقرة التي تعيش في الظلمة ولا تتعرض لنور الشمس لا يقوى لديها مهادر على مقاومة الكساح

لم تعد قضية الفيتامين من المسائل النظرية في علم الحياة بل ان الطب اثبت انواعاً اخرى منها تحدث امراضاً خاصة واستعان بها لشفاء هذه الامراض . مثال ذلك ماحدث في غضون الثورة السورية في جبل الدروز فقد رأيت عدداً من الاهلين المحليين اصابوا في الشتاء بمرض الاسكربوط بفقد الفواكه والخضر فلما ظهر الربيع بحلته السندسية على السهول زال هذا المرض من نفسه لدى ظهور النبات الغض الحافل بهذا الفيتامين الحيوي مما كان يتناوله الناس في طعامهم

وفي الشرق الاقصى مرض يودي بحياة نحو مائة الف نسمة سنوياً اسمه «البري بري» وهو ينشأ عن فيتامين آخر يوجد في غلاف الارز فاذا يبيّض التجار ارزهم وأخلوه من هذا الغلاف ليكون لونه ناصعاً اصاب الذين يقتصرون على اكله من اهل تلك البلاد هذا المرض العضال . فسواد هذا الارز في ظاهره خير من البياض في باطنه

وشاهدت في غضون الحرب العظمى في مصر امراً خطيراً يسترعى الاستماع فان الوف من الالمان والعمانيين كان مقرهم في ضاحية «المعادي» الى الغرب من القاهرة وكان طعام الاسرى الاوربيين مختلفاً عن طعام الاسرى الاسيويين بحجة ان الغربي غير الشرقي فكان طعام ذاك حاوياً العناصر الغذائية الكافية من خضروات ولحم ولبن وبيض وأما طعام هذا فكان ناقصاً ولا سيما في المواد الزلائية الحيوانية وقد زاد في الطين بلة ان الاسرى العرب اضربوا عن تناول اللحم الذي كان يوزع عليهم لما بلغهم عنه انه لحم الحمير فكانت خشونته وجفافه مصداقاً لهذه الاشاعة . ثم ما عمتنا ان لحظنا مرضاً جديداً تفشى بينهم اسمه مرض (البلاغرا) اصاب نحو خمسين في المائة منهم . وهو مرض عضال لا يرجى برؤه متى تجاوز حوله بالجسم فترة من الزمن معينة . ولم اجد لهذا المرض اثرأ في

الجرمانيين لما كانوا يحصلون عليه من الغذاء الكافي. وهكذا سجل هؤلاء الاسرى العثمانيون في سجل العلم مرة اخرى ان الفروق الوهمية التي وضعها السياسة بين الشرق والغرب لا يعترف بها علم الحياة بل يذهب العلم معنا الى ابعد من ذلك فيقول ان الشرقي الذي مرض جسمه في المعادي لنقص (الفيتامين) الذي حفظ صحة الجرمانى يذبل مجتمعه اليوم لفقد السيادة القومية التي هي جوهر النشاط في بلاد الغرب . ومهما يكن نوع هذه المادة التي سبب فقدانها مرض البلاغرا في الاسرى العثمانيين فارجح كل الترجيح انها موجودة في المواد الزلالية وفي مقدمتها اللحوم الطرية ، وكان الرأي السائد ان الذرة هي سبب هذا البلاء

هذا بشأن « الفيتامين » وما له من الاثر الفعال في حفظ ميزانية الجسم ومنع بعض الامراض الفتاكة . ولكن هناك تجارب اخرى احدث عهداً دلت على ما للطعام من المكانة في تكوين البنية وتوليد الخصائص النوعية. ولا يدري احد ما سيكون من امرها في اجراء التعديلات في الاقوام . وقد قام الاستاذ (مكسولم) من مدرسة (جونس هوبكنس) الجامعة الطبية في الولايات المتحدة بتجارب في هذا الباب تعد من الطراز الاول فجمع ثمانية من الجرذان قسمهما الى قسمين وضعهما في قفصين فاجرى على القسم الاول منها جراحة مؤلفة من الماء المقطر والحبز الاسمر وعلى الثاني هذه الجراحة نفسها مع اضافة بضع اوراق من اللفت — الشلجم — او البنجر ، فكان حجم الجرذ في القسم الاول لا يتجاوز حجم الفار واما في الثاني فكان يبلغ ضعفه وفيما عدا ذلك كان الجميع متشابهين وفي حالة طبيعة ومن المعلوم ان اليابانيين قصيرو القامة وكان يعلل قصرهم بأنه صفة قومية لازمة ولكن علماء طوكيو ارتأوا ان يطبقوا التجارب التي جربت في الحبار على ابناءهم في المدارس ليروا هل في الامكان تعديل قاماتهم . فاضافوا بضعة اطعمة الى غذاء بعض التلاميذ المقاد فكان من نتيجة هذه التجارب العديدة ان التلاميذ الذين عاشوا على الطعام الممزوج بطعام الاقوام الطويلي القامة كانوا اطول من رفقاءهم واثقل منهم

ومما لفت انظار الزعيم (مكريسون) في دائرة الصحة العسكرية في الهند ان متوسط طول السيخ والبانانيين اكثر من متوسط طول المدراسيين وغيرهم من سكان الهند وان كانوا جميعاً سواسية من حيث الفاقة والشفاء. وقد دل الاستقراء على ان طعام السيخ والبانانيين معادل في قلة مقدارهم لغيره من طعام الهنود الا انه يختلف كثيراً من حيث العناصر التي تألف منها فهو يحتوي على اللبن وما يخرج منه من قشدة وجبن وعلى الخضراوات مع شيء قليل من اللحم وهذا كله مفقود في طعام الهنود تقريباً . ولكي يثبت (مكريسون) علاقة هذا

الطعام بطول القامة اجري تجربته على جماعة من الجرذان ايضاً فاطعم قسماً منها طعام السيخ واليابانيين واطعم القسم الآخر طعام المدراسيين فما القسم الاول نمواً بليغاً وبقي القسم الثاني قزماتهم توسع في تجربته فادخل فيها اطعمة اخرى تمثل انواع الامم فاطعم جماعة من الجرذان طعام العمال الانكليز الفقراء وجماعة اخرى طعام اليابانيين والفليبيين والجاويين فكانت الجرذان التي عاشت على طعام السيخ واليابانيين عظيمة الحجم ناعمة الفراء لطيفة السلوك والتي عاشت على طعام العمال الانكليز الفقراء غليظة الحجم خشنة الملمس ميالة الى العراك. واما اليابانية والفليبية والجاوية فكانت قصيرة القامة تبدو عليها خصائص هذه الاقوام اجمالاً

وغني عن البيان ان كلمة (قوم) هي عبارة عن صفات مادية تظهر في الجسم في البنية والقاطيع والملايح واللون والشعر والاطراف والطول والعرض والجماجم، ومعنوية تظهر في العقل في التصور والخيال والادراك والذاكرة والاخلاق وال عاطفة الدينية وفي غير ذلك مما يجوز ان يفسر بقاعدة حيوية عامة خلاصتها « الوراثة المتسلسلة في البيئة المتغيرة » ومعنى ذلك ان القوم هو النتيجة الحاصلة من تصادم الوراثة بالحيط . فاذا كان الاطعمة من الشأن ما اثبتته هذه التجارب في الخبار والمدارس وصح ان طول السيخ واليابانيين ودمائهم اخلاقم وخشونة الفقراء من العمال الانكليز واستعدادهم للعراك وقصر اليابانيين والفليبيين والجاويين كل ذلك ينتقل بواسطة الطعام الخاص من حي الى حي آخر فلا يدل ذلك على ان الوراثة اضمحل شأنها وان القومية زالت من الوجود بل سيبقى ابن السمين اكثر استعداداً للسمن ولو امتنع عن اكل الادهان والزيوت وابن الاسرائيلي اسرائيلياً ولو جلس مع الاميركيين في الولايات المتحدة على مائدة واحدة واكل اللحم مطبوخاً بالزبدة وغاية ما هنالك ان الاتفاق على طعام دولي او أممي فيه العناصر التي تولد بعض الميزات القومية الخاصة يعدل الفوارق بين الناس . وان (فيكتور هيزر) كان على حق لما قال ان مثل هذه التجارب « تحيز للباحث ان يستنتج ان الغذاء دخلاً في تكوين الاقوام والحفاظة على صحتها وان المعرفة المتعلقة بتأثير الطعام في الانسان كلما ازدادت ترجح ان الاقوام التي تتمتع فرصة الاستفادة من قيمة الاغذية الجديدة قبل غيرها تقلل من عقبات ارضها وتطيل معدل اعمارها وهكذا تكون الزعيمة في مستقبل الايام »





الطيران من الاسكندرية الى جنوى

صحافي يصف رحلته الجوية

للمستتر سرفى مرنين

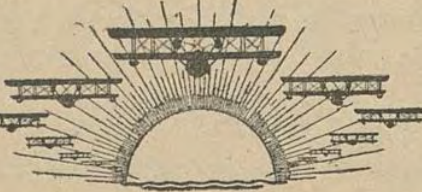
مكاتب التيمس المندنية في القاهرة

ايننا حيث تببت الليلة الثانية. وفي اليوم الثالث يتناول المسافرون الغداء في جزيرة كورفو ويقضون الليلة في نابولي ويصلون الى جنوى بعد ظهر اليوم الرابع.

فينتقل الركاب

المسافرون الى لندن

وتنقل أكياس البريد،



الى القطار الليلي الذاهب الى بال ومنها تستأنف الرحلة بطيارة الى لندن عن طريق لوبورجه وكرويدن. وهكذا يصل المسافر الى لندن بعد اربعة ايام من سفره من الاسكندرية وبعد اسبوع من سفره من الهند

ويجدر بي اولا ان اصف كيف يسافر البريد الهندي الجوي. فهو يرسل على طيارة برية الى ابوقير ثم ينقل بسيارة الى مرفأ الاسكندرية فيوضع في المكان المعد له في الطيارة المائية المسافرة الى جنوى. ومن ثم انشاء المطير في الدخيلة (غرب المكس) يستغنى عن نقل البريد بالسيارة لان المطير

جنوى في ٦ يوليو — لما عزم على السفر الى انكلترا وقطع جانب من الطريق على متن طيارة طلب اليّ رئيس تحرير المقطم

ان اوافيه بوصف رحلتي

هذه ووصف الطيارة

التي اطيح بها، وهي من

طيارات «شركة الطرق

الجوية الامبراطورية» التي تنقل البريد بين انكلترا والهند. وقد شرع في تسييرها في اواخر مارس الماضي. فقبلت بسرور تأدية هذه المهمة وخصوصاً لان هذه الرحلة كانت رحلتي الجوية الاولى فقد يعلق بذهني فيها امور يستخف بها الذين الفوا الطيران وجربوه فلا يدونونها

وأول ما لاحظته ان الطيران من الاسكندرية الى جنوى عن طريق طبروق في برقة غاية في الراحة. فان الطيارة تقضي الليلة الاولى في برقة ثم تستأنف الطيران الى خايسج سودا في جزيرة كريت فتقف قليلا فيه ليتناول الركاب طعام الغداء ثم تصل الى

يكون برياً مائياً اي يجمع بين ميدان تنزل فيه الطائرات البرية ومرفأ تحط عليه الطائرات البحرية فنقل الكياس البريد من الطائرات البرية الى الطائرات البحرية مباشرة من غير ان يصيبها التأخير الذي يقع الآن في النقل بين ابو قير والترسانة

ومقدار ما يرسل من البريد الجوي الآن من الهند وسيلان والعراق والسودان ومصر والها أخذ في الازدياد ازدياداً مطرداً . ولما كانت الاماكن التي ترسل اليها رسائل البريد الجوية متعددة فيلزم ان تراقب هذه الرسائل مراقبة دقيقة في الاماكن التي تنقل فيها من طيارة الى اخرى كالاسكندرية وجنوى وبال حتى لا يضيع شيء منها

واقبال الناس على استعمال هذا البريد الجوي لا بد ان يحمل شركة الطرق الجوية الامبراطورية في القريب العاجل على جعله مرتين في الاسبوع بدلاً من مرة واحدة كما هو الآن

كان ميعاد قيامنا من الاسكندرية في الساعة الاولى والدقيقة الثلاثين من يوم الاربعاء ٣ يوليو . فلما وصلت الى رصيف الترسانة مع امتعتي في الساعة الاولى بعد الظهر ، وجدت ان قيام الطائرة في ميعادها متعذر بسبب تأخر بريد الهند والعراق لهبوب رياح المواسم . ولكي تكون الطائرة على اهبة القيام حال وصول البريد المذكور قمت بكل ما يجب القيام به من المعاملات الرسمية فاشتر ماؤمور الجوازات على جوازي وتأكد غيره ان لدي تأشيراً بأذن لي بالدخول الى خليج سودا بكريت واثينا وكرفو لان الحكومة اليونانية — على الضد من حكومة فرنسا واطاليا وبلجيكا والمانيا — تصر على تقاضي مبلغ من المال من المسافرين الذين يمرون في بلادها مر السحاب

وبعد ذلك وزنت وامتعتي . فكل تذكرة تحول صاحبها مائة كيلو غرام من حمل الطائرة ويدخل في ذلك وزنه هو وكل ما يحمل معه . وكل ما يزيد على مائة كيلو غرام يدفع عنه اجرة خاصة . ولا بد من ابين هنا ان هذه السفينة الطائرة مسموح لها ان تحمل عدا البنزين والسائق ومساعديه والادوات واجزاء الطائرة التي قد تلزم في اثناء الرحلة حملاً لا يزيد عن طنين . وهذا الحمل يشمل الكياس البريد والركاب وامتعتهم . ولذلك يجب ان يوزن كل ما يدخل في هذا الحمل وزناً دقيقاً حتى لا يزيد حمل الطائرة عن المقدار المعين

وملاحو هذه السفينة الطائرة ثلاثة : السائق والمهندس وعامل الآلة اللاسلكية — وكلا المهندس والعامل اللاسلكي مارسا سوق الطائرة لمساعدة السائق في الاحوال الاستثنائية اما العامل اللاسلكي فهو ريان السفينة والمشرف على كل شؤون البريد والمسافرين وامتعتهم وفي كل سفينة طائرة تجدد قائمة تحتوي على أسماء المسافرين والاماكن التي يقصدون

اليها وغير ذلك من الاوراق الرسمية التي لا بد منها في كل سفينة تمخر البحر وخصوصاً بما يتعلق بحمل الطائرة وصحة ركبها والاوراق التي تخولها دخول المرفأ الذي يقصد اليه والمرسى الذي تستقر فيه. وبعد ما تمت بهذه المعاملات الرسمية قصدت الى النادي البحري الذي على مقربة من مرسى الطائرة لا تتظر قدوم البريد الهندي العراقي . ومن شرفة هذا النادي كنت استطيع ان ارى الطائرة فاعلم متى تكون على اهبة للرحيل. ولما كانت الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين وصل البريد الهندي ومعه يابانيان من كوبي فقصدنا الى الطائرة وهي من ذوات السطحين . (واما الطيارات الايطالية التي تقطع المسافة بين الاسكندرية وجنوى فن ذوات السطح الواحد) وجسمها يشبه قارباً فوقه سطحان احدهما فوق الآخر وهي مجهزة بثلاثة محركات قائمة بين السطحين ويستطيع السائق ان يديرها كما يدير اجزاء الذيل الذي يستعمل كدفة ، من مقره في مقدمة الطائرة الاعلى . وانت اذا نظرت اليها مرفرفة فوق المرفأ الذي تنوي النزول فيه ظننت انها نوع من انواع السمك الطيار فيمجبك جمال شكلها وتناسق خطوطها . وعلى كل من جانبي الجسم طوف في شكل سمكة يمكن ان الطائرة من الاحتفاظ باتزانها حين تنزل على سطح الماء او حين تحاول الهوض والطيران

وهي في الداخل رحبة تتسع لعشرة ركاب ومقاعدهم مرتبة في صفين الاول من اربعة مقاعد مفردة الواحد امام الآخر والثاني مؤلف من ثلاثة مقاعد مزدوجة وبينهما يمر يصل بين مقر السائق ومكان البريد والامتعة والمرحاض والبار الذي يحتوي على ماء يكي المسافرين ثلاثة ايام وغيره من المشروبات الروحية وما اليها . ولما كانت الطائرة تغني اولاً بنقل البريد فان الفراغ في داخلها معد لا كياسه الا ن ومقاعد الركاب فيها قليلة

صعدنا الى الطائرة فجلست في المقعد الامامي المفرد حيث تسنى لي ان امد سائي الطويلتين وكنت على مقربة من مقر السائق فكان يشير الي من حين الى آخر يديه ليفهمني اشياء عن الاماكن التي نمر فوقها . ولم يكن الكلام مستطاعاً لان هدير المحركان يصم الاذان . وهو يتخاطب عادة مع مساعديه اما بالاشارات او بصفارة او بما يخطه على سابورة او ورق . وأ كثر التخاطب مع الركاب يكون كتابة

وبعد ما استقر الجميع في اماكنهم استوى السائق في مقعده وحلت الجبال التي تربط الطائرة الى اعمدة مرساها وكانت الساعة الخامسة بعد الظهر تماماً فسارت الطائرة على سطح الماء نحو ثلاثة دقائق ثم أخذت ترتفع رويداً رويداً فأخذتني نشوة كمنشوة الراح ولم تلبث ان بلغت ارتفاع الف قدم فنظرنا الى الاسكندرية فرأيناها مدينة صغيرة نحتنا وضوت في

نظرنا المراكب الضخمة التي في المينا وسراي رأس التين وفندق سان استفانو ومحطة سكة الحديد الجديدة حتى لم نعد ننتبهها

وسارت الطائرة بسرعة مائة ميل وعشرة اميال في الساعة ، لا ترتج ولا تهتز ، فاختفت الاسكندرية عند الافق الشرقي وراءنا وبدأت امامنا والى يسارنا الصحراء الغريبة لاننا كنا نظير فوق البحر على مسافة ميل من الشاطئ . اذ لا يخفى ان الطائرة مائة فاذا اصيبت بعطل ما تمكنت من ان تنزل على سطح الماء سالمة واما اذا اضطرت ان تنزل على اليابسة فانها تحطم . وكان البحر تحتنا رهوأك انه بركة من الياقوت الازرق السائل . وفيما انا اتمتع بهذا المنظر البديع اخذ الكرى بمعاقد الاجفان فغفوت نحواً من ثلث ساعة ولما استيقظت وجدت رفاقي نائمين كذلك

وقفنا اولاً في مرسى مطروح لتبيت ليلتنا بها لان تأخرنا في القيام من الاسكندرية بسبب البريد الهندي منعنا عن مواصلة السير الى طبروق والوصول اليها قبل انسداد ستار الليل . والظاهر ان الاتفاق الذي عقد بين الحكومة الايطالية وشركة الطرق الجوية مخولاً لطياراتها الحق في استعمال المرافئ الايطالية كجنوى واوستيا وناپولي وارتنتو وبرندزى وغيرها نص على وجوب جعل طبروق محطاً رسمياً من المحاط التي تقف بها الطائرات السائرة بين الاسكندرية وجنوى . وهذا النص يطيل مدة السفر نصف يوم لان الوصول الى طبروق يحيد بالطيارات عن التزام خط مستقيم من الاسكندرية الى خليج سودا بمجزرة كريت . ولكن اذا تأخر البريد الهندي كثيراً ولم تستطع الطيارات ان تقوم من الاسكندرية بعد ظهر الاربعاء كما هو مقرر وقامت منها صباح الخميس فحينئذ فقط يؤذن لها في ان تطير رأساً من الاسكندرية الى كريت

وصلنا الى مرسى مطروح في الساعة السابعة مساءً أي بعد مسيرة ساعتين من الاسكندرية فطنا في اثناهما ٢٤٠ كيلومتراً . فحما فوقها مرتين ونزلنا في مرفئها الداخلي وهو في موقع ممتاز لجمعه مرفأً طبيعياً جميلاً . وبعد ما سرنا قليلاً على سطح الماء وصلنا الى مرسى الطائرة فاقبل علينا قارب يقل ضابطاً من ضباط البوليس برتبة قائمقام ليسألنا هل نحن في حاجة الى معوته فلما نزلنا الى البر استقبلنا الطبيب وأشهر على اوراقنا الصحية . فبتنا ليلتنا في بيت بديره رجل يدعي المستر هيلير كان قبلاً وكيل مفتش بوزارة الزراعة المصرية

واستأنفنا سفرنا الجوي في الساعة السابعة من صباح اليوم التالي فوصلنا الى طبروق في الساعة التاسعة والنصف صباحاً . وقد طرنا في جانب من هذه المرحلة فوق الغيوم فكنا

والغيوم تحتنا كانتا الملائكة في صور القديسين صاعدين الى السماء

استولى الايطاليون على طبروق قبيل الحرب الكبرى وهي ليست بلدة كبيرة ولكن بناء المباني الحديثة جار فيها على قدم وساق. وامامها خليج كبير عميق يحيط به رأس مستطيل من اليابسة جاءت رؤيته مصداقاً لما قيل عن التجاء الاسطول الفرنسي اليه حين فر من الاسطول البريطاني سنة ١٧٩٨. وبعد ما قضينا ساعة ونصف ساعة في طبروق استأنفنا طيراننا في الساعة الحادية عشرة صباحاً لنجتاز البحر الابيض من طبروق بشمال افريقيا الى خليج سودا بجزيرة كريت وكان اكثر طيراننا (اوكله) على علو الف قدم وسرعة الطائرة متفاوت بين ٩٠ ميلاً في الساعة ومائة ميل

ومضت علينا ساعة ونصف ساعة لم نر فيها شيئاً سوى الازرقين السماء والماء — وكان البحر تحتنا رهواً والهواء عليلاً والسفر في هذه المرحلة كان على اتم ما يرام من الراحة والمتعة. وقبلما اقتربنا من جزيرة كاثدو رأينا تحتنا باخرة فرنسوية كانت قد اقلعت من الاسكندرية قبيل خروجنا منها ورغمنا عن تأخرنا في مرسى مطروح وطبروق ادر كناها قبل تخطيطها كريت وقد بان لنا كخشرة صغيرة مع ان محولها نحو ١٥ الف طن وفي الساعة الاولى والدقيقة الثلاثين بعد الظهر اجتازنا جزيرة كاثدو فرأينا جزيرة كريت تبدو وراءها. واخذت الطائرة تستعد لاجتياز كريت فامتحن السائق المحركات اولاً ثم اخذ يزيد ارتفاع الطائرة حتى بلغ اربعة آلاف قدم فوق سطح البحر ثم اطلق للمحرك العنان ليجتاز الجزيرة من جنوبها الى شمالها. وفيما نحن سارون على ما يرام اذ الطائرة اهتزت هزة فجائية وهبطت، كجملود صخر، نحو ٤٠٠ قدم فادارها السائق الرابط الجأش حتى أعاد لها اتزانها وسار بها محاذياً لطول الجزيرة بدلاً من ان يحاول اجتيازها فوق سلسلة جبالها. وسبب ذلك ان المحرك الاوسط توقف عن الدوران فجأة لثقب في انبوب البنزين فلم يبق في استطاعة الطائرة ان تسير فوق الجبال — وهي طائرة مائية — بقوة محركي فقط. فراعنا ما وقع وظلّ الذعر مستولياً علينا حتى نزلنا في خليج سودا لان الطائرة ظلت تميد بنا في الفترة التي انقضت بين الحادثين وهي ساعة ونصف ساعة

فاستقبلنا في خليج سودا يخط بحاري تابع لشركة الطيران وكان قد تلقى رسالة لاسلكية من ربان الطائرة تطلع ربانه على ما وقع لنا ليكون على أهبة السفر لنجدتنا اذا اصبنا بمكروه. فتناولنا طعام الغداء فيه حيث لقينا السرارثر افانس العالمي الاثري المشهور بما كشف عنه في كنوسس من آثار الحضارة المينوية لما وصلنا الى خليج سودا لم تكن متيقتين من اننا نستطيع استئناف الطيران الى انبنا



بیریه مرفأ ائینا کما یری من الجو



ائینا وهیا کل الا کرو بلیس کما یری من الجو

مقتطف اکتوبر ۱۹۲۹

امام الصفحة ۳۰۳

ذلك المساء حتى نصلها في الوقت المعين ولكن المهندسين اكبوا في الحال على اصلاح المحرك المعطل ونحن اشتغلنا بتناول طعام الغداء لانه كان قد انقضى علينا نحو تسع ساعات منذ تناولنا طعام الفطور . وفي الساعة الخامسة والرابع قمنا بطيارتنا متجهين الى اثينا فوصلناها في الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين ومررنا في اثناء طيراننا فوق طائفة من الجزر اليونانية التي ترصع البحر . وكانت الشمس قد قاربت المغيب فافاضت على كورنثوس واثينا وما يجاورها من الاكام عسجداً ونضاراً لم ار ما يماثلهما الا على آكام طيبة بالاقصر وفي الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة عشرة من صباح اليوم الثاني طرنا من اثينا فررنا اولاً فوق رعة كورنثوس الواسعة ثم فوق خليج كورنثوس ثم فوق المدينة نفسها ثم فوق لبتو حيث انتصر حنا ملك الخمسا على الاتراك ودمر اسطولهم ثم فوق ميسالونجي حيث رقد رفات يرون الشاعر ثم فوق بتراس ومنها الى البحر الادرياتيكي فوق الجزر الابونية التي ترصع شواطئ اليونان الغربية الى جزيرة كورفو . ولما مررنا فوق جزر الثنين رأينا الاسطول البريطاني في البحر الابيض راسياً هناك ومن وحداته الطراد «ابنل» الذي ابلى رجاله بلاء حسناً في انقاذ الطائرة الاسبانية نومنشا . فلما رأنا الاميرال ارسل طيارتين صغيرتين من طراز « موث » لترافقانا الى كورفو

أما كورفو فلم نلبث فيها سوى ساعة تناولنا في اثناها الغداء ولم يتسن لنا ان نزور مكاناً من اماكنها التاريخية الجميلة . وفي الساعة الثانية بعد الظهر استأنفنا الطيران من كورفو فوصلنا بعد مسير ساعة وربع ساعة الى شاطئ ايطاليا الشرقي وفي اقل من نصف ساعة اجتزنا ايطاليا من شرقها الى غربها . ولما اقتربنا من نابولي رأينا مشهد بركان زوف من الجو وهو يقذف حممه فكان مشهداً لن ننساه . ووصلنا نابولي في الساعة الخامسة والدقيقة الاربعين بعد الظهر

ولما كان نهر الطير على اقصى جزره الآن طرنا في صباح اليوم التالي من نابولي الى جنوى رأساً من غير ان نقف في اوستيا على مقربة من روما لتناول طعام الغداء ولكننا اخذنا منا كلاً تناولناه في الطائرة وهي محلقة فوق ليثورنو . ولما وصلنا الى جنوى كنا متقدمين ثلاثة ارباع الساعة عن الميعاد المعين لوصولنا رغم ما اصابنا من التأخير مرتين . فكاننا قطعنا المسافة بين الاسكندرية وجنوى في ثلاثة ايام وساعتين منها ٢٣ ساعة من الطيران الفعلي وقد تركت هذه الرحلة في نفسي احسن أثر ولا اتردد مطلقاً في المستقبل في ان اسافر الى اوربا طياراً



بحث في التبغ وضرائبه^(١)

للمير مصطفى الشراي

مدير املاك الدولة بدمشق

—+—

﴿ تاريخه ﴾ التبغ لفظة عربت بها كلمة Tabac الأعجمية . ويقول بعض المؤلفين ان هذه الكلمة التي عم استعمالها في اللغات الاجنبية للدلالة على النبات المذكور هي مشتقة من لفظة تاباكو (Tabacco او Tabago) وهو اسم يطلق على جزيرة صغيرة من جزائر الأنتيل في اميركة يظهر ان الرواد عثروا على التبغ فيها اولاً . ويقول آخرون انها مشتقة من كلمة تاباسكو (Tabasco) وهي جزيرة أخرى واقعة في خليج المكسيك . وزعم غيرهم انها لفظة كانت يستعملها سكان اميركة الاصليون لورقة ناشفة يحاط بها نبات التبغ فاقبسها عنهم الرواد الاولون . ولقد كان للتبغ اسماء كثيرة زال استعمالها فالبرتغاليون كانوا يسمونه العشبة المقدسة والفرنسيون العشبة العجيبة وام الازجاء وعشبة الملوك وغيرها وليس لهذا النبات لفظة عربية لانه ما كان معروفاً في بلاد العرب قبل كشف اميركة وهو لم ينقل الى بلادنا (بلاد الشام) الا في اوائل القرن السابع عشر من المياد . واشهر لفظة يسميه العرب بها هي الدخان والتبن وكلاهما لا يدلان على ان النبات كان معروفاً قديماً وكذا لفظة التبنك للنوع الآخر المعروف . وذكر العلامة النباتي بوست التبغ *Nicotiana tabacum* والتبنك *N. rustica* في كتابه الشهير « نباتات سورية وفلسطين ومصر وبواديها » فقال انهما يزرعان ولم يقل انهما ينبتان طبيعياً في تلك البلاد . والذي عليه معظم العلماء لاسيما العالم النباتي دوكاندول صاحب كتاب « اصل النباتات الزراعية » هو ان مهد التبغ الاصلي في اميركة وانه انتقل منها فصار يزرع او صارت تنبت الطبيعة في كثير من الاقطار كالصين وفارس واستراليا وغيرها . وعند ما كشفت اميركة كانت مادة تدخين التبغ ومضغه والعطس به متفشية في معظم اقاليمها . ولم يكن الاميركيون الاصليون حديثي العهد بتلك العادة بل ان الآثار القديمة التي وجدت تدل على انهم كانوا يزاوونها منذ عصور عديدة . ومع ذلك فان نبات التبغ الذي كان هنود اميركة يستعملونه ابان دخول خريستوفوروس كولومبوس تلك الديار كان نباتاً برياً تنبت الطبيعة في اماكن عدة

(١) وهو موضوع محاضرة التبت في ردهة المجمع العلمي بدمشق وخص المقتطف بنشرها

دون ان يكون له حظ من تعهد السكان اياه بعناية من الغنايات . وكان الهنود المذكورون بجونه جاً جماً ويحترمونهُ كل الاحترام ويجعلونه مصدراً لكثير من الفضائل ويذهبون الى ان روحاً قدسية تحلُّ بهم اذا ما استنشقوا دخانه اللذيذ ولهذا كانوا يحرقونه كالبخور في صلاتهم وتعبدهم حتى اذا سكر كهانهم ذلك السكر الخفيف الذي يتولّد منه صحّ اعتقادهم بأن الروح التي تحمي حاتم وتدرأ عنهم عوادي الايام والليالي قد حلت فيهم وآتتهم برحة من الآلهة . وكانوا يعتقدون ايضاً ان التبغ يشفي كثيراً من العلل وانه قتال للاعداء ولذا كانوا يستخرجون منه سماً يسقون به افعال رماحهم وسهامهم . وكان دخان التبغ يشتر في جو البيوت كما اجتمع رؤسائهم لامر هام كالمداولة في صالح او قتال بين القبائل واغرب من هذا انهم كان يلفون ورق التبغ لفافات صغيرة يشدونّها الى اعناقهم او الى اوساطهم فتكون عوداً يتقون بها صروف الدهر كاللجب في ايماننا هذه

واختلف الرواة فيمن نقل نبات التبغ وبزوره الى اوربة قبل غيره فقال بعض المؤرخين ان هرمندز الطليطي ^(١) هو الذي نقله من المكسيك الى اسبانية في اوائل القرن السادس عشر من الميلاد وقال آخرون ان الفضل في ذلك يرجع الى امير الماء الانكليزي المسي درايك Drake ومهما يكن فان استعمال التبغ في اوربة ظل مقتصرأ على قليل من الناس الى اواسط القرن السادس عشر ولم يعم استعماله الا بعد ذلك التاريخ

وبقص المؤرخون عن نقل هذا النبات الى فرنسا قصة غريبة وهو انه كان للملكة كاترينا دومديسي ^(٢) سفير في لشبونة يدعي حنا نيكو ^(٣) ففي يوم من سنة ١٥٦٠ اتاه احد التجار بقليل من بزور التبغ فزرعها في حديقته وصار بمعالجتها خيراً . ولما كانوا يعتقدون في تلك الايام ان هذا النبات ينقي الدم ويزيل الصفراء من الدماغ وكانت الملكة المشار اليها مبتلاة مع ابنها بالسويداء والاختلاط الدماغية فقد ورد الى خاطر السفير ان يبعث الى ملكته بشيء من مسحوق التبغ لعله يشفيها . فاهتمت الملكة لهذه الهدية وأذاعت امرها على الشعب ففشى استعمال العاطوس في انحاء فرنسة وساد معه الاعتقاد بأنه شفاء لجميع العلل وقد كادوا يؤلهونه شأن هنود اميركا الاقدمين . ونقل التبغ من فرنسة الى سائر انحاء اوربا والجميع يبجلون هذه المنحة الالهية ولكنهم ما عتصموا ان ادركوا انهم في خطأ مبين وان التبغ لا يشفي شيئاً من العلل بل يولد كثيراً منها فأخذ بعض ملوك اوربا يضطهدون المدخنين ويُرهبونهم بالغرامات والسجن ويتوعدونهم بالقتل واحتذى الباباوات وبطارقة الروم حذوهم وكذا بعض ملوك الشرق كالسلطان مراد الرابع العثماني

(1) Hernandez de Tolède (2) Cathérine de Médicis (3) Jean Nicot

فانه أصدر ارادة سنية بأن التبغ مسكر يحرمه الدين ولهذا حق على كل مدخن ان يشرم شفتاه وعلى كل من يستعمل العاطوس ان يجده انفه واذا لم يرتدع كل منهما فجزاؤه القتل . ويروى ان السلطان محمد الرابع كان يتجسس بنفسه امور المدخنين ويتسقط اخبارهم فاذا عثر على احدهم قاده في عنقه طوقاً من ورق التبغ وأدخل في انفه (شبقاً) وصلبه وهو في هذه الحال . ويظهر ان الشاه عباس في فارس ما كان اقل قسوة من سلاطين آل عثمان . اما في روسيا فان احد دوقاتهما كان يجلد المدخن فاذا لم يرتدع جده انفه حتى اذا لم يكن هذا العقاب كافياً وأخذ مجدوع الانف وهو يدخن فجزاؤه القتل . ولكن الاضطهاد لم يجد نفعا وظلت عادة التدخين تنتشر حتى رأت الحكومات في اواسط القرن السابع عشر وأواخره ان لا قبل لها باستئصال هذه العادة وان اهون الشرين زك المدخنين وشأنهم على ان تستوفي عن زراعة التبغ وتجارته ضريبة فادحة تكون مورداً مهماً لبيت المال وهكذا احتكرت الحكومات زراعة هذا النبات وتجارته إما مباشرة او بواسطة شركات حصر الدخان

﴿تحليله وخواصه﴾ هو من الفصيلة الباذنجانية التي تشتمل على نباتات مهمة كالبنادوروى (الطماطم) والباذنجان والبطاطس والفليفله وغيرها ومن بعض نباتات هذه الفصيلة تستخرج في الطب سموم قتالة كالستركنين والاترويين والنيكوتين والتبغ الذي يزرع في الشام له ساق عشبية لزجة منتصبه تبلغ متراً واوراق بسيطة مستطيلة كاملة وبرة تحت العصب الاوسط وازهار غنقودية مرتكزة على رأس الساق وفروعها . وللزهرة كأس جرسية وتوج قعبي الشكل وردي اللون وبزور التبغ دقاق عظيمة العدد وذكر العالم النباتي « لينوس » انه عد ٤٠٠٠٠ زهرة في ثمرة واحدة والمادة الاساسية او العنصر الفعال في التبغ هو النيكوتين . وهو يستعمل لوجود هذه المادة فيه لانها هي التي تحدث شبه سكر او تخدير طفيف يسلي المدخن المكدود وبذهب بشيء من قلقه . وهي قلبي عضوي زيتي مائع يذوب في الماء لا لون له ذو طعم حريف محرق ورائحة هي رائحة التبغ بنفسها . وهي سم نافع الا انها لا تكون في اوراق التبغ مطلقاً بل تكون ممزوجة بحوامض عضوية ولهذا اذا شممتنا ورقة تبغ طرية فاننا لا نستزوح النيكوتين فيها لكننا اذا يبسنا الاوراق وجعلناها تخمر فمادة النيكوتين تنفصل عن الحوامض المذكورة فتسطع رائحتها وهي رائحة التبغ الخاصة . وكما طال زمن تبيس الاوراق واختارها نقص مقدار النيكوتين فيها وعد التبغ خفيفاً . ويختلف مقدار النيكوتين في الاوراق اليابسة من ١٠٥٠ الى ٧ في المائة من وزنها وقلما يزيد على ٢ في المائة في التبغ الذي ندخه ﴿مضاره ومنافعه﴾ : للتبغ اعداء واصدقاء فاعداؤه يزعمون انه يسبب ادواء

اما اصدقاؤه فيرون ان فوائده تفوق مضاره ولذا لا يجوز منع استعماله . ومن اقوال بعض
الاطباء اعداء التبغ ان استعماله طاموساً يؤدي الى فقد حاسة الشم . وفقد هذه الحاسة
يفسد هيئة الوجه فيصبح عبوساً مكمداً . ثم ان الذي يفرط في استعمال العاطوس يضطر
الى استنشاق الهواء من فمه فتباعد شفتاه وينتفخ فكاه وتتدلى ذقنه حتى يصير منظره شبيهاً
بنظر رجل مسكين او احمق . اما صوته فانه يختنق ويصح ويسد انفه فيكون له في الليل
شخير مزعج . وربما حصلت قروح في انفه فيصير نفسه كريهاً كنفس اشد الناس بخرأً
فتجاشاه جلساؤه وتسوء حاله في عزلة عن الخلق . ويمتد الضرر الى العين فتحمّر ويلتهب
غشاؤها الداخلي فتسيل الدموع على الخد كما يسيل مخاط اسود من الانف يوسخ الالبسة
والافراط بالتدخين لا يقل ضرراً برأي هؤلاء الاطباء عن الافراط باستعمال العاطوس
فهو يهيج غشاء الفم واللثة ويضر بالاسنان ويفسد رائحة الفم ويسبب الهضم ويقلل شهوة
الطعام وبصيب الطحال ويهيج الحنجرة ويولد في الرئة امراضاً شتى وفي القلب خفقاناً وفي
الكلى البومينا وسكراً وهو ايضا يضعف الذاكرة والذكاء وقوة العمل كما يزيد الجنون
ندرجياً . وللتدخين في نظرهم ضرر اعظم من كل ما ذكر وهو انه يفسد الاخلاق .
ذلك ان مدمني التدخين تضطرب اعصابهم ويذوي شبابهم ويسوء خلقهم فينقلب الحب
في قوسهم بنصاً والرافة حقدأً والخير شراً واطاف تولستوي الحكيم الروسي الشهير على ذلك
ان المدخنين لا يلجئون الى التدخين الا بقصد الابتعاد عن ضارهم وتخفيف وطأة تبيكتها
عند ما يقدمون على اعمال سيئة او شريرة وضرب على ذلك امثالا في شخصه فقال انه
عند ما كان يشعر بحاجة ماسة الى العمل ويرى ان العمل متعب كانت تثور في نفسه معركة
بين واجب الكدح وبين حب الراحة والدعة حتى اذا اخذ سيكارة واشعلها رجحت لديه
كفة العطالة . واذا تشاجر مع احد رفاقه فاغلظ له الكلام وهو عالم بانه لا يستحق
ذلك فالسيكارة كانت السلاح الذي تجعله يتحدى في ايذاء صديقه عن غير رغبة منه
وعند ما كان يقامر ويسخر فبالسيكارة كان يداوي نفسه اي يجعلها اقوى على احتمال
الحسرة واشجع في المخاطرة على المبالغ الكبيرة . وكما كان يخطيء او يأتي امرأً اذاً دون
ان يود الاعتراف بخطئه فالسيكارة كانت خير معاون له على التماذي في غيئه والاصرار على
انكار خطر ما اقترفه واسناد العمل الى آخرين . وهكذا يضرب تولستوي امثالا كثيرة
على اضرار التدخين لكنه لا يذكر بعد ان ابطال هذه العادة هل اصبح اقل كسلا في عمله
واوسع صدراً مع رفاقه وهل زال تعلقه بالمقامرة وصار اقل ايذاءً واكثر صدقاً ؟ هذا ما
يشك فيه . والحقيقة ان اعداء التبغ جدُّ مبالغين في اقوالهم لان كثيراً من الاضرار التي

ذكرتها لم يقم عليها دليل حسي . ويجب ان نفرق بين الاعتدال في التدخين والافراط فيه . فالاول لا يرى جمهرة الاطباء فيه بأساً يذكر اما الثاني فيرون فيه بعض اضرار ثابتة كسوء الهضم والتهاب في الصدر وضعف الذاكرة والبصر واضطراب النبض . فالتبغ اذن ليس ذلك السم القاتل الذي يجب اجتنابه دائماً بل ربما تساوت حسناته وسيئاته اذا دخن باعتدال وهذه الحسنات هي كونه يسلي المرء عن هموم الحياة ومصائبها بالسكر الخفيف الذي يحدته ويخفف سائمة العطالة في العاطلين ويزيد حب الخير ويزيل شيئاً من وطئة الحياة عن عاتق الذين انهكتهم الاعمال . ولكم كان سلوى الشيخ الهرم الذي لا يزال عالقاً بالحياة وبشرى المريض اذ يرى في لذة دخانه عودة الصحة اليه . وهو يشحن ذهنه ويسهل الاعمال العقلية ولذا ترى معظم الكتاب العلماء يدخنون حتى ان بعضهم كان يفرط في استعماله . فمن المشهورين الذين كانوا يدخنون باكون وكانت نيوتن وملتون وموسه ويرون وغوتيه وكثيرون غيرهم . اما فيكتور هوغو وكوته واسكندر دوماس فما كانوا يدخنون . وكان تولستوي يدخن في شبابه ثم ترك التبغ وصار عدواً له . ولقد اجمع معظم اطباء الاسنان على ان دخان التبغ يفيد اسنان المدخنين لانه يقتل بعض جراثيم تعيش في افواههم . وهم لا يبتلون بسوس الاضراس الا بعد غيرهم وذكر بعض الاطباء ان القليل منه يزيد الشهوة الى الطعام كما يسكن بعض ما يصيب جهاز الهضم من التهيج

ومما لا مرية فيه ان ترك التدخين بتاتاً هو انفع الحالات لاسيما اذا كان المدخن ضعيف الارادة لا يكتفي بتدخين عدد معتدل من السيكارات في اليوم . لكنه اذا كان لا بدً للانسان من شيء يخدر به اعصابه فالتبغ اقل الاشياء المخدرة ضرراً فشان منه وبين المشروبات الكحولية المختلفة — الحشيش والافيون والمورفين والنيكوتين واضرارها من السموم القتالة — ومن القواعد الصحية التي يجب اتباعها اجتناب التدخين على الريق او في غرفة مغلقة ابوابها ونوافذها لاسيما عند ما يكون عدد المدخنين فيها كبيراً . ويجب اجتناب بلع الدخان فلا يبلغ الرئة ولا يتجاوز الخنجر . ويفيد استعمال « قم السيكارة » واجودها اطولها لانها تحمل مقداراً من النيكوتين اكبر . وعلى الذين يدخنون السيكارة ان يرموا بها قبل ان يبلغ الاحتراق منها لان النيكوتين يجمع رويداً رويداً في عقبها اثناء تدخينها فيكون الدخان هنالك اغنى بتلك المادة منه في رأسها ويختلف عدد السيكارات التي يجوز تدخينها في اليوم باختلاف امزجة المدخن ويرى كثير من الاطباء ان ١٢-١٥ سيكارة هي منتهى حد الاعتدال في الاحوال العادية . ومهما يكن فان على الاولاد والشبان والنساء ان يجتنبوا التبغ وكذا المبتلون بامراض في عيونهم او افواههم او حناجرهم (لها بقية)



الشارقياني

مكتبة اكتوبر ١٩٢٩
إمام الصفحة ٢٠٩

شعر التصويب

الشاريفاري

CHARIVARI

(من نقش لورا نايت — Laura Knight ، وقد عرضت حديثاً في الاكاديمية الملكية بلندن)

في صفحة تجدد الغرائب جمعت
 نقشت بريشة من تناهت رقة
 عشرات أمثلة لدنيا صورت
 من راقصات في الهواء بخفة
 ومصعدات دون خشية سقطه
 ومن الخيول الجامحات وما اعتدت
 ومن افتنان الواقفين على شفا
 الساكنين على الكرات تدحرجت
 ومن القروء مع الكلاب يزينها
 وبدت عجول البحر في لعب لها
 وغدا ألوف الناظرين كأنهم
 تنوزع الأضواء حولهم كما
 ويتابعون بغير منجح ما سبأ
 وكان هذا النقش جاء مسجلاً

للآعين المبدعين فنونا
 واستوعبت ما حير المفتونا
 رأساً على عقب ، فكأن جنونا
 فوق الحبال وما اتقين منونا
 وجهلن من بين الحبال خوونا
 الواثبات القاحات حصونا
 موت ، وكان بحذقهم مأمونا
 والجاعلين من المسير سكونا
 فيل تفرّد بالغرور مجونا
 تحت الصوالج كالرجال فتونا
 أخذوا بما جعل الرؤوس بطونا
 يتوزعون تطلعاً وكمونا
 همماً ، وأذاناً لهم ، وعيوناً
 في روح إعجاز رؤى وظنونا

ابو سادى



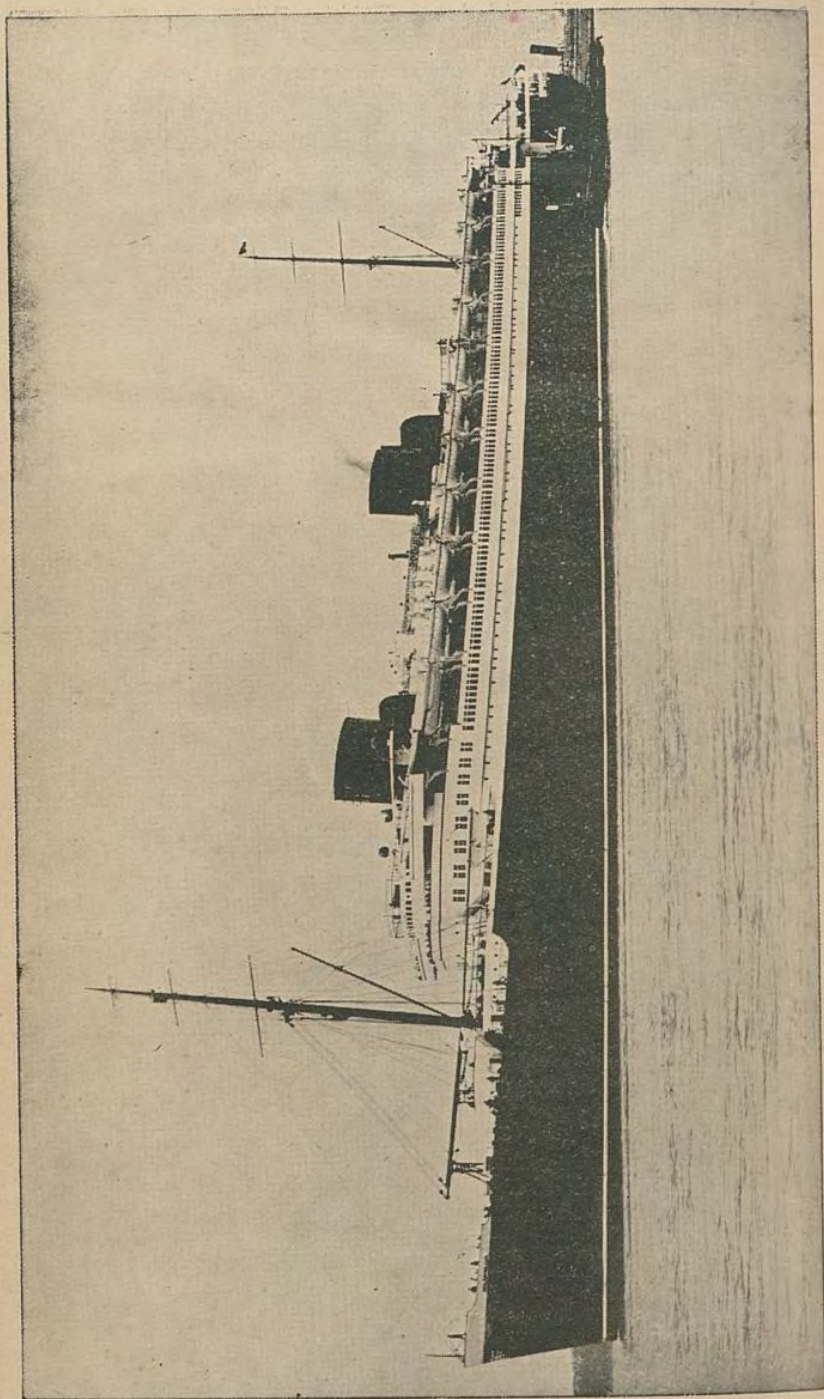
عودة الالمان الى ميدان التنافس البحري : التجاري والحربي

الباحرة « برمن » والطراد « ارساتس پرسن »

السياح البحري

نشرت احدى الصحف الانكليزية سنة ١٨٢٩ مقالة قالت فيها ان باخرة انكليزية فازت بعبور المحيط الاطلنطي من لثربول الى نيويورك في ١٦ يوماً والمسافة بينهما نحو ٣٢٠٠ ميل . فهلت لهذا الفتح العظيم في ميدان المواصلات البحرية وكبرت لان متوسط سرعة الباخرة في اليوم الواحد بلغ مائتي ميل وميلاً واحداً اي ان متوسط سرعتها في الساعة كان نحو ثمانية اميال بحرية ونصف ميل . وفي سنة ١٨٣١ اقلعت سفينة بحارية من مرفأ بورسموث محمولا ١٨٠٠ طن وطولها ٢٩٥ قدماً فوصلت نيويورك بعد مسيرة خمسة عشر يوماً وبلغ اقصى سرعتها ثمانية اميال بحرية في الساعة . مع ذلك اطلق عليها ابناء ذلك العصر لقب « جبارة البحار » وأعربوا عن إعجابهم العظيم بسرعتها الفائقة اما الآن وقد انقضى نحو قرن على هاتين الحادتين فانك ترى في اسطول بريطانيا التجارية باخرة طولها ٩٥٦ قدماً وعرضها مائة قدم وتفرغها ٥٦ الف طن وقوة الآلة ٦٧ الف حصان ومتوسط سرعتها ٢٣ ميلاً بحرياً في الساعة . هذه هي المتجسك التي تمخر المحيط بين سوثمن ونيويورك في نحو خمسة ايام . ويزاحم المتجسك على المقام الاول بين بواخر العالم الباخرة الاميركية المدعوة «لويثان» . وفي الاسطول الانكليزي على المتجسك باخرة اخرى محمولا ٥٢ الف طن هي «البرنجاريا» وباخرتان اخريان محمول كل منهما يربي على ٤٦ الف طن هما «الاولميك» و«الاكويثانيا» والاخيرة من اخفم البواخر التي تشق عباب اليم . والغريب ان البواخر الثلاثة الكبرى — متجسك ولويثان وبرنجاريا — هي بواخر المانية استولى عليها الحلفاء بعد الحرب الكبرى وعوضوا بها شركات الملاحة الكبرى لقاء ما فقدته في حرب الغواصات من سفنها

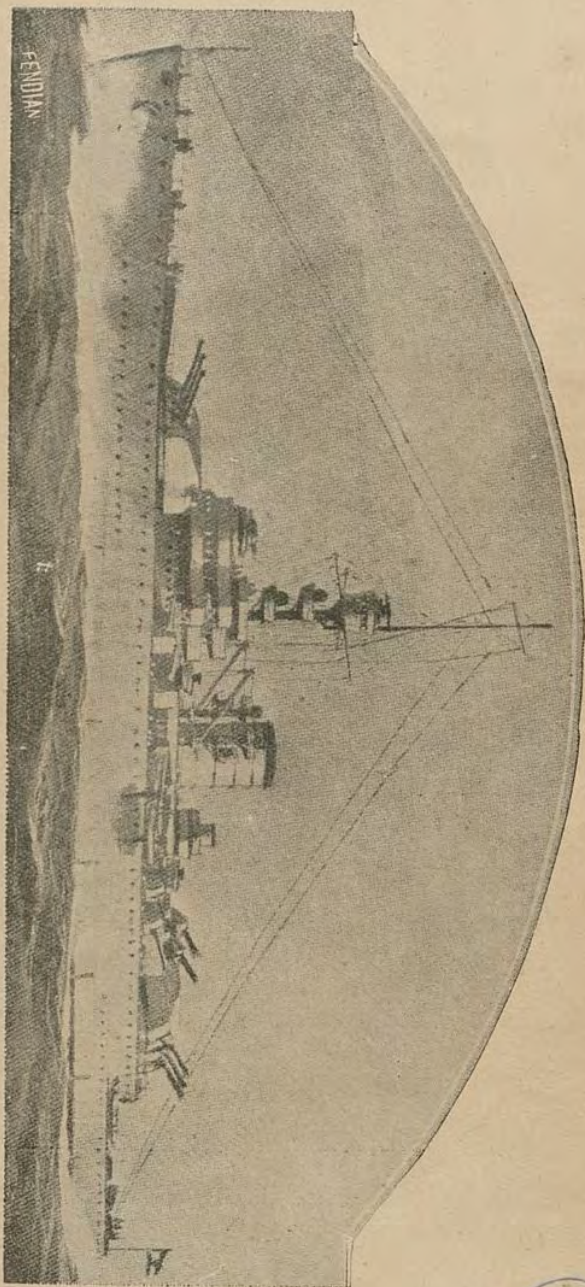




البخرة الألمانية « برمن » أسرع البواخر التي تمخر عباب اليم

مقتطف أكتوبر ١٩٢٩

امام الصفحة ٣٨٠



الطراد « ارساتس بروين » الالاني

مقتطف أكتوبر ١٩٢٩
إمام الصفحة ٣١١

على ان شركة كونارد الانكليزية تملك باخرة انكليزية قلباً وقالباً تدعى الموريتانيا هي اصغر قليلاً من السفن المذكورة آنفاً فلا يزيد حجمها على ٣٢ ألف طن ولكن شهرتها قائمة على سرعتها. فلقد انقضى عليها عشرون سنة وهي مالكة لقصب السبق في السرعة بين السفن التي تجاز المحيط الاثنتيني. فازت به اولاً سنة ١٩٠٩ اذ بلغ متوسط سرعتها في يوم كامل ٢٧ ميلاً بحرياً في الساعة. ويقال انها دعت مرة باللاسلكي لاجثة احدى البواخر المربعة الى نجدها فبلغت سرعتها ٢٩ ميلاً بحرياً في الساعة. ولكن العبء بمتوسط السرعة في الساعة في اثناء الرحلة كلها لا في ساعة او ساعتين منها. وقد ظلت الموريتانيا سيدة البواخر المربعة الى ان انزعت « البرمن » الالمانية هذا الفخر منها في شهر يوليو الماضي اذ بلغ متوسط سرعتها من مرفأ نيويورك الى مرفأ شوبورغ ٨٣، ٢٧ الميل البحري في الساعة، وبلغ متوسط سرعتها في اثناء يوم واحد من رحلتها الاولى ٢٩ ميلاً بحرياً في الساعة وينتظر ان يزيد متى زالت آثار الجدة من آلاتها واستقرت على حالها الطبيعي فيبلغ ٢٩ ميلاً بحرياً للرحلة كلها

الباهرة الالمانية « برمن »

يبلغ طول الباهرة « برمن » ٩٣٨ قدماً واذا حسب طولها بين اقصى نقطتين في مقدمها ومؤخرها بلغ ٩٦٠ قدماً فتكون بذلك اطول البواخر وتنفوق المتجسستك بأربع اقدام. ومحورها نحو ٥٠ ألف طن وقوة آلاتها ١٣٠ ألف حصان. يقابل ذلك ٧٦ ألف حصان في البرنجاريا و٧٥ ألف حصان في الموريتانيا و٦٦ ألف حصان في المتجسستك ولا يفوقها في قوة آلاتها بين السفن التجارية والحربية الا الطراد هود الانكليزي اذ تبلغ قوة الآلة ١٤٤ ألف حصان وحاملتا الطيارات الاميركيتان سراتوغا ولكسنتون اذ تبلغ قوة الآلات في كل منهما ١٨٠ ألف حصان. وفيها متسع لآل في مسافر و ٩٥٠ من البهارة. اما ما تحمله من المؤونة والطعام لركابها وبحارتها فيكاد يكفي مدينة متوسطة. فقد اخذت في رحلتها الاولى مائة ألف رطل من اللحم وثلاثين ألف رطل من السمك وخمسة وثلاثين ألف رطل من لحم الطير وعشرة آلاف رطل من الخبز وخمسة وأربعين ألف رطل من البقول وأربعة آلاف وثلاثمائة رطل من البن وثلاثمائة رطل من الشاي وستائة رطل من الشوكولاته وسبعة عشر ألف ونحو خمسمائة لتر من اللبن ونحو ألفي لتر من « الكريمة » و ١٥٠ ألف رطل من الزبدة والف في رطل من الشحم وما يمتاز به سطح بني على دكتها العليا تستطيع الطيارات ان تحط عليه وتطير منه.

فاذا قاربت الباخرة مدينة نيويورك مثلاً أي متى صارت على نحو ٦٠٠ ميل منها وضعت في الطائرة ايكاس البريد المستعجل فتطير الى نيويورك في نحو خمس ساعات بدلاً من يوم كامل او اكثر تقضيه الباخرة في اجتياز هذه المسافة

وقد جهزت بأشهر اساليب الرياضة الحديثة ومعداتھا . منها بركة من الماء مبنية بالاجر المطلي فيها ماء يطهر تطهيراً كيمياوياً وتحفظ حرارته على درجة معينة . وفيها أيضاً حمامات للعلاج الطبي مما لا يوجد عادة الا في مدن المياه المعدنية . وفيها ردهة كبيرة للجمناستك وميدان للجولف وصالة تدار مرقصاً ليليّاً (كاباره) وغير ذلك من اسباب السلى والرياضة البدنية

هذا غير ما تجده فيها من دكاكين الحلاقين والحياطين والادوية ومستشفى صغير مجهز بأحدث ادوات الجراحة والعلاج . وعدا ما في غرفها من اسباب الراحة والرفاه . فثاءة وثمانون من غرفها مجهزة بغرف خاصة للحمام

عودة المانيا الى الميراث

وفوز «البرمن» ليس امراً خطيراً بذاته مع ان كل شركة كبيرة من شركات الملاحة تترامح عليه لانه بمثابة اعلان عالمي عن بواخرها . ولكنه خطير بما يدل عليه . ذلك ان اسطول المانيا التجاري كان في المقام الثاني بين اساطيل الامم التجارية لما شبت الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ وكان مجموع حمولة سفنه خمسة ملايين من الاطنان . ومنها أشهر البواخر في العالم واضخمها . وكانت شركة همبورغ اميركا تملك من السفن ما محمله مليون طن واربعائة الف من الاطنان . وشركة نور دويتشر لويد تملك ما محمله مليون طن . وكانت هذه السفن تشق البحار رافعة العلم الالماني الى مرافئ اقصى البلدان وادناها تحمل اليها البضائع الالمانية ولكن الحرب الكبرى وفوز الحلفاء فيها قضى على كل ذلك . فجردت المانيا من هذا الاسطول العظيم الا السفن التي محمول السفينة منها الف طن او اقل ونصف السفن التي محمول السفينة منها ١٨٠٠ طن . وكان كل ما ترك لا يزيد محمله على نصف مليون من الاطنان . فافقرت بعد ذلك مرافئ برمن وهمبرغ وكانت تنبض بالحياة وخيم السكون على ارضيتها البحرية ودور صنعها . وانزلت الراية الالمانية من اعلى انغم البواخر وانغرها فصارت الباخرتان «بسارك» و«امبراطور» انكليزيتين تدعى الاولى «المتجسستك» والثانية «رينجباريا» واستولى الاميركيون على الباخرة «فاترلند» وسموها «لويثان» واقسم الحلفاء سائر السفن بينهم . وصار الانكليز اذا مروا في لندن امام مكاتب «همبورغ اميركا»

او «نوردويتشر لويده» يشيرون اليها بقولهم : هذه مكاتب الشركات التي كانت تدعى كذا وكذا وهكذا ترى ان الألمان اجالوا النظر سنة ١٩٢٠ في اسطولهم التجاري فوجدوه عُشر ما كان عليه قبل الحرب وتفقدوا سفنهم فرأوا ان اكبر سفينة عندهم لا يزيد حمولها على ألف من الأطنان. فهبطت بذلك ألمانيا من المقام الثاني بين الدول التجارية البحرية الى دون المقام السادس . وبعد ما كانوا لا يعترفون الا بتفوق انكلترا عليهم في هذا الميدان صار لابد لهم من الاعتراف بتفوق انكلترا والولايات المتحدة وفرنسا وايطاليا واليابان عندئذ ، والقنوط مستحکم من النفوس ، شتم الألمان عن سواعدهم لاعادة ما كان . والناظر اليهم حينئذ ، وحال السياسة في بلادهم مضطرب كل الاضطراب ، واسعار النقد تتدهور يوماً يوماً الى حضيض الافلاس ، ما كان يستطيع ان يرى بارقة امل في فوزهم بما يطمحون اليه وعودتهم الى المكان الذي كانوا ينزلون فيه قبيل الحرب

ولكن لفظ «مستحيل» لا يوجد الا في قاموس الحيان . فلم تنقض الآن الا سبع سنوات منذ شرع الألمان يحاولون بناء اسطولهم التجاري ومع ذلك تراهم وقد بنوا ما يحمله اربعة ملايين من الأطنان اي اصبحوا يملكون الآن اسطولاً هو اربعة اضعاف اسطولهم قبل الحرب . فسبقوا بذلك اليابان وفرنسا وايطاليا وصار مقامهم بين الدول البحرية التجارية بعد بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية . ولما كانت الولايات المتحدة غير معنية بتجديد اسطولها التجاري واستبدال البواخر القديمة ببواخر جديدة للاحتفاظ بمكانتها فالمرجح ان تسبقها ألمانيا قريباً في هذا الميدان . والى القارئ محمول السفن التي بناها الألمان بعد الحرب

محمول الاسطول التجاري	محمول الاسطول التجاري
١٩٢٥ ٨٣٠٠٠٠ ٢ طن	١٩١٤ ٢٠٠٠٠٠ ٥ طن
١٩٢٦ ٩٠٠٠٠٠ ٢ »	١٩٢٠ ٥٠٠٠٠٠ — »
١٩٢٧ ١٢٥٠٠٠ ٣ »	١٩٢١ ٦٥٥٠٠٠ — »
١٩٢٨ ٥٠٠٠٠٠ ٣ »	١٩٢٢ ٧٨٥٠٠٠ ١ »
١٩٢٩ (تقدير) ٢٠٠٠٠٠ ٤ »	١٩٢٣ ٥١٠٠٠٠ ٢ »
	١٩٢٤ ٦٧٠٠٠٠ ٢ »

وزهرة هذا الاسطول الجديد الذي اودعه المهندسون الألمان زبدة علمهم واختبارهم في «البرمن» . لذلك قلنا ان فوزها خطير لما يدل عليه . وهو يدل على ان الألمان قد عادوا الى ميدان التنافس التجاري البحري وهم الامة المغلوبة ، فتخطوا اكثر الحلفاء المتصيرين

الطراز « ارساتس برويسن »

غلبت المانيا على امرها في الحرب الكبرى فجرت من اسطولها الحربي كما جردت من اسطولها التجاري وقضت معاهدة فرساي بان لا يسمح لها ببناء بارجة يزيد تفريغها على عشرة آلاف طن ولا يعدو قطر مدافعها احدى عشرة بوصة. قضوا بذلك وهم يعلمون ان استعمال مدافع هذا قطرها في بارجة من هذا التفريغ متعذر لقوة المدافع وصغر البارجة ثم عقدت معاهدة وشنطن البحرية فاتفقت فيها الدول البحرية — بريطانيا والولايات المتحدة واليابان وفرنسا وايطاليا — على الكف عن بناء طرادات تفريغ الطراد منها اكثر من عشرة آلاف طن وقطر مدافعه اكثر من ثمانى بوصات . على ان المانيا لم تدع للاشتراك في هذا المؤتمر ولا هي وقعت على المعاهدة فهي والحالة هذه في حل من قيودها

ولذلك اكبر مهندسوها على بناء بارجة تكون اقوى ما يمكن بناءه ضمن الحدود المعينة في معاهدة فرساي . فكانت البارجة « ارساتس برويسن » . ويقال ان بناءها لا بد ان يغير وجهة المسألة البحرية ويقلبها رأساً على عقب اذا لم تسرع الدول البحرية الى دعوة المانيا للاتفاق معها على خطة واحدة

ذلك ان هذا الطراد اذا قيس بالطرادات التي بناها الحلفاء بحسب مقتضيات معاهدة وشنطن كان متفوقاً عليها لان دروعه امتن من دروعها واصلب ومدافعه اضعف من مدافعها وابعد مدى فاذا اشتبك معها في معركة حربية تمكن من ان يصيبها بمدافعه قبلما تقترب اليه . واذا تمكنت هذه الطرادات من اللحاق به لانها اسرع منه فدرعه السميك المتين يقيه من فعل قنابلها حتى لقد قدراكابتن بروكتر احد مهندسي البحرية الاميركية ان هذا الطراد يستطيع ان يشتبك في القتال مع ثلاثة من الطرادات التي بنيت بحسب شروط معاهدة وشنطن ويخرج من المعركة ظافراً

فهو مجهز بستة مدافع قطر كل منها ١١ بوصة وهي قائمة في ثلاث طواب ومدى كل منها ١٧ ميلا والطوابي عالية تمكن المدفعين من استعمال هذه المدافع ولو كان البحر ثائراً والوج يتلاطم ويتدافع جبلاً . وقد ثبت في اثناء الحرب الكبرى ان المدفعين الالمان اتفقوا الرماية حتى تفوقوا فيها على الانكليز . فاذا اعتبرت ذلك واذا اعتبرت ان قبليتين او ثلاث قنابل من مدفع قطره ١١ بوصة تستطيع ان تدمر طراداً من طرادات معاهدة وشنطن اذا اصابت في المقتل ، ادركت قوة هذا الطراد الالمانى الجديد

على ان قوته الحربية لاتهمنا في هذا المقام قدر ما يهمنا ما ادخل فيه من المبادئ الجديدة في الهندسة البحرية وهي ثلاثة :

اولاً. اتقن الالمان صنع آلة ديزل وهي آلة الاحتراق الداخلي التي تحرق البترول وقوداً. ولكن ما استعمل منها في البواخر ثقيل اذا قيس بما يولده من القوة. فطراد كالارساتس برويسن يحتاج الى قوة ٥٠ الف حصان لكي تسيره بسرعة ٢٦ ميلاً بحرياً في الساعة. ولكن اشهر البواخر المبنية على هذا النمط لم تستعمل آلات تزيد قوتها على ٢٠ الف حصان ومع ذلك فان متوسط وزن الآلات لكل حصان تولده يتراوح بين ٦٥ رطلاً و ٢٠٠ رطل للحصان الواحد. فاذا اعتبرنا متوسط ذلك وجب ان يبلغ وزن آلات ديزل في طراد كهذا ٣٣٠٠ طن اي ثلث تفريغ الطراد كله. وهذا مستحيل. لذلك عني المهندسون الالمان بانقان آلة ديزل حتى يقل وزنها بزيادة قوتها فتمكنوا من ان يصنعوا لهذا الطراد آلات لا يزيد متوسط وزنها عن ١٧ رطل ونصف رطل لكل حصان تولده. وهذا تقدم عجيب دهش له المهندسون في مختلف البلدان

ثانياً ان صغر حجم الآلات وخفة وزنها مكن المهندسين من توسيع الاحواض التي يحمل فيها الوقود اللازم للآلات. وزيادة هذا الوقود يمكن الطراد من ان يسير مسافة طويلة جداً من غير ان يلجأ الى المرافئ ملء احواضه. فالطراد ارساتس برويسن يستطيع ان يسير مسافة ١٠ آلاف ميل بسرعة ٢٠ ميلاً في الساعة. وهذا ما لا تستطيعه باخرة او بارجة اخرى. فيتمكن بذلك من العبث بالبواخر التجارية في اثناء الحرب من غير ان يضطر الى كثرة الالتجاء الى الموانئ طلباً للوقود. ومن يعرف قصص الطراد امدن الالمان وما اغرقه من البواخر يستطيع تقدير الضرر العظيم الذي يلحقه طراد من هذا الطراز بتجارة البلدان المتحاربة

ثالثاً ان دروعه كلها من الصلب المتين وخصوصاً ما يحيط منها بالآلات التي تسيره فتقيها من قنابل الطائرات التي قد تقع على دكتته. اما جسم الطراد المغمور بالماء فمقسّم الى غرف صغيرة لا ينفذها الماء. فاذا رمي بطوربيد لم يتعرض للغرق لان الماء لا ينفذ الا الى الغرف التي خرقتها الطوربيد

بعد النظر في كل هذه الامور كتب المستر هاي بايوور الخبير البحري المشهور مؤداه: اني لا اتردد في القول بان هذه الطرادات الالمانية هي اعجب السفن الحربية التي بنيت في العشرين السنة الاخيرة. والامر الذي لا ريبه فيه اني لا اعرف اسطولا مبنياً وفقاً لشروط معاهدة واشنطن يستطيع ان يكافح طرادات من طراز الارساتس برويسن اذا انطلقت تعبت بالسفن التجارية في عرض البحار



مِنْ جَدِيدَةِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ

مناظرة الكسائي وسيبويه

مسألة العقرب والزنبور

« وليس يخلو امرؤ من حاسد أضم * لولا التنافس في الدنيا لما أضما
والغبين في العلم اشجى بحنة علمت * وأبرح الناس شجواً عالم هضمها »
« حازم القرطاجني »

كان من أثر المناظرة التي قامت بين الهمداني والحوارزمي ^(١) ان الحوارزمي مات بعد قليل من الزمن ولم تحتمل شيخوخته تلك الصدمة العنيفة . وكان من أثر المناظرة التي قامت بين الكسائي وسيبويه ان سيبويه مات كمدأ وهو في ريعان شبابه وحين نشاطه — كما يقولون — ولم يحتمل شبابه تلك الهزيمة القاتلة . وليست الطرق التي لجأ إليها الكسائي لينتصر بها على منافسه سيبويه — أو على الاصح إهدم بها شهرته — بأقل شناعة وقسوة من تلك الطرق التي سلكها الهمداني للتغلب على الحوارزمي والانتصار عليه ولقد قلنا في المناظرة السابقة إن الهمداني قد أعدَّ عدته وهياً لنفسه كل اسباب الانتصار والفوز على خصمه وزجَّ به في مجلس كله خصومة ولدد ، ونقول في هذه المناظرة إن الكسائي لم يقصر في اعداد كل الوسائل لهدم سيبويه ولم يتعفف عن شيء في سبيل الانتصار عليه . ^(٢) واذا كان الهمداني قد لجأ الى تملق شهود المناظرة لينصروه على الحوارزمي واشترى ذممهم بهذه الحيلة فان الكسائي قد لجأ ايضاً الى نفوذه وجاهه وماله واتخذ من صداقته للبرامكة وكونه مؤدب اولاد امير المؤمنين وسيلة للتغلب على سيبويه ولئن شكونا في المناظرة السابقة قلة المصادر التي نرجع إليها في تحقيقها ولم نجد غير رواية الهمداني نفسه — وهي رواية خصم عن خصمه — فان ما نشكوه في هذه المناظرة هو تعدد المصادر وكثرتها وتبان رواياتها وأثر التعصب فيها وتعمد التشويه على ان هذه الروايات — رغم اضطراب بعضها واختلافه في التفاصيل — متفقة في

(١) راجع مقتطف يوليو سنة ١٩٢٩ ص ٥٥ (٢) قالوا : « وقد ارشى الكسائي العرب — وكانوا جماعة من المسترزقة الذين كان يمولهم — على ترجيح جانبه »

الاساس والجوهر—فهي من اية ناحية رأيت وبأية رواية اخذت—تدل على ان سيبويه قد ظلم وان الحق كان في جانبه ، فقد اجمع علماء النحو واللغة —في زمن سيبويه وبعد زمنه— على ان الصواب ما قال وأن الكسائي كان في الجانب الخاطئ . ولم يشذ عن هذا الاجماع الا شيعة الكسائي والطامعون في ماله او جاهه والمحسوبون عليه وذوو الحاجات وطلاب الما رب الذاتية

ولست هذه المناظرة على الحقيقة — إن صح أن نسميها مناظرة — إلا فضالاً بين مذهبين وحرراً بين مدرستين ، مدرسة الكوفيين ومدرسة البصريين اساتيدهم ، مثلتين في شخصي الكسائي زعيم علماء النحو في الكوفة وشيخ مدينة السلام ، وسيبويه زعيم علماء النحو في البصرة وتلميذ الحليل بن احمد سيد اهل الادب—كما كانوا يلقبونه— وقد لعبت الاهواء من سياسية وغيرها في تغليب رأي الكسائي على رأي سيبويه^(١)

على ان فضل سيبويه ذاتع—رغم انتصار الكسائي عليه—وكتابه الذي افه في النحو لم يزل جدته الى اليوم ولا يزال كتاب نحو وأدب معاً وأسلوبه في اعلى طبقات البلاغة ، وقد كان المبرد يقول لمن يريد ان يقرأ عليه كتاب سيبويه : «هل ركب البحر ؟» تعظيماً لشأنه ، وكان الزجاج^(٢) يقول : «اذا تأملت الامثلة من كتاب سيبويه تبينت انه اعلم الناس باللغة» وقال الجرمي^(٣) : «انا منذ ثلاثين سنة افتي الناس في الفقه من كتب سيبويه»^(٤) وقال المازني : «من اراد ان يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح» وقد كتب سيبويه هذا الكتاب الخالد في الوقت الذي كان فيه الكسائي منصرفاً الى المناصب والاتصال بالخليفة والدعاية لنفسه بأنه العالم الفذ الذي استنفد خمس عشرة قينة حبراً في الكتابة عن العرب وأن هذا زيادة على ما حفظه ، الى آخر هذه الدواوى الفارغة التي لا يعنى بها المنصرفون الى العلم حقاً والتي هي اشبه بالاعلانات التجارية ، وهذا اسلوب فذ في الدعاية لجأ اليه الكسائي—في جملة ما لجأ— للوصول الى الشهرة

واذا رأينا علماء اللغة وأئمة النحو يحترمون سيبويه ويقررون مذهبه ، رأيناهم—على العكس من ذلك—ينفرون من مذهب الكسائي ويرون فيه افساداً للغة واضاعة للنحو قال ابن درستويه : «كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله أصلاً يقيس عليه حتى افسد بذلك النحو»

(١) كان العباسيون يقربون منهم الكوفيين لانهم نصرهم في دعوتهم وكان لهذا الاعتبار اكبر الأثر في اتصالهم بالخلفاء (٢) ابو اسحق الزجاج (٣) ابو عمر الجرمي (٤) يريد بذلك انه تعلم منه النظر وطريقة البحث الدقيق

وقال الاصمعي: «أخذ الكسائي اللغة عن اعراب من الحطمة ينزلون بقطر بل، فلما ناظر سيبويه استشهد بلغتهم عليه». وقال محمد اليزيدي:

كنا نقيس النحو فيما مضى على لسان العرب الاول
فجاء اقوام يقيسونه على لنى اشياخ قطر بل
فكلهم يعمل في نقض ما به يصاب الحق لا يأتلى
إن الكسائي وأصحابه يرقون في النحو الى اسفل

وقال الزجاج: «أي انصاف في الرجوع الى اعراب وفدوا لحاجتهم، وسيبويه رجل غريب وأخصامه اهل البلد والدولة، وانما الحكم العارف بالفصيح وغيره، وقد لا يعرف الاعرابي إلا لغته الشاذة» الى آخر هذه الآراء

وقد اشار المعري الى تحامل الكسائي على سيبويه — في رسالة الغفران — وألمع الى بعض المناظرات التي قامت في ذلك العصر الحافل بالمناقشات والمناظرات بين علمائه، فقال في معرض الكلام على تناسي الحسائك والاحقاد في اللجنة بين ألد الخصوم: — «فصدر احمد بن يحيى^(١) هنالك قد غسل من الحقد على محمد بن يزيد^(٢) فصارا

يتصافيان ويتوافيان

«وأبو بشر عمرو بن عثمان «سيبويه» قد رحضت سويداء قلبه من الضغن على «علي ابن حمزة الكسائي» وأصحابه لما فعلوا به في مجلس البرامكة وأبو عبيدة صافي الطوية لبعد الملك ابن قريب^(٣)، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب: سلام عليكم بما صبرتم فنعيم عقبي الدار»

كيف كانت المناظرة

لم يكد يرد سيبويه الى العراق حتى شعر الكسائي أن مكاتبة العلمية في خطر وأن منافساً جديداً يحاول ان يغتصب منه مقام الزعامة. قالوا: وشق امره على الكسائي فأتى يحيى وجعفر بن برمك وقال: «أنا وليكما وصاحبكما، وهذا الرجل إنما قدم الى العراق ليذهب محلي». قالوا: «فاحتل لنفسك فإننا سنجمع بينكما»

وهكذا دبرت المؤامرة في بيت البرامكة لهدم سيبويه، فلما حان الموعد حضر سيبويه وحده وجاء الكسائي ومعه الفراء والاحمر وغيرها من اصحابه، فسأله الفراء عن مسألة فلم يكد يجيبه عنها حتى قال له: «أخطأت» وسأله عن ثانية فاجابه فقال له «أخطأت» ثم سأله عن ثالثة وقال له: — «أخطأت»

فقال له سيبويه: — «هذا سوء ادب منك»

فقال الفراء لصاحبه — « يظهر ان في هذا الرجل عجلة ، وحدة »
وسأله الآخر عن عدة مسائل فكان يخطئه في كل جواب يفوه به . قالوا — : فلم
يرسيبويه إلا ان يكف عن مناقشتها . وهنا يقول له الكسائي — ولعلك تلمح في جملته معنى
التحقير والاسنصار — « يا بصري كيف تقول : —

« كنت اظن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي ، او فاذا هو إياها ؟ »
قال — : « أقول فاذا هو هي » . فأقبل عليه الجمع فقالوا اخطأت ولحنت
وفي هذا مثال من التهويش والتحامل على سيبويه
وهنا يقول يحيى بن خالد بن برمك : « هذا موضع مشكل فمن يحكم بينكم » . فقال الكسائي :
« هؤلاء الاعراب على الباب »

فادخل ابو الجراح ومن وجد معه ممن كان يأخذ منه . فقال لهم الكسائي : كيف
تقولون : « قد كنت احسب ان العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا الزنبور اياها بعينها »
فقال طائفة — : « فاذا الزنبور هي »

وقالت اخرى — : « فاذا الزنبور اياها بعينها »

فقال الكسائي : — « هذا خلاف ما تقول يا بصري »

وهنا يقبل يحيى رب الدار على سيبويه — وهو الغريب المستوحش — فيقول له ما يشعره
بأن صاحب الدار من رأي الكسائي وشيعته : « قد تسمع أيها الرجل »
فلا يكاد يسمع سيبويه هذه الجملة حتى يستكين . ويسرع الكسائي الى يحيى فيقول له
حتى بطمن على أن المناظرة قد انتهت وأن الغلبة قد تمت له : « أصلح الله الوزير لقد وفد
عليك من بلده مؤملاً فان رأيت ألا ترده خائباً ؟ » فيأمر له يحيى بعشرة آلاف درهم
وكأنما ألف الكسائي أن يصطنع الناس بالمال ليضمن لنفسه اقرارهم بزعامته العلمية التي
بسي الى الانفراد بها عند الخليفة ، ولعله حسب أن هذه المنحة تنسى سيبويه تلك
الصدمة العفيفة التي سببها له ، على ان الكسائي طالما اشترى بالمال ألسناً وذمماً

ألا ترى الى الاخفش يذهب الى الكسائي غاضباً — بعد ان أخبره سيبويه بما حدث له
معه — فيسأل الكسائي وهو بين تلاميذه ويخطئه في كل جواب يقوله . فهم تلاميذ الكسائي
بصريه فيمنعهم من ذلك — خوفاً من ذبوع امره — ويقبل عليه يعانقه متحياً اليه ويعهد
اليه بتعليم اولاده ويرشوه بالمال فينسيه بذلك ثار صديقه سيبويه

وقد كان من بين تلاميذ الكسائي من هو أعلم منه واجدر بالزعامه كالفراء مثلاً ، وما
كان مثل الفراء ليقبل أن يكون تلميذاً للكسائي لولا طمعه في جاهه وماله وامله في أن

يتصل بالخليفة بفضل صحبته له ، وقد تم له ما أراد بعد ذلك
وربما استشهد لنا أحد الأدباء الناقدين بقول الفراء نفسه للتدليل على فضل الكسائي : —
قال لي رجل : « ما اختلافك إلى الكسائي وأنت مثله في النحو ؟ » فأعجبني نفسي
فأتيته فناظرته مناظرة الأكفاء ، فكأنني كنت طاراً يغرف بمنقاره من البحر
فإن أمثال هذه المدائح يجب أن تفهم على وجهها الصحيح ، فهي نوع من تملق ذوي
النفوذ طمعاً في جاههم وتقرباً إليهم

الآن ترى إلى ابن الرومي نفسه — وهو الشاعر الفحل — يلجئه العوز والفاقة ونكد الدنيا
إلى امتداح بيت سخيخ لابن المعتز ، حين سأله : — « لم لا تشبه مثل تشبيه ابن المعتز في قوله :
وبدا الهلال كزورق من فضة قد أثقلت حمله من عنبر
فتظاهر لهم با كبار معنى هذا البيت التافه وأعجابه بما فيه من تشبيه متكلف وعجزه عن
محاكاة تملقاً لقائله لرفعتيه وسمو منزلته . ولقد سئل الفراء نفسه عن الكسائي بعدموته فقال :
« مات الكسائي وهو لا يحسن حد نعم وبئس وأن المفتوحة ^(١) »

ولا نظننا متحاملين على الكسائي حين ثبت هنا ما يروي به بعض المؤرخين عنه من أنه
كان متهنكاً فاجراً . ونحن نروي ذلك بشيء من التحفظ فلا نصححه ولا نفيه فلعلمه من
دسائس البصريين ، على أننا لا نستبعده ، فليس اتصاله بالخليفة وتعهده أبناءه بالزينة مما
يعصمه عن إقتراف الدنيا والآثام ولو سرّاً

وقد تعلم الكسائي وهو كبير وانصرف سيبويه إلى العلم منذ حداثة نشأته وأعجب الخليل
ابن أحمد بذلك وكان يرحب به ^(٢) وقد شهد له أكبر علماء النحو بالتفوق والفضل ، ولقد
استعان بكتابه خصومه أنفسهم فقرأ الكسائي على الأخفش كتاب سيبويه وأعطاه سبعين ديناراً
أجرأ على ذلك ، وقد وجد بعضه تحت وسادة الفراء التي كان يجلس عليها . كما قال النحاس

رأى النحاة في هذه المسألة

قالوا : « وأما سؤال الكسائي فجوابه ما قال سيبويه وهو « فإذا هو هي » هذا هو
وجه الكلام مثل : « فإذا هي بيضاء » ، « فإذا هي حية » وأما « فإذا هو أياها » — إن
ثبت — فخارج عن القياس واستعمال الفصحاء ، ولا يعتد به ، كالجزم بلن والنصب بلم
والجر بأعل ، وسيبويه وأصحابه لا يلتفتون لمثل ذلك وإن تكلم به بعض العرب

(١) ومن المريب أن أحدهم قال في الفراء نفسه بعد موته : — « مات الفراء وفي نفسه شيء من
حتى » وإن كان الفرق بين العبارتين واضحاً (٢) كان الخليل يقول له : « أهلاً بزائر لا يمل مجله »
ولم يكن لغيره يقولها

وقد حدث لابي عثمان المازني ما حدث لسيبويه . قال : « دخلت بغداد فألقيت عليّ مسائل فكنت أجيب فيها على مذهبي ويخطئونني على مذاهم . قالوا : « وهكذا اتفق لسيبويه » وجماع القول أن سيبويه هزم رغم فضله وعلمه وكونه في جانب الحق ، ولم يكن له بد من السكوت والهزيمة في هذا المجلس الحاشد

ومثل لنفسك ايها القارئ . مجلساً حافلاً بأعيان الدولة وقادة الرأي فيها يجمع مثلاً على أن « لم » تنصب ولا تجزم وانت وحدك تقول « انها تجزم ولا تنصب وان العرب لا تعرف غير ذلك » وهم لا يسمعون لك قولاً . فأية حجة تستطيع ان تدلي بها في مثل هذا المجلس المتحامل الذي ينكر عليك ما لا سبيل الى انكاره ؟

كذلك كان موقف سيبويه ، يقرر قاعدة اجمع علماء النحو على صحتها وعلى ان خلافاها شاذ لا يؤخذ به ، فلا يقبل منه قول

ولقد كان في لسان سيبويه حبسة — كما يقولون — ولكنها لم تكن السر في هزيمته (١) فهو لم يقصر في الكلام ، ولم يكن ذلك المجلس المتحامل عليه في حاجة الى خطيب لسن ، بل كان في حاجة الى آذان واعية وقلوب لم يفسدها الهوى والغرض

وهكذا تمت الهزيمة ، فذهب سيبويه الى فارس ، ولم تطل مدته بعد ذلك . قالوا : ولما اعتل سيبويه وضع رأسه في حنجر أخيه فبكي اخوه لما رآه ، لما به ، ففطرت من دمه قطرة على وجهه ، فرفع سيبويه رأسه اليه فرآه يبكي فقال — :

« أخيين كنا ، فرق الدهر بيننا الى الامد الاقصى ، ومن يأمن الدهرا ؟ »

ولقد قضى سيبويه جل حياته في الدرس على خير اساتيد عصره لاسيما الخليل ويونس ومات بعد ان ألف كتابه الخالد وان كان لم يدرسه . وختمت حياة هذا العالم الجليل دون أن يحني ثمر جهاده . رحمة الله عليه وعلى شيخه الجليلين الخليل ويونس

« تولى سيبويه ، وجاش سبب من الايام فاختل الخليل (٢)

ويونس أو حشت منه المغاني وغير مصابه النبا الخليل

أتت علل المنون ، فما بكاهم من اللفظ الصحيح ولا العليل

ولو ان الكلام يحس شيئاً لكان له وراءهم أليل »

كامل كيلاني

القاهرة

(١) فقد ناظر سيبويه بعض العلماء ولم تمنعه حبسة لسانه عن الاتصاف عليه قال عمرو بن مرزوق : رأيت سيبويه والاصمعي يتناظران ويقول يونس بن حبيب — : « الحق مع سيبويه وقد غلب ذا — يعني الاصمعي — بلسانه » (٢) الشعر لابي العلاء



الصناعة الآلية والعمران

هل نحن اسعد حالاً في هذا العصر الميكانيكي

حسنت الحضارة الصناعية ومساوئها

[ملخصة عن التاريخ الجاري لستيفورات تشايس]

الاحصنة البخارية والكهربائية . ولكن
الناس مختلفون في هل نتج عن ذلك ما هو
نبيل او خالده ؟ فاذا وقف هنري فورد بنادي
اننا على عتبة العصر الذي كان يجول في

احلام الفلاسفة

والشعراء انبى

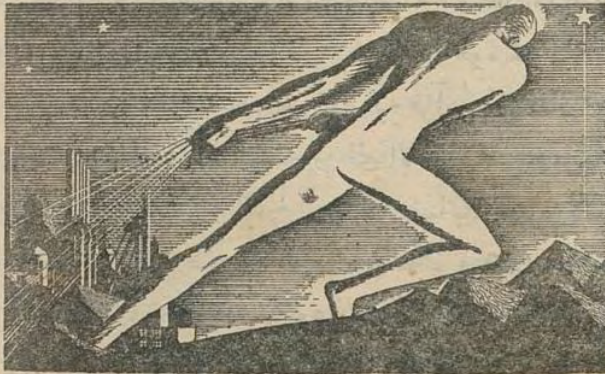
له المؤرخ سينتير

الالمانى قائلاً ان

الحضارة الغربية

آخذة في

الانحطاط وانها



دين على التاريخ

العالم والصناعة يقبضان على أزمة القوة

لا ينتظر ايفاؤه . واذا كتب الاستاذ بيرو
حاسباً ان الحضارة الحالية انما هي فجر
وردي لامع يتقدم وضح النهار تصدى له
أستن فريمن قائلاً انه لا يرى الا ليلاً مدهماً
والحق ان هنالك ما يقال لتأييد الرأيين
المتناقضين . فانت اذا اجلت طرفك ورأيت

لقد غمرنا عصر الآلات بسيل من
البضائع والادوات المستحدثة . فهل نحن
اسعد حالاً بها ؟ ان في الولايات المتحدة
الاميركية من الآلات ما قوته ألف ألف

حصان . فهل

وسّعت امام

الاميركيين نطاق

الراحة وأفق

الثقافة وميدان

الرخاء ؟

لقد قامت

حضارات كثيرة

غابرة على اركان من الزراعة او التجارة او
العبودية او القوة او قبضان الذهب او قوة
الادارة او النهب او الفتح او الاستعمار .
وقد بلغ بعض هذه الحضارات شأواً بعيداً
من الرقي قبلما طاف عليه طائفت النسيان .
اما حضارتنا فقامت على متون ألف ألف من

محرراً يوفر عمل خمسين من الزراع ، او آلة بخارية للحفر تفني العمل عن رفوشهم وما
يجل ٣٣ من الم في ظهورهم ، او طيارة فضية جميلة محلقة في جو ازرق ثاليقوت ، او آلة
لتنفس تبيد الحياة الى رثي رجل كاد يفقدها — اذا رأيت كل ذلك هلت وكبرت
لفوائد العملية والعقلية التي يجنبها الانسان من الآلات . ولكنك حين تتحقق ان اسطولا
مؤلفاً من خمسمائة طيارة من هذه الاجنحة الفضية الجميلة المجهزة بالقنابل تستطيع ان
تدمر حضارة كحضارة الامة الانكليزية في ساعتين من الزمان ، وحين تشاهد ما في المناطق
الصناعية كنطقة بتسبرغ بأمركا ولنكشير بانكلترا من القبح والقتام ، وحين تقرأ عن فتيات
اصابهن الآلات فسليخت رؤوسهن وهن يشتغلن ليلا في مصانع القطن الصينية — حين
ترى كل ذلك بفص حلقك بصلاة الشكران التي شرعت ترددها

وتقدير حسنات هذه الحضارة الصناعية ومساوئها وموازنة فوائدها بخسائرها عمل
كبير يجب ألا يقدم عليه إلا مجلس مؤلف من اكبر المفكرين في هذا العصر تدعمهم مجلدات
ضخمة من الاحصاءات والمباحث والتقارير محتوية على حقائق لا نزاع فيها تبين عدد
العاقلين في كل امة بياناً مفصلاً واتجاه الامراض العقلية في الامم الصناعية ومقدرة الجسم
البشري على تحمل العمل المتكرر وما الى ذلك . وما يؤسف له ان هذه الاحصاءات والبيانات
لم يجمع حتى يرجع اليها . ولكي اقدم على هذا العمل وحدي رغمًا عن افتقاري الى ما تقدم لما
لبيت من الذم المطلق والمدح المطلق يوجهان الى هذه الحضارة التي نعيش في اكنافها

المحسّنات

١ — ان متوسط الحياة في اكثر الشعوب الحديثة قد زاد . فالطفل الذي يولد الآن
ينظر ان يعيش حياة تزيد ثلاثين في المائة عن حياة الطفل في العصور الغابرة وذلك ناجم
عن التقدم في سيطرة الطب والآلات على الحياة . ولعل النوع البشري الآن اصح جسماً
واجود صحة مما كان عليه في اي زمن سالف

٢ — ارتفاع مستوى المعيشة اذا قيس هذا الارتفاع بزيادة الضروريات واتساع
انتشارها بين الناس بدلاً من انحصارها في طائفة قليلة العدد

٣ — سهولة المواصلات والمحاطبات باستنباط سكك الحديد والبواخر والسيارات
والطيارات والتلفونات والتلغرافات ووسائل المحاطبات اللاسلكية على اختلافها ومن شأن
هذه السهولة ترسيخ الاعتقاد في نفوس الناس ان الارض وحدة اقتصادية واجتماعية لا تتجزأ
وهذا هو السبيل الى تحكيم العقل في الشؤون العامة وتوطيد اركان السلام

٤ — تقليل ساعات العمل

٥ — ضعف سلطان الخرافات على عقول الناس . فالرجل المتوسط الحال يسأل الآن ما هو سبب هذا وما هي علة ذلك بدلاً من ان يخفي خوفاً أمام الاسرار المحجبة عنه

٦ — لقد كان من شأن بعض الآلات بوجه عام والسيارات بوجه خاص ان مكنت في نفوس الافراد والطبقات الشعور بالقوة والاعتماد على النفس

٧ — ان ادارة الصناعات الميكانيكية قد حملت علماء الفسيولوجيا والسيكولوجيا على استنباط نظام من الفحص والامتحان يمكنهم من معرفة المدى الذي يستطيع العامل ان يزاول عمله في اثنا عشر ساعة قبل ان تقعده سموم التعب عن الانتاج المقيد . ولم يذكر في التاريخ ان حضارة سابقة لهذه الحضارة حاولت مثل هذا من قبل

٨ — لقد ازلت الآلات الفوارق بين الطبقات التي كانت ناشئة عن ملكية الاراضي وامتيازات الاشراف

٩ — لا ريب في ان العلم النظري ابو العلم العملي . ولكن مما لا يشك فيه على الاطلاق ان مطالب الصناعة كانت من البواعث القوية على توسيع نطاق البحث وزينة العلوم النظرية وخصوصاً في الطبيعيات والكيمياء ، فاستعت بذلك كنوز المعرفة الانسانية

١٠ — زوال القساوة كمظهر من مظاهر الاجتماع وحلول الرأفة والطف محلياً . من كان يبكي لحدوث مجاعة في الصين ! على ان التفراف والآلة المصورة والراديو تحرك فينا عوامل الشفقة لحادث من هذا القبيل فتغورق العين بالدمع من جهة وتمدُّ اليد من جهة اخرى للبذل والاحسان

هذه الحسنات ليست وليدة الآلات وحدها ولكنها ظهرت وعظم شأنها في الزمن الذي اتسع فيه نطاق القوة الآلية وعظم شأنها والاثنان مرتبطان ارتباطاً وثيقاً

المساوي

١ — ازدياد الخطر من الحروب الآلية وهذا شريداد يوماً فيوماً

٢ — ازدياد التوتر في العلاقة بين العناصر التي تتألف من النظام الصناعي . فاذا اضرب فريق من العمال سرى الاضطراب الى النظام الصناعي سريان الحمى في الجسم . ان الارتقاء الصناعي وجهل الناس بنتائجه الاجتماعية ميلان الى التباعداً كلما تقدما فاذا انسدت الهوة بينهما حتى يتعذر عبورها اصيب العمران بتصدع في كيانه

٣ — استخراج كنوز الارض المعدنية بسرعة تبعث على القلق من غير ان يراعى فيه الاقتصاد والتوفير

- ٤- ما يحلُّ بالعمال من السآمة والضجر وهم يرددون عملاً بسيطاً يوماً بعد يوم وسنة بعد اخرى من غير ان يحتاجوا في القيام به الى استعمال الذكاء والفكر
- ٥- التخصص في الاعمال يمزق التالوث المقدس — تالوث العمل والرياضة والفن — الذي قد لا توجد مندوحة عنه من وجهة بيولوجية
- ٦- ان آلات الراديو والفونوغراف والصور المتحركة قد مالت بالناس الى طلب السرور والطرب في ادوات مقلدة بدلاً من ان يطلبوها في مصدرها . فالصور المتحركة تقلد التمثيل وآلات الراديو والفونوغراف تقلد الحفلات الموسيقية ولكنها لا تغني عنها والناس يكتفون بتلك عن هذه من غير ان يمارسوا الفنون الجميلة التي تبعث على الغبطة حقيقة
- ٧- لقد زاد التخصص قيمة المال فغدا الناس يخلطون بين الثروة الحقيقية والثروة الفانية

٨- ان استنباط الآلات الجديدة واستعمالها سريع جداً يسدُّ باب العمل في وجه عدد كبير من العمال قبالما يتسع النظام الاجتماعي لهم في اعمال اخرى . فيكثر كذلك عدد العمال العاطلين وما يتصل بذلك من الشرور

١- ان طرق الصناعة الحديثة تستنفد من العمال مقداراً من الحيوية والنشاط اكثر مما كانت تستنفده طرق الصناعة القديمة . ولذلك يبلغ العامل في هذا العصر دور العجز عن العمل باكراً . فينشأ عن ذلك مشاكل اقتصادية واجتماعية تدور حول العناية بمعيشة هؤلاء العمال العاجزين

١٠- ان كثرة الآلات وصنعها مقداراً من البضائع يفيض على حاجات الناس يؤدي الى ابتكار وسائل غريبة للتأثير في عقول العامة لبيع هذه البضائع فيختلط الامر على الجمهور . فشركات التبغ مثلاً تعلن بكل وسيلة ممكنة وجوب الاقتلاع عن اكل الحلويات كالمشكولاته وما اليها وشركات الحلويات تحذر من التبغ واضرارهم وهكذا

١١- ان ازدياد الآلات والتوسع في استعمالها زاد متوسط الاصابات التي تنشأ عنها

١٢- انتشار الاعتقاد بين الناس ان قيمة الصناعة تفوق قيمة الزراعة

١٣- ازدهام المدن وكثرة الضجة والغبار والدخان فيها واثار ذلك الضار في الصحة

الحسنات الممزوجة بالمساوي

ثم هناك نتائج ترى فيها الحسنات الى جنب المساوي ولا يستطيع ان ارجح احدي الكفتين

- ١ — ازدياد السكان واتساع نطاق مهاجرتهم . فعدد سكان الارض قد تضاعف والمجرة الى المدن على اعظم جانب من الوضوح
- ٢ — ان عصر الآلات قضى على البلدة التي يمكن ان تكفي ذاتها بذاتها . فانك لست تجد في اميركا الآن بلدة تستطيع ان تعمل سكانها وتكسومهم وتسقيهم وتأويهم . بما يصنعها ابناءؤها فقط . وهذا يجعل نظام الانتاج الحديث نعمة اذا كان سائراً سيراً قوياً وبجانبه شراً كبيراً اذا اختلَّ بعض الاختلال
- ٣ — لقد قضت الآلات على وجوه البراعة في الاعمال القديمة واحلت محلها براعة من نوع جديد — كبراعة السائقين : سائق الطائرة او السيارة او سكة الحديد — فهل هذه البراعة اجدى على العمران ؟
- ٤ — لقد جرّدت الآلات ربة البيت من مهارتها في العناية بالبيت واحلت محلها براعتها في لعبة البردج واشتراء الاثواب والبرانيط والاختلاف الى الاندية — وهذه خسارة كبيرة . الاّ انها وضعت الاساس لاستقلال المرأة الاقتصادي ومساواة النساء بالرجال — وهذا في رأيي رج كبير
- ٥ — ان عصر القوة قد حطّم الى حدٍّ بعيد القواعد الخلقية التي بنى عليها نظام العائلة ككل ما يتعلق بالزواج وعلاقات الجنسين والدين . والمفكرون مختلفون في فائدة ذلك وضرره
- ٦ — قد قضت الآلات على عصر الفن القديم . ولكنها اخذت تنشيء عصرًا فنيًا جديداً ظهرت فيه حتى الآن آيات ممتازة
- ٧ — لقد حطت الآلات من قيمة بعض المصنوعات كما انها اتقنت صنع غيرها . وقد اصبحت طائفة كبيرة من المصنوعات مما يتعذر صنعه الاّ بالآلات كالادوات اللازمة في باخرة من البواخر الحديثة مثلاً
- ٨ — الميل في هذا العصر الى الاعتماد على ما هو مكتوب كاساس للعلم بدلاً من الاعتماد على الاختبار شأن الصانع في العصور الوسطى . وهذا يبعدنا عن الحقيقة ولكنه يوسع امامنا ميدان العمل
- ٩ — حين يترك العامل كوخه لينتظم في سلك مصنع يفقد استقلاله . انه يتخلى عن ادواته ليعمل بادوات رجل آخر . فاذا كان صاحب المصنع لا يعني بشأن عماله فالعامل في عمله الجديد اسوأ حالاً منه لما كان مستقلاً . اما اذا كان صاحب المصنع يعني غنايه خاصة بعماله فخالة العامل تتحسن والصناعة ترتقي



الطبيب والمعمل^(١)

نظر نقدي

بقلم الدكتور انيمى انمى بك

رئيس القسم الباثولوجي بمعامل الصحة الفنية بالقاهرة
وأستاذ علم الباثولوجيا بكلية الطب المصرية سابقاً

تاريخ اتصال المعمل بالطبيب أو الجراح حديث العهد جداً وخصوصاً في هذا البلد ، وقد اخذ أطباؤنا الاهتمام بالابحاث المعملية والتحليل عن الامم الغربية ، كما هو الحال في كل شيء جديد . وعلى ما أذكر — الى عهد قريب جداً — اقتصر هذا الاهتمام على تحليل البول مدة من الزمن ، ثم تبع ذلك الاهتمام بفحص البراز وخصوصاً للديدان (وفي مقدمتها الانكستوما) ، ولا سيما بعد التجارب العديدة التي قام بها الاستاذ لوس (Prof. Looss) لمعرفة طريقة العدوى بهذا الوباء الخطر — وليسمح لي بان أسميه وباء وأن أضم اليه مرض البهارزيا ، فان من يراجع التاريخ يجد ان سكان هذا القطر السعيد كانوا عرضة بل طعمة للطاعون والكوليرا ، إذ كان يموت مئات الالوف من السكان في بضعة شهور من آن الى آخر الى ان اتخذت الاحتياطات الصحية وغيرها فزاد التعداد ، ولكن الاسف الشديد ما الفائدة من زيادة العدد لانس مصابين بمرضين وييلين (الانكستوما والبهارزيا) بقعدان بالمصابين عن العمل حتى ان أغلبهم لا يمكنه أن يقوم باشغاله اليومية الضرورية الا بكل مشقة . ونتاج هذا في بلد زراعي يحتاج الى اليد العاملة ماثلة امامنا ، خصوصاً إذا قارناها بحالة الاقطار الزراعية الاخرى التي لم ينكب اهلها بهذه الامراض . وتبع الاهتمام بفحص البراز العناية بفحص الدم ، وهذا على ما اذكر ابتداء في مصر حوالي سنة ١٩١٠م وانذكر ان اولى حالات الفازرمان عملت حوالي تلك السنة . ثم ازدادت أهمية ذلك سنة فسنة حتى نرى الآن أن هذا الامتحان (امتحان تثبيت المكمل) ليس قاصراً على تشخيص السفلس بل صار يطبق في امراض أخرى ، كما انه لم يقتصر على مصل الدم بل تناول السائل الحبي الشوكي وغيره من سوائل الجسم أيضاً

(١) عنوان كتاب طبي كينيكي ظهر حديثاً للدكتور احمد زكي ابو شادي في نحو الف صفحة ويشتمل على
الأمثلة وستين صورة وهو يطلب من مطبعة المعصور ومثله ١٥ غرشاً

وبعد فأزاء كل هذا لن يفوت مثلي الانتباه الى كل ما له صلة بالابحاث العملية في مجال الدراسة والارشاد لتقدير هذه الابحاث والانتفاع الواجب منها . وامامي الآن فصول كتاب (الطبيب والمعمل) لزميلي الفاضل الدكتور ابو شادي شاملة خطبتين جامعيتين الفاهما أمام (الجمعية الطبية) بالاسكندرية وتناول فيهما بطريقة الاستعراض العملي أهم المباحث البكتريولوجية والبيولوجية والمكروكسكوبية الخاصة بتسهيل التشخيص الطبي ، وقد اردفهما بفوائد شتى متنوعة جليلة القيمة سواء كانت تأليفاً أو اقتباساً أو تلخيصاً أو تفصيلاً وأبت روحه التعاونية المحموده الا أن يشرك في عمله القيم من شاء التعاون من زملائه القديرين ، كل في دائرة اختصاصه وذلك زيادة في نفع تأليفه ، دون ان يفرط في ربط هذه المباحث العديدة بعضها ببعض ربطاً محكماً مع عرض صنوف المختار من المفردات والاساليب العلمية الطبية ، وهكذا كان موفقاً كل التوفيق فيما شاءه من خدمة العلم الصرف والادب العلمي معاً . لذلك يسرني الترحيب بظهور هذا الكتاب العملي الهام في اوانه ، خصوصاً وأن مؤلفه ذو مطامح علمية واسعة ، ويود أن يتبعه بما هو اهم من رسائل وكتب في اختصاصه الطبي

وأظن أن خير تعليق على مواد هذا الكتاب يكون بتتبع مباحثه الاصلية مع الالتفات الخاص الى ما تعلق بخبرته الخاصة ، وما اشار اليه من أثر ذلك في نتائج بحثه وفي تشخيص الحالات المهمة . وبحول المجال الذي أمامي دون الاسهاب او تناول العديد من الفوائد التي ذيلت بها خطبتا الكتاب ، سواء كانت من قلم المؤلف أو من أقلام زملائه الافاضل ولا يفوتني هنا ان احمد للمؤلف نشره قائمة المراجع التي ختم بها الكتاب تبرئة لثنيه وارشاداً لمن يريد زيادة الاطلاع والتوسّع . وأرجو أن يعدّ مقالاً هذا بمثابة استعراض نقدي على سبيل المثال ، اذ بديهي انه ليس في الامكان التعليق الضافي على كل شيء في هذا التأليف الحاشد دون أن يتضخم حجمه ودون الاستهداف للتكرار وان كنت لانكر للاستعراض النقدي قيمته العلمية والادبية معاً ولكن مالا يدرك جلله لا يتركه

بدأ الخطيب المؤلف محاضراته الاولى بالحث على الاهتمام العام بأبحاث المعمل حتى يكون الطبيب الكلينيكي عارفاً لحدث طرق التشخيص قادراً على الانتفاع الاتم ونعي على المنتطعين تقديم لكل من لا يقتصر على علم خاص ولا يكتفي بضيق معلوماته ، وكان رأي المؤلف أننا برغم الحاجة الى التخصص اصبحنا في زمن يحتاج اليه الطبيب — كيفما كان تخصصه — الى الاطلاع العام حتى يستطيع ان يطبق تخصصه أحسن تطبيق بالاشتراك مع زملائه الاطباء

الآخرين حين تقتضي الاحوال. وكما أن العرقان العام امر واجب على كل رجل مثقف في هذا العصر وعلى كل امرأة مثقفة أيضاً، فكذلك الامام الطبي العام من أمس الواجبات على كل طبيب عصري يعرف واجباته الفنية : هذا الشعور هو ما شجع المؤلف على لقاء محاضراته التي نحن بصدددها. أما ملاحظتي الخاصة على ذلك فهي أنني أرى الى جانب أهمية الامام العام والاعتماد على المعمل في التشخيص خطر الانكال الكلي على المعمل بحيث يصبح الطبيب الكلينيكي مهملاً في واجبات التشخيص المتعلقة به ذاتياً، والاسراف في كلتا التاحيتين ضرر يجدر بنا التنبيه اليه لتلافيه

وقد اسهل المؤلف محاضراته الاولى بالكلام على الامراض الطفيلية بادئاً بمرض البهارزيا، ومن النقط الاصلية في محاضراته التي وجه اليها انظار الاطباء : —

(١) اعطاء حقنة طرطير منهية في الحالات المبكرة المشتبه فيها (حينئذ لا توجد بويضات البهارزيا في البول أو البراز) أسوة بحقنة ١:٦٠ أو ١:٤٠ المستتيرة في مرض السفلس
(٢) تفضيله استعمال زجاجة الساعة بدل الشريحة مما يمكنه من فحص كل رواسب البول دفعة واحدة . ويا ربما لم يجد سوى بويضة أو اثنتين برغم كل هذه الحيلة في العينة وهذا مما يؤيد أن النتيجة السلبية لا يعول عليها ما لم يكرر الفحص وخصوصاً بعد إعطاء حقنة منهية

(٣) إشارته باستعمال حامض الخليك النقي مضافاً الى الراسب لازابة كريات الدم الحمراء في العينات الشديدة التشحط بالدم حتى يسهل بعد ذلك فحصها
(٤) إشارته إلى تعريق البراز بالصفراء في كثير من احوال البهارزيا المانسونية (بهارزيا الامعاء) ، وذكره أن أكثر أسباب الاسهال الاخضر عند البالغين في مصر يرجع إلى البهارزيا

(٥) إشارته إلى أن صورة الخلايا غير الطبيعية (الخلايا الصديدية والخلايا البشرية من غشاء الامعاء الخاطي) مما كان ينسب سابقاً إلى الديسنتاريا الميكروبية ليس في الواقع قاصراً عليها خصوصاً في المناطق الحارة . بل انه مما يشاهد كثيراً في مصر في حالات البهارزيا المعوية وفي بعض حالات العدوى الطفيلية
وبودي أن أضيف إلى هذه الملاحظات ما يأتي : —

(١) في حالات البول الدموي (لا سيما في الاحوال الخاصة إذ لا توجد عجلة في إعطاء النتيجة ، على ضد احوال المستشفى) يشار على المريض — إذا ما كانت النتيجة سلبية ، كما هو الغالب في هذه الحالات — إن ينتظر حتى تزول نوبة البول الدموي لانه

في اثناء النوبة تكون عضلات المثانة مرتخية ويقل طرد البويضات من الانسجة المثانة بينما البويضات التي تخرج من الاوعية الشعرية في الحالات المبكرة جداً قليلة للغاية. وبلا حظ أن النزف البولي هو عادة ناشئ عن انفجار الاورام الحليمية (البالومات : papillomata) المسببة عن التغيرات المزمنة الناشئة تحت الغشاء المخاطي من تهيج بويضات البلهارزيا لهذه الانسجة العميقة

(٢) في بعض الحالات المشتبه في عدواها بالبلهارزيا يلاحظ في فحص الراسب البولي خضاً ميكروسكوبياً ووجود كثير من الخلايا البشرية للمثانة اغلبها متجمع في طوائف تحتوي كل منها ما لا يقل عن العشرين خلية فما اكثر ، ويكون البول عادة حمضياً الا في حالات التفحج والاحتباس . وهذه الحالة تتم غالباً على وجود سرطان بالمثانة سواء كان السبب الاصلي بلهارزيا (وهو الغالب في مصر) او ثانوياً عن سرطان في البروستاتة ، وهذا الاخير يكون مصحوباً عادة بصديد كثير ويكون البول عادة قلوياً

ولست عندي ملاحظات إضافية على ما ذكره المؤلف عن تشخيص الانكلستوما حيث قد وفي الموضوع حقه من كل نواحيه العملية . ويجب أن لا ننسى أن عدد الكريات الحمراء الطبيعي عند المصريين البالغين هو سبعة ملايين كرية فأكثر ، يقابلها خمسة ملايين كرية عند الاوربيين ، وبناء على ذلك لا يستغرب انخفاض العدد عن ٣ ملايين كرية (بدل مليون عند الاوربيين) في حالات الانكلستوما بين المصريين

وأما عن الانتميا : فقد ارجحت الى التدقيق الكلي وإلى التحذير الذي وجهه المؤلف إلى أطباء المعامل وإلى الأطباء الكلينيين على السواء . وليس يُنكر أن بعض الجهات تستوطنها الانتميا ، ولكن الغالب ان هناك مجازفات كثيرة في تشخيصها الايجابي . واذكر في خلال الحرب العالمية أن كثيراً من حالات الاسهال المرضية كانت تشخص ايجابية للانتميا ، ولكنني عند فحص ما كان يعرض علي منها (وكان ذلك كثيراً في تلك الايام) ما كنت استطع العثور لا على الانتميا ولا على اكياسها . وقد شكوت ذلك مرة الى احد اعلام رجال البحث المختصين فأمن على شكواي وقال لي : ثق يا عزيزي بأن عدد القادرين على تشخيص الانتميا تشخيصاً لا يعتوره الشك محدود جداً . وأنا اوافقك كل الموافقة على ان كل هذه التشخيصات الخاطئة مبنية على تخیلات نظرية

وأما عن الطفيليات الاخرى : فقد همني العثور على اللامبليا في حالات كثيرة من الاسهال الشبيه بالديسنتاريا في الاسكندرية ، ولا يبعد مع التدقيق العثور عليها في جهات اخرى من القطر ، وقد عثرت شخصياً عليها في احوال اسهال شديد في القاهرة في بعض

الاجبان ، وعلى ذلك اوافق المؤلف على اعتبار اللامبليا سبباً من اسباب الاسهال المرضي في مصر على الاقل

وأما عن الديسنتاريا الميكروبية : فقد كانت العادة قديماً اعتبارها قليلة الحدوث بالنسبة الى الديسنتاريا الاميبية اللهم إلا في السجون والبيمارستانات ، وبين المجموع المختلطة كالحيوش والحجاج ، ولكن تقدم الابحاث العلمية الحديثة اثبت نقيض ذلك اي انها موجودة بكثرة وبحالات انفرادية . بيد انه يخشى ان تحدث مغالاة في تقدير وقوع هذا النوع من الديسنتاريا ، خصوصاً اذا اعتمد في التشخيص على الفحص الميكروسكوبي فقط : اي على تمييز انواع الخلايا الموجودة في البراز . وهذا ما حذرنا منه المؤلف ، لان الصورة الميكروسكوبية ليست قاصرة على الديسنتاريا الميكروبية في مصر على الاقل حيث نذكر الطفيليات وتشدد وطأتها

وأما عن الحمى المعوية : فالى جانب اشارة المؤلف الى خطورة التبرير بالفحص عن طريق زرع الدم يهنا ان نذكر الحقيقة التاريخية الآتية : وهي ان الحمى التيفودية كانت منتشرة في القطر المصري في الماضي اي قبل تقدم الصحة العامة بحيث انها كانت من امراض الاطفال المعدودة ، وكانت تحصد ارواحاً كثيرة كل عام لم يقدرها اي احصاء . وفي ذلك الوقت لم يكن تفاعل فيدال ولا غيره معروفاً ، وكان التشخيص قاصراً على الالامات الكليника . وهذه — كما نرى الآن — لا يمكن التعويل عليها لتشخيص المرض . من اجل ذلك صار تفاعل فيدال ايجابياً بكثرة في الوطنيين (المصريين) وصارت وطأة المرض خفيفة عليهم اذا قيس بوطأته في الاجانب . وهذا سبب المناعة النوعية في المصريين . ولذلك صار من الحتم علينا ان لا نعتمد على تفاعل فيدال وحده في تشخيص الحمى التيفودية والباراتيفودية ، ولا بد اذن من الاهتمام بزرع الدم والبراز والبول

ولا ملاحظة عندي على ما ذكره المؤلف عن التيفوس والدفترية والسيلان ، فان ما ذكره فيه الغنية الكافية . وأما عن السفلس فقد اصاب المؤلف حقاً بما ذكره عن تفسير تفاعل فازرمان . وكل طبيب بكتريولوجي لا بد ان يكون قد وجد في هذه المآزق التي يسببها جهل المرضى او تقصير الاطباء الذين لا يعرفون تقلبات هذا التفاعل في احوال مختلفة حسب سير المرض والعلاج وطبيعة الدم

واني شخصياً اؤثر تفاعل فازرمان (حسب الطرق الحديثة المهدبة) على ما سواه من انواع التفاعل البيولوجي لتشخيص هذا الداء . ويجب ان لا ننسى ان بعض الشعوب (كالشعب السوداني) يثبت دمه مكملاً المصل بدرجة عالية ، وفي هذه الحالة ينبغي عمل

ضابط مصل (serum control) بالنسبة للمكمل في كل حالة . فربما امتصَّ مصل الرجل السوداني من المكمل عشرة اضعاف القدر المعتاد طبيعياً ، فلو اهتمل التدقيق في هذا الضابط المصلي لظهرت الحالة ايجابية بدل ان تكون سلبية . ويصح اعتبار الشعوب الافريقية عمالاً بكرةً للسفلس كما حدث في وباء سنة ١٩٠٥ ، في يوغاندة وما جاورها من اختلاط حاملي العدوى البيض بالاهالي السود ، اذ كان يفتك السفلس بهم فتك الطاعون في اسابيع قليلة منتهياً غالباً بالموت . وعلى الضد من ذلك حالة اي شعب ذي مدينة قديمة كالمصريين حين يصابون بالسفلس كمرض عادي جداً من ابتدائي وثنائي وثلاثي . وخبرني هنا ما لاحظته من ندرة الاصابات الموازية للسفلس (parasyphilitic lesions) في مصر ، اذ ما وازناها بنظيرتها في اوربا وفي الشعوب الاخرى الحديثة المدنية . ويزيد هذا الاعتقاد اذا ما لاحظنا ان اغلب مرضانا لا يعالجون الاً علاجاً اولياً . ويجب ان نذكر هنا اتماماً للفائدة ان تثبيت المكمل بدرجة قوية لا يدل على قوة المناعة الطبيعية لانه صفة ذاتية للدم (personal character of the blood) ولا يعرف سببه الحقيقي ، كما قد يلاحظ ازدياد عدد الكريات الحمراء في اغلب الشعوب الملونة دون ان يدل ذلك على الصحة ، فقد يكون العدد مثلاً ٣ ملايين كرية بدل مليون كرية في حالات الانكلستوما

وأما عن الدرن : فمن المستحسن في حالات النزف الصدري الانتظار حتى يزول النزف قبل امتحان البصاق ميكروسكوبياً اذ الغالب ان تكون النتيجة سلبية حينئذ وهذه بطبيعة الحال لا قيمة لها . ولا بد من اعادة الفحص بعد زوال النزف ، ويجب ان لا ننسى ان درن الاطفال كثيراً ما يكون محتبساً بحيث يستحيل ظهور الباسلس في البصاق ، ولا مفرً حينئذ من الاعتماد على تفاعل فون بيركت او على تفاعل كليت . هذا والمعروف ان السائل البلوراوي في حالات الدرن يكون سلبياً عادة للباسلس ، اللهم الا في حالات الالتهاب الرئوي البلوراوي الدرني (T. B. Pleuro-pneumonia) فقد وجدته شخصياً بكثرة في السائل البلوراوي . ومن اجل ذلك اشير بضرورة امتحان السائل البلوراوي امتحاناً بكتريولوجياً في جميع الاحوال . وأذكر حالة من سنوات عديدة لاحد اغنياء المصريين شخصت تفوذاً اعتماداً على سير الحرارة وعلى تفاعل فيدال (وقد ذكرت سابقاً عدم اهمية هذا التفاعل في الوطنيين) ثم ظهرت علامات تجمع السائل البلوراوي ، فاعتبر هذا بطبيعة الحال من مضاعفات التيفود ، وأرسلت اليّ عينة لفحصها بكتريولوجياً خوفاً من وجود ميكروبات صديدية مسببة ديلة (اميبيا : empyema) فلاحظت ان الخلايا الغالبة هي المفاوية ، ولذلك خطر لي ان اصبغ العينة لباسلس كوخ (باسلس

الدرن) ، ولعجي كان الباسلس موجوداً فعلاً بكثرة ، كأنما العينة محضرة من البصاق! ومنذ ذاك الحين واصلت اهتمامي بفحص كل عينة سائل بلوراوي لاجل الدرن ، وكانت النتيجة العامة في السنين العديدة التي اشتغلت فيها مما لا يستهان بها

وأما عن الملاريا والراجعة : فأرى ان التشخيص يستحق عناية وخبرة ، فقد تؤدي عدوى الملاريا الى اصابات خطيرة : فبعضها لا يظهر فيه بتاتاً مرض الملاريا من الوجهة الكلينية مثل الشلل الناشئ عن اصابة المخ بالملاريا وخصوصاً الجذينة منها

وأما عن الفيلايا : فتاريخها الكليني وامتحان البول مما يدلنا على وجودها دلالة قوية ، وإن أدى امتحان الدم الى نتيجة سلبية بسبب انحباس الاجنة

وأما عن الالتهاب السحائي : فما يجدر بنا تذكره أن هناك حالات شديدة ووثابة فيها المنتجوك بدون تفاعل : اي بدون وجود خلايا صديدية ، وإن تكن هذه الحالات نادرة جداً

وأما عن القرحة الرخوة : فيجب أن لا يكون التشخيص كينيكيًا فقط لان السفلس غير مأمون في مظاهره الاولى ، وقد يتخذ شكل القرحة الرخوة . وكمن خدش بسيط انتهى بظهور العلامات الثنائية للسفلس : مثال ذلك وجود خدش بسيط في حالات السيلان ، فبالحال المريض من عدوى السيلان بدون اهتمام بذلك الخدش الذي قد يزول ايضاً حينما هو في الواقع عدوى سفلسية متخفية

هذه ملاحظات وتعليقات عنت على سبيل المثال لا على سبيل الاستقصاء عند اطلاعي على هذا الكتاب المفيد الحاشد الذي قرأته باستمتاع واف ، فقد يطول بي الحديث عن كثير من المسائل والمباحث العملية التي أشار اليها المؤلف ، وخصوصاً امراض الدم وتشخيص الحمى التيفودية ، وما ذيل به الكتاب من الفوائد العملية والعلمية المتنوعة

ولي كلمة اخيرة عن صلاحية اللغة العربية لاستيعاب العلوم العصرية الطبية : فاقول ان هذا الكتاب برهان آخر على اهلية لغتنا العدانية للقيام بهذه المهمة حيثما وجدت العناية بها والرغبة الصحيحة في استيعابها . وأرجو أن تستقبل العربية ومعاهدنا الدراسية العالية في هذا العهد — كما نالت في الماضي ايام نهضتنا التعليمية الاولى — الكثير من المؤلفات القيمة في شتى العلوم والفنون

بَابُ شُؤْنِ الْمَرْأَةِ وَتَدِيرِ الْمَنْزِلِ

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدير الصحة والطعام واللباس والشراب والسكن والزينة وسير شيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

العناية بالاطفال

حجرة الطفل

بعد بضعة عشر يوماً قصد كريم الى عيادة صديقه الدكتور فوجد غرفة الانتظار غاصة بسيدات واطفال وسمع الدكتور يتحدث الى سيدة في غرفة الكشف وعلى صدرها طفل عمره سنة او دون السنة بقليل هزيل الجسم شاحب اللون منتفخ البطن بارز الوجتين مجعد الوجه غائر العينين وهو يقول لها :

ان ما يشكو منه ولدك هو داء الكساح وهذا الداء كثير الشيوع في الاطفال ومن اهم اسبابه سوء التغذية . فلو كانت الوالدة تدرك نتيجة اهلها تغذية طفلها وانه يؤدي به الى هذا المرض لكانت ولا شك تجتنبه وحرصت اشد الحرص على تغذيته ونميه عوده على خير نظام وضعه العلماء المتوفرون

ثم التفت الى كريم وقال له الاترى انه قد حان للحكومات وللجماعات الرافقة في كل امة ان تنهض لمعالجة هذا الضعف في جزء كبير من جسم الامة بل في اهم جزء منه والنظر الى هؤلاء الاطفال والى ما بهم من مرض. وانت تعلم ان اسباب ما يشكون منه الجهل والالاهاـل ثانياً فلو قدر لهم ان ينشأوا على قواعد صحيحة لكان حظهم من الحياة اوفر وشقاؤهم فيها اقل كريم — اني قدمت اليك لاقف على رأيك في الحجرة التي نخصصها للمدوح والشروط التي يجب ان تتوافر في تأيئها ولم يكن يدور في خلدي ان الاقي مثل هذا الجمع الكبير من الاطفال اسماء اليهم في تربيتهم وانما عودهم من غير ذنب اقترفوه سوى انهم ابناء الطبقة الفقيرة في الامة

الدكتور — ان اهم الشروط الصحية في غرفة الطفل ان تكون واسعة حتى يسهل تجديد هوائها ودخول اشعة الشمس المطهرة اليها لان الطفل يقضي معظم السنة الاولى ضمن جدرانها وان يكون اثنائها قليلاً وبسيطاً مريحاً وان تكون خالية من الستائر وما الى الستائر والسجوف من الكماليات التي لا حاجة ماسة اليها ويجب ان يبقى هوائها طلقاً وان لا تغطي المأكـل فيها وان تضاء في الليل بشمعة كهربائية صغيرة الحجم كي لا تؤثر الاضواء الكبيرة في حرارة جوها . كذلك لا يستحسن ان يترك في القرب من سرير الطفل ثياب او روافد مبلولة

كریم — ماذا يجب ان تكون درجة الحرارة فيها في النهار وفي الليل
الدكتور — في النهار بين ٦٤ و ٦٨ بميزان فارنهایت والا تزيد عن ٧٠ الا في احوال خاصة مثل ضعف في بنية الطفل او مرض . وفي الليل ٦٥ في مدة الثلاثة الاشهر الاولى من حياة الطفل واما بعد هذه المدة فتنزل الى ٥٥ في العام الاول وثم الى ٥٠ او ٤٥ بعده . ولاستدلال على درجة الحرارة يستعمل الميزان المعروف ويعلق على ارتفاع ثلاثة اقدام من الارض

كریم — هل يستحسن فتح النوافذ في الليل ؟
الدكتور — متى بلغ الطفل ثلاثة اشهر من العمر لا يخشى عليه من فتح النوافذ وتجديد هواء الغرفة وابقاء نافذة صغيرة مفتوحة في الليل
كریم — كم مرة يجب تجديد هواء الغرفة
الدكتور — مرتين على الاقل في اليوم فبعد ان يستحم الطفل في الصباح وقبل ان ينام عند المساء ويجب ان يتجدد هوائها تجديداً تاماً والا يبقى الطفل فيها في اثناء تهويتها
كریم — ما هي الاعراض التي تظهر على الطفل اذا كان يعيش في غرفة دافئة اي اذا كانت درجة الحرارة فوق المعتاد

الدكتور — يظهر عليه الهزال وعدم الاكتراث للغذاء فيفقد كثيراً من وزن جسمه ويشجب لونه ويسوء هضمه ويتقيأ كثيراً ويتصبب جسمه بالعرق ويصاب بالزكام ولا يشفي من زكام الا ليصاب بزكام آخر وسبب ذلك ان حرارة الغرفة في الداخل اعلى من حرارة الجو في الخارج وقد يشبه انه مصاب بعرض معوي او رئوي

تعرض الطفل للهواء الداخلي

كریم — متى يبدأ بتعرض ممدوح للهواء وكم من الوقت تستغرق مدته ؟
الدكتور — يبدأ بتعرض الطفل للهواء عند ما يتم الشهر الاول ولا يمنع ذلك اذا

كان الطقس بارداً الا اذا كان الطفل مريضاً او ضعيف البنية . ومدة التعرض يجب الا تتجاوز في البدء خمس عشرة دقيقة على ان تزداد كل يوم قليلاً الى ان يصبح الوقت الذي يعرض فيه الطفل للهواء كل يوم ٤ ساعات ويجب المحافظة على هذا النظام من غير خوف ولا اعتبار لمختلف احوال الجو

كریم — الا يخشى على الطفل ان يصاب بالزكام اذا تعرض للهواء كما ذكرت الدكتور — كلا لا ضرر ولا خوف عليه اذا كانت مدة التعرض قصيرة في البداية ثم تزداد بالتدرج الى ان يتعودها جسم الطفل ويألف ما فيها من تغيير سواء كان هذا التغيير في الاحوال الجوية او في الزمن الذي يستغرقه التعرض . وهذا التعرض التدريجي يكسب جسمه المناعة ويقيه من مرض الزكام ومضاعفاته التي تنشأ عنه وهي كثيرة ومعظمها خطير

كریم — كيف نعرض ممدوح للهواء ارجو ان تصف لي ذلك تماماً الدكتور — يغطى رأس الطفل ويلبس ثياباً خفيفة ثم يوضع في سريره على مسافة غير قصيرة من الباب ثم تفتح نوافذ الغرفة . ويجب ان نحترس من ان نضع الطفل في مجرى الهواء

تعرض الطفل للهواء الخارجي

كریم — في اي سن يمكن ان يخرج بالطفل الى الفضاء الدكتور — يعرض الطفل للهواء الخارجي في زمن الصيف وهو في الاسبوع الاول اما في الربيع والخريف فالأفضل ان يبقى في البيت الى ان يبلغ من العمر ثلاثة اسابيع على الأقل

وأما في فصل الشتاء فنخوجه يتوقف على جو الاقليم الذي يمش فيه . ففي المدن الكبرى يخرج به في الايام غير الممطرة وهو في الثلاثة الاشهر الاولى من العمر ويستحسن ايضاً بقاؤه في البيت وقاية له من الغبار وما يحمله من الجراثيم وتعرضه للهواء الداخلي على الطريقة المار ذكرها الى ان يصير عمره ستة اشهر

كریم — ما هي افضل الاوقات التي يخرج بها الطفل الى الفضاء الدكتور — في الايام الحارة يفضل خروجه في الصباح والمساء على وقت الظهر وأما في ايام البرد فلتكن نزهته بين العاشرة صباحاً والثالثة بعد الظهر ويتوقف تعيين هذا الوقت على اقليم البلد الذي يكون الطفل مقبلاً فيه

كریم — ما هي الاوقات التي يجب ان لا يخرج الطفل فيها للنزهة

الدكتور — يوم تشتد الرياح وتزداد برودة الهواء وتغطي الارض بالثلج ولا يخرج الطفل في اي الاحوال الجوية الرديئة قبل ان يصير عمره ثلاثة اشهر ولا تنطبق هذه القواعد على الاطفال الضعفاء فهؤلاء يحتاجون الى الهواء الطلق كثيراً بقدر ما هم في حاجة الى وقايتهم من البرد او الزكام

ثم التفت الى السيدة الجالسة في القرب منه وقال لها : كم عمر طفلك ؟

قالت — تولد في العيد الصغير اللي فات

قال — ومتى مرض ؟

قالت — انه مريض من زمان قوي

قال — من شهرين او ثلاثة اشهر

قالت — زي كده

قال — اتذكرين كيف ابتدا مرضه

قالت — تولد حلو وسمين وبعد شوي ابتدا يحس وصار يسهل ويقح ويتقيأ وماعدش

نام في الليل زي عادته وكان بيوقف ويقعد وحدو

قال — كيف كنت تغذينه ؟

قالت — كنت اعطيه البز (اي الثدي) كلما سمعتو يبكي وعند النوم ارك البز في بقو

(فه) وكان ياكل شيء ولما صار معو اسهال قالوا اعطيه لبن دكر ولبن بقر فصرت اعطيه

لبن بقر ووكلوكل شيء منا كلو . وكان الطفل ناعماً في حجر والدته وقدماء عاريتان وثيا به

رثه وفذرة

فقال الدكتور — الا تغيرين ثيابه

قالت — بقالي حبه كبيرة ماغيرتش ثيابو ولا غسلت عينيه ولا وشو وبتقول نينتي

حتى بلوش ابدأ

فقال الدكتور موجهأ كلامه الى كريم — هذا الطفل له امثال يعدون بالملئات بل

بالآلاف والامراض تنتابهم وتحصدهم من غير شفقة ولا حنان

الدكتور شخاشيري



بَابُ الزَّرَاعَةِ وَالْاِقْتِصَا

الاقتصاد الريفي

نشوء هذا العلم الجديد - غرضه ووسائله

وجوب العناية به في مصر

اخذ علم الاقتصاد الريفي يتكون وينفصل رويداً رويداً عن علم الاقتصاد العمراني . وليس المقصود من العلم الجديد ما نعرفه باسم الاقتصاد الزراعي . فمدار بحث العلم الجديد هو الانسان ممثلاً في (العمل) . وبمعنى آخر يحاول الدعاة الى هذا العلم ان يفسروا موارد الثروة الثلاثة رأس المال والارض والعمل بغير التفسير المعروف . ففي نظرهم ان العمل الجبلي في الاتاج في حين ان الموردين الآخرين سلبيين وان الاتاج يحصل من اجل العمل او (العامل) ان قصة نشوء هذا العلم مدعاة للعجب فقد لاحظ المشغولون بالامور الاقتصادية كما لاحظ السياسيون ايضاً اندفاع سبيل المهاجرة من الريف الى المدن فحاولوا صده بكل ما توصلت اليه افهامهم من الوسائل ولكنهم اخفقوا . واخيراً في فجر القرن الحالي سأل احد مفكري الاميركيين السؤال الآتي : « لم يَغمط الفلاح حقه في متابعة الروح العصرية باهال وسط الحياة الريفية حيث يبدو العمل على اقبح صورة فيزهد ذوو المطاعم واهل المواهب في الاقامة بين الحقول بينما يتمتع اخوهم العامل المدني بقسط وافر من الثقافة والهنو؟ » وحقيقة شاهد الناس ان اوساط المدن مستكملة وسائل التقدم المادي والمعنوي ففيها المدارس والمستشفيات وكل ما يسبب الغبطة في حين ان الريف محروم من كل ذلك اذن كان اول ما خطر ببال الاقتصاديين ان هذا هو الدافع الى هجرة الفلاح الى المدن تاركاً وراءه الاراد المضمون متوجهاً الى حيث هو مجبر على الكفاح ومزاحمة جيش العاطلين . وكان اول ما خطر ببال الاجتماعيين ان صرح العائلة اخذ يتقوض في المدن فاذا ما تهدأ انهار على اثره نظامنا الاجتماعي ووجدوا ان الريف هو حصن العائلة المنيع ففيه يجب تثبيت

هذا النظام لان الريف هو المورد الذي تستمد منه الامم الافراد الذين يشيدون عظمها بقوة
عقولهم واذرعهم والريف انسب بيئة لنمو المدن

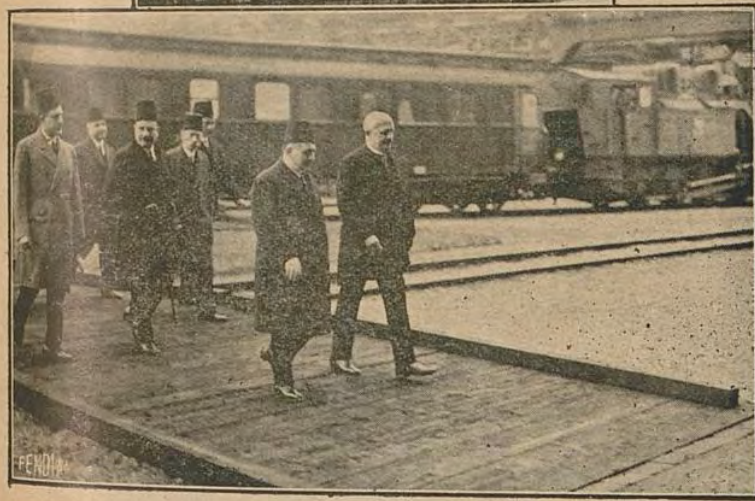
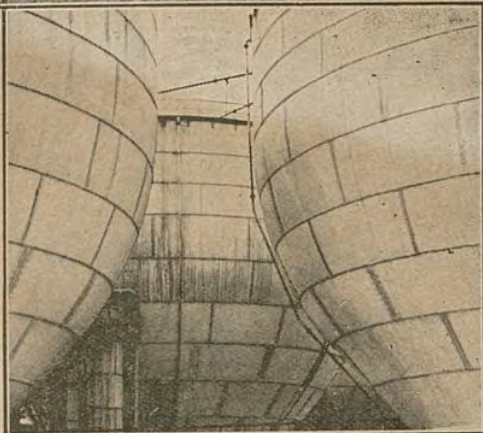
فقامت فئة من الاميركيين لتعمل على رتق الخرق قبل اتساعه فانضم اليها الرئيس
روزفلت بعد عام من انشائها اي سنة ١٩٠٨ واخذت تدعو الى العمل على رفع المستوى الحيوي
والفكري للريفيين وبالفعل قدمت الاقتراحات تلو الاقتراحات لدار الندوة فلم تعرها اذناً
صاغية فلم يقل هذا الاهمال من ساعد الجماعة بل جمعوا شملهم وهبوا لنشر الفكرة في كل صقع
عن طريق الجرائد والمجلات والاجتماعات والنشرات واخيراً نجحوا في اكتساب احدى
الجامعات الى صفهم عام ١٩١١ فانشأت من تلاميذها فرقة لمساعدة الحركة الجديدة ولم تأت
سنة ١٩٢٢ حتى أزر الحركة اربعون جامعة من ثمانية واربعين جامعة عامة في الولايات المتحدة
وانشأت لها فرقاً ليس للمساعدة فقط بل لدرس الحياة الريفية الامر الذي اضطرت معه
بعض الجامعات الى انشاء كراسي (للاقتصاد الريفي) تعمل على درس العامل بصفته
انساناً له غايات وآمال ورغبات وامثلة عليا. وقد اصبح رواد هذا العلم في الوقت الحاضر
اساتذة الجامعات يحيط بهم تلاميذهم المستعدون للقيام بكل ما يطلب منهم عمله. ففي اوقات
الدراسة يتلو الاستاذ على طلبته ما توصل اليه من المعلومات ويلقي عليهم الارشادات اللازمة
حتى اذا حلت العطلة المدرسية انتشر الشبان والشابات في القرى لتنفيذ امرين اولها جمع
البيانات اللازمة وارسالها الى اساتذتهم لتمحيصها وتبويبها وثانيهما نشر حياة الجامعات
الاجتماعية في انحاء الريف

يقولون ان جامعات اميركا ليست مدارس قدر ما هي مصانع همها تحويل كل من
بلجها من ابناء البلاد او من المهاجرين الى بضاعة اميركية صرفة فهناك يتشرب الطلبة
روح النظام الذي يعمده الاخصائيون المثل الاعلى للحياة التي يجب ان تكون عليها الولايات
المتحدة. فالطلبة الذين يتلقون عن اساتذتهم اسمى الآراء الاجتماعية هم الذين يجعلون من
انفسهم امثلة حية في الاوساط التي ينزلون فيها في اجازتهم الصيفية

اما البيانات التي يجمعونها فتدور على حالة المنطقة التي ينزلون فيها مثل عدد المنازل
وعدد السكان وكل منهم ارباب عائلات وما هو عدد المتزوجين والارامل والذين لم يتزوجوا
وعدد المعتمدين على كل رب العائلة ومقدار دخل العائلة وما هو عدد المتوطنين والمستوطنين
وكم تنفق كل عائلة وعلى اي الانواع تنفق اكثر دخلها وكم يتوفر لها منه ومن اين تستورد
ما تحتاج اليه المنطقة والى اين تصدر ما يزيد لديها من المصنوعات والمحاصيل وما الذي
يفرأونه وما هو عدد المتعلمين ودرجات تعليمهم ومن يكلف رب العائلة اكثر من غيره الزوجة

او الام والبنات او الابن الخ، وكـم من اهالي المنطقة ينزحون عنها كل سنة الى ابن ولما ذامن يأتيها وماذا يفعل فيها وكـم عدد المالكين والمستأجرين والعمال وما هي الامراض المنتشرة وما هي روابط المصاهرة وكـم كنيسة في الناحية ومتوسط عدد المترددين عليها، وكـم خانوت، وكـم بنك وبـم يشتغل المتعلمون في المنطقة وحالة البيع والرهن الخ مما يطول شرحه من الدقائق مثل ذكر متوسط عدد النوافذ والابواب والاسرة والحمامات ودور المياه في كل منزل ووسائل اللهو في الناحية. كل هذا يطلب من التلامذة ذكره مع ابداء ملاحظاتهم الشخصية عنه فمثلاً يقول التلميذ ان في الناحية كذا عائلة منها — عائلة مشتركة في اكثر مع جريدة يومية وكذا عائلة مشتركة في جريدة واحدة وكذا مشتركة في جرائد اسبوعية وكذا عائلة مشتركة في المجلات العامة الخ والمقصود من هذا البيان بسط وجهة عن الحالة الفكرية في الناحية التي هي موضوع البحث. هذا هو الدرس النظري للموضوع

اما العملي فيدانه اوسع اذ يتنزه الطلبة فرصة العطلة المدرسية فيكونون بعضهم مع بعض مدارس لتعليم الالميين وينشئون اندية الزراعة والخطابة والفناء والموسيقى والتمثيل وقيمون المعارض وينظمون فرق الكشفة والاسعاف واطفاء الحريق وفي هذه المنشآت كلها يشنون روح الجامعة في الوقت الذي يسلمون فيه الالهيين ويرفعون مستوى قدرتهم على الانتاج ولموظفي الحكومة المحليين كما لاصحاب الاعمال الحرة في المنطقة شأن مهم في هذه الاعمال فهم ايضاً من خريجي الجامعات ولذلك نجدهم يقومون بنصيب وافي من الواجبات فالطبيب يلقي المحاضرات ويمرن الالمات والبنات على طرق الاسعاف الاولى. ومهندس الزراعة يخطب عن الآفات وطرق انتخاب الاصالح من انواع المزروعات ويراقب حقول التجارب. والبيطري يمرن الاولاد على انشاء اندية لتربية الخنازير مثلاً ويدبرهم على الاعتناء بها. ومهندس الجهة يشير الى احسن الطرق لبناء منازل صحية وهلم جراً وهم يقومون بهذه الخدمات لمصلحة الجماعة ولمصلحتهم هم ايضاً لان الجماعة تكون اكثر حاجة اليهم عند ما ترتقي افهامها فتحاول ان تعيش عيشة راقية بعيدة عن الالهال والاستسلام هذا موجز لما تقوم به الجامعات ولم تعد وحدها المهتمة بالموضوع فان المدارس الثانوية اخذت تهم ايضاً بخدمة هذه الحركة وبعد ان كان الاساتذة بعيدين عنها اخذوا ينضمون اليها فيقضون اجازاتهم متنقلين مع زوجاتهم وأولادهم في سيارات تشبه المساكن الصغيرة لاقاء المحاضرات على المزارعين كل في فنه ويساعدون التلامذة بما يحتاجون اليهم فيه. وهناك جمعيات خيرية دخلت ميدان العمل ايضاً فأرسلت اعضاءها لتعليم الالهيين كيف يفعلون هذا الشيء او ذاك والنساء منهم يلقين المحاضرات في الطبخ والتطريز وتدريب



(فوق) جلالة الملك مع رجال حاشيته ومدرء المعمل على ساهم البناء الخاص بشؤون المعمل الاجتماعية
(وسط) الخلائق الضخمة التي يخزن فيها السماد
(تحت) جلالة الملك يتجول في ارض المعمل

المزول وحتى المصانع فأنها ترسل موظفيها لتعليم الريفيين كيفية تشغيل الآلات التي يصنعونها لكي يروج سوقها . هذه لمحة تبين الاتجاه الذي يسير نحوه علم الاقتصاد الريفي وما تسهل ملاحظته ان الجانب العملي منه اهم بكثير من الجانب النظري الذي يقتصر في الوقت الحاضر على نشرات تحوي ما امكن العثور عليه من البيانات بعد تبويبها وتنسيقها وهذه خطوة اولى يليها وضع المبادئ والقوانين

ان المقصود من نشر هذا المقال هو توجيه نظر اولى الشأن في مصر الى وجوب التفكير جدياً في رفع مستوى الفلاح الحيوي لانه لسوء الحظ منقطع انحطاطاً مؤلماً ومن البعث نشر فكرة التعاون في وسط خالي الذهن تماماً من معنى الحياة الراقية التي تستحق النضال من اجل الوصول اليها . ان تلامذة المدارس يقضون شهوراً طويلة بلا عمل فلم لاستعين بهم على الاقل لنشر التعليم الاولي في الارياض وفي الوقت نفسه ندرهم على الاصلاح الاجتماعي وهم في المدرسة فنكون منهم نواة صالحة لامة ارقى

بدأت الجامعة الاميركية في القاهرة بشيء من هذا الجهد بواسطة تلاميذها وغيرهم من ينضم الى فرعها الاجتماعي ولكن جهادها يكاد لا يذكر لانه في مبدئه اولاً وثانياً لانها لا تجد مشجعاً لها من اصحاب الرأي والحكومة

عمر غنايت

جهد الملك في معامل لونا

اهتمام جلالتيه بالصناعة والزراعة

يمتاز جلالة الملك فؤاد الاول بصفات احلته اعلى مقام في نظر العالم المتمدين . فالغريبيون يحترمونه ويحلمونه لا بصفته ملكاً فحسب ولا لانه من نسل محمد علي فحسب بل لانه وعي في صدره من علم غزير وحكمة فائقة دهش لها كل من اتصل به او نال حظ المشول بين يديه بذلك على هذا ميله الشديد الى الاطلاع والتفتيش عن كل ما له علاقة ببلاده ، زراعياً كان او صناعياً او اجتماعياً . وقد كان في تجوله في مدن اوربا لا يرضى بالاكتفاء بالزيارات الرسمية الى عواصمها ومقابلة اهل الادارة والسياسة وحضور الحفلات والمآدب بل كان يتعدى كل هذا الى غاية اخرى هي زيارة مصانعها وحقول تجارها الزراعية مدققاً في فهم كل ما يراه منقباً عن كل مستحدث طريف مفيد . وقد تجلت لنا هذه النية الملكية السامية لما تفضل جلالتيه وزار حقلاً من حقول التجارب الزراعية فشاهد نوعاً جديداً من العلف فسأل عن اصله وكيفية انتخابه ولما لم ير الجواب سديداً التفت الى الحاضرين وقال

«لم تكن غايتي رؤية المروج فعندنا منها شيء كثير إنما كانت للاطلاع على كل جديد ينفع بلادنا»
وكانت عبارته هذه تعرب عما يكنه في صدره من الحب لمصر والعناية بترقيتها
وقد كان هذا شأن جلالاته في زيارته الى معمل لونا الذي يصنع نترات الحير الالمانى.
فقد شرف جلالاته هذا المصنع بزيارته في يوم ٢١ يونيو الماضي فقضى فيه من الساعة العاشرة
صباحاً الى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر متنقلاً بالسيارة أنا ومشياً على الاقدام أنا
آخر بين مختلف دوائر الصناعة والاجتماعية وكان يظهر من الاهتمام بكل ما يراه ما ادهش
الرجال الذين ساروا في ركاب جلالاته من وطنيين واوربيين
اما الارض التي اقيم فيها مصنع لونا الا تف الذكر فطولها نحو خمسة كيلو مترات
وعرضها كيلومتر والمعمل مسطحه نحو من ستة كيلو مترات وربيع وقد اقيم فيه معمل للغاز
يحتاج يومياً الى ثلاثة آلاف طن من فحم كوك
يشاهد القادم عليه من بعيد مداخنة الثلاث التي يتراوح علوها بين ١١٠ امتار و١١٣ متراً.
وفيه يستعمل ما يبلغ ثمانية عشرة الف لتراً بالساعة. وهذا المقدار يكفي ما نحتاج اليه
برلين وضواحيها مع ان سكانها يربون على خمسة ملايين من الناس. ثم فيه مستودعات الاسمدة
الهائلة وهي خلاطين ضخمة من الحديد تشغل مكاناً طوله ٣٤٥ متراً وعرضه ٥٥ متراً
وتسع ربع مليون طن من الاسمدة. اما عدد عمال مصنع لونا فينيف على تسعة عشر
الفاً يرأسهم مائتا كيمائي ومهندس وثلاثة آلاف من الموظفين الفنيين والتجارين. واما
انتاج هذا المصنع في العام فقد بلغ خمسمائة وخمسين الف طن من الازوت التي الذي
يعادل ثلاثة ملايين وخمسمائة الف طن من نترات الحير المستعمل في مصر
فهذا المصنع الذي هو عالم في حد نفسه يرجع كل الفضل في ارتقائه واتساعه الى
البحث المتواصل الذي قام به عدد عديد من العلماء المخصصين فلا يستغرب ان يتلو الاكتشاف
فيه الاكتشاف ويعقب ذلك تطبيقها عملياً على تحسين مصنوعات وتعميم فوائدها
ان زيارة جلالة الملك الى العواصم والمصانع والمزارع في اوربا كانت بحق اعظم ما
يقوم به ملك من حسن الصنيع نحو امته. وقد كانت الرحلة موفقة من نواحيها التي لا يتعرض المقنط
لتفصيلها لانها خارجة عن موضوع بحثه ولكن هذا لا يمنع من التلميح اليها
فعمى ان تكون زيارة جلالاته الى اوربا واهتمامه بوسائل الرقي الصحية. وتميزه للباب
المدنية عن قشورها فيما عني به من الامور، قدوة حسنة لانباء شعبه تحملهم على انفاء
خطواته في الطموح الى العلم والعمل على اخراج هذا الطموح من حيز الفكر الى حيز العمل
ثابت ثابت

مكتبة المقتطف

كتاب الاعتبار لأسماء بن منقذ (١)

نقله الى الانكليزية الدكتور فيليب حتي — وكيل الدائرة الشرقية بجامعة برنستون —
طبع بمطبعة جامعة كولومبيا بنيويورك

أسماء بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني كاتب ومؤلف مشهور زجه ابن خلكان فقال انه من اكابر بني منقذ اصحاب قلعة شيزر وعلمائهم وشجعانهم له تصنيف عديدة في فنون الادب ذكره ابو البركات المستوفي في تاريخ اربل وأثنى عليه. وذكره العماد الكاتب في الحريدة فقال بعد الثناء عليه انه سكن دمشق ثم نبت به كما تنبو الدار بالكريم فانتقل الى مصر فبقي فيها مؤمراً مشاراً اليه بالتعظيم الى ايام الصالح بن رزك ثم عاد وسكن دمشق ثم رماه الدهر الى حصن كيف فأقام به حتى ملك السلطان صلاح الدين دمشق فاستدعاه اليه وهو شيخ قد جاوز الثمانين . وقال العماد ، وكنت أتمنى ابداً لقاءه . . . حتى لقيته في صفر سنة احدى وسبعين وخمسمائة وسألته عن مولده فقال في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٤٨٨ بقلعة شيزر . وتوفي في الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٨٤ بدمشق ودفن شرقي جبل قاسيون

ولأسماء كتب كثيرة احصى منها درنورغ اثني عشر كتاباً وله «اياد بيضاء في النثر والشعر» على ما ذكر تلميذه ابن عساكر . وقد كشف الدكتور صروف منشئ هذه المجلة كتاباً آخر عنوانه «باب الآداب» ووصفه في المقتطف في آخر سنة ١٩٠٧ وسنة ١٩٠٨ والنسخة التي كشفها هي النسخة الاصلية التي كتبت المؤلف سنة ٥٧٩ للهجرة اي قبل وفاة أسماء وقد وهبها لابنه وكتب ابنه عليها بيده يقول ان اياه وهبه اياها . فهي من اقدم الكتب المخطوطة المعروفة المحفوظة الى الآن . وهذه النسخة محفوظة في خزانة الدكتور صروف بمنزله بقصر الدوباره

(1) An Arab Syrian Gentleman and Warrior in the Period of the Crusades. Memoirs of Usamah ibn Munqidh translated by Philip K. Hitti of Princeton University. Published by Columbia University Press.

وفي مكتبة الاسكوريال نسخة مفردة لكتاب آخر له اسمه « كتاب الاعتبار » ترجمه المستشرق درنبرغ . فلما اطلع الدكتور فيليب حتي على صفحات من هذه الترجمة عني بمراجعة نسخة فتوغرافية من الاصل العربي لما رآه في الترجمة من الهنات . والنسخة الفتوغرافية التي حصل عليها ترجمها بحذافيرها على ما هو مشهور به من الدقة والاطلاع ومعرفته بأسرار اللغة العربية ومغامزها فجاءت ترجمته كتاباً في ٢٥٣ صفحة انكليزية كبيرة وقدم له مقدمة مسببة ترجم فيها أسامة وحل حياته تحليلاً تاريخياً وعقلياً بليفاً . وقد نعود الى المقدمة فننقلها الى قراء المقتطف

وهذه المذكرات كما يقول الدكتور حتي في مقدمته « قطعة نادرة من الادب العربي لانها تفتح امام عيوننا باباً نطل منه على المصور الوسطى وتوسع نطاق معرفتنا بالثقافة العربية . وعلاوة على ذلك انها قطعة من الادب غريبة في معناها ومبناها »
فنشكر للدكتور حتي خدمته هذه الجليلة للادب العربية وتتمنى لو كان في امكانه ان ينفق مع احدى المطابع العربية لاجراء هذا السفر النفيس مطبوعاً بلغته الاصلية فتم الخدمة وتم

تاريخ التجارة السورية

في المهاجر الاميركية

بقلم سلوم مكرزل — طبع بالمطبعة التجارية السورية بنيويورك
صفحاته ١٦٦ قطع اللطائف المصورة — مزدان بصور كثيرة

من غرائب الاتفاق اننا امسكنا هذا الكتاب لنكتب عنه كلمة في المقتطف فطالنا مقدمة مؤلفه في نشأة التجارة السورية في اميركا الشمالية ومقدمة الدكتور حتي في المهاجرة بوجه عام ومهاجرة السوريين بوجه خاص . ثم عرض لنا ما اوقفنا عن المطالعة . وجئنا المكتب فلم نلبث فيه ساعة حتى مثل امامنا رجل اسمر اللون متوسط العمر تلوح عليه امار الذكاء والهمة وقال « انا سلوم مكرزل » فدهشنا لهذا الاتفاق لاننا لم نكن ندري انه في هذه الافطار . وقضينا معه اياماً في القاهرة نستزيده من اخبار السوريين في اميركا في مختلف ميادين العمل . فاذا محتويات كتابه تنضب والحقائق التي يسردها لك عن كل ما يتعلق بشؤون الجالية السورية في نيويورك وغيرها من مدن اميركا لا تنضب والحق يقال ان سلوم افندي مكرزل قد اسدى الى المهاجرين السوريين يدلاً لا ننسى فقد كان اول من انشأ مجلة تجارية مالية في اللغة العربية . وكانت مجلته هذه في رتبة ارقى المجالات التي من نوعها تقع فيها على المقالات الاقتصادية والبيانات المالية التي يوثق بها واخبار

التجارة السورية في انحاء المعمور. وظلت تصدر سنين حتى رأى ان يحجبها لكي يصدر مكانها مجلة انكليزية دعاها « العالم السوري » وغرضه منها ان تكون صلة بين النشء السوري الاميركي الجديد الذي يجهل اللغة العربية والوطن الذي نشأ فيه آباؤه واجدادهم . وقد انضم اليه في هذا العمل المحيد اعيان الاديباء السوريين في المهجر كالدكتور حتي وجبران خليل جبران وامين الريحاني ومخائيل نعيمة والدكتور كاتبه وغيرهم

زد على ذلك انه قضى ٢٩ سنة في المهجر يعالج فيها شؤون الطباعة والصحافة فكان له في ذلك فرصة سانحة للاطلاع على احوال التجار السوريين ونشوء متاجرهم وتنوعها . ففني بجمع المواد لهذا الكتاب

فصل في صدره الادوار التي مرت فيها التجارة السورية من استيراد البضائع من البلاد المقدسة وبيعها ورجوع اصحابها الى الوطن بما كسبوه الى المحلات الفخمة القائمة الآن في الافنيو الخامس وقد امتدت فروعها الى ايطاليا ومديرا والصين واليابانيين واصبح اصحابها اميركيين متجنسين واولادهم اميركيي المولد والنشأة والتدريب . وبعد ما فصل هذه الادوار اختار اشهر المؤسسات التجارية في فروع التجارة المختلفة التي اشتهر بها السوريون وذكر طرفاً من سير اصحابها واتساع اعمالهم وما لهم من المكانة في بيئتهم الخاصة . وحديث هذا القسم من الكتاب هو حديث « العصامية » من كل نواحيها . فما من تاجر من هؤلاء التجار الذي زاه يسكن قصرًا فخماً ويعمل في مكتب على أحدث طراز هاجر الى اميركا ومعه رأس مال يبدأ به العمل الا عزيمته وطموحه الى العلى . فصح فيه قول حافظ :

اسطولهم امل في البحر مرتحل وجيشهم عمل في البر مغترب
فنشكر للمؤلف هذا الكتاب النفيس ونتمنى ان يتحفنا قريباً بالجزء الثاني منه

مؤلفات الاستاذ جبر ضومط

اجتمع لدينا في شهري الصيف ثلاثة كتب نفيسة للاستاذ ضومط اثنان جديدان والاخر طبعة جديدة لكتاب مدرسي قديم مشهور فرأينا ان نشير الى كل منهما على حدة

١ — فلسفة اللغة العربية وتطورها

للعامة الاستاذ جبر ضومط — استاذ اللغة العربية وآدابها في جامعة بيروت الاميركية سابقاً — نظرات خاصة في التاريخ والعمران واللغة . وقد بسط هذه النظرات في خطاب لاهاه في مجامع علمية او رسائل نشرها في المجلات المشهورة . وقد اختار الآن معظم ما نشر

من هذه الخطب والرسائل في مجلتي المقتطف والهلal وطبعها في كتاب على حدة فجاء الكتاب تحفة من تحف الادب النادرة

ففيه تقع آناً على نظرات عمرانية حكيمة في «الدستور العثماني» او مكانة «المال» الذي دعاه «خاتم المارد وبساط الريح» او انتقاد رواية فتاة مصر. وآناً آخر تقع على مباحث طريفة في التاريخ الشرقي لم يسبق اليها جمع فيها الى البحث العلمي والجغرافي الدقيق النظر في الكتب المنزلة واستنباط الحقائق من آياتها كما ترى في مقالته التي عنوانها «ممالك قدار وحاصور» و«الحيون» و«اصل النبط في البراءة» و«مهد الجنس السامي»

ثم هناك طائفة ثالثة من المقالات بسط فيها الاستاذ رأيه في اللغة العربية: ما اخذت وما اعطت: كيف نشأت وتطورت: وما هو السبيل الذي يجب ان يسلكه ابناءؤها ليلغوا بها الرتبة العليا بين اللغات الحية. في هذه الرسائل صب الاستاذ ضوئاً من روحه وخبرته التي كسبها في اثناء خمسين سنة قضاه في التعليم والتدريس والبحث والتنقيب. ويضيق بنا المقام لو اردنا الاستشهاد ببعض آياتها ولكننا نحيل القارئ على الفصول التالية: «الغة العربية ما اخذت وما أعطت» «ارتقاء اللغة العربية» «الغة العربية واللغات الاوربية» وللكتاب مقدمة من قلم المرحوم الدكتور صروف كان قد اعددها قبيل وفاته لتتلى في يويل الاستاذ ضومط الذي اقيم في ابريل سنة ١٩٢٨. ومما قاله فيها «ان ما ائبته صديقي الاستاذ ضومط في كتاب «الخواطر في اللغة» شبيه بما كشفه مندل في الوراثة. فان مباحث هذا الراهب النمساوي التي نشرها سنة ١٨٦٦ طرحت في زوايا المنسيات مع انه كشف بها اهم الحقائق البيولوجية الى ان كشفت ثانية سنة ١٩٠٠. فهل يقوم من تلا هذا الاستاذ ضومط من يعود الى هذا البحث... الخ

والكتاب مطبوع في مطبعة المقتطف في ٢١٥ صفحة كبيرة وثمنه ١٥ غرساً صاغاً

٢ — الخواطر العرب

هذا كتاب مدرسي وضعه الاستاذ ضومط لتدريس قواعد النحو والاعراب وقدنا فيه نحواً جديداً يتفق ونزعات الفلسفة التعليمية الحديثة. لانه أدرك بالمرآة ان «علم النحو اذا اقتصر فيه على مجرد الحفظ من غير اشراف على فهم او تمييز كان مصيبة وإيماً مصيبة على المعلم والمتعلم معاً. اما اذا صحبه الفهم وبعبارة اخرى اذا اقترن بالاعراب فهو من اجل العلوم التي تعلم في المدارس لغاية ترويض العقل وتبنيه قوتي القياس والاستنتاج لا بفضله في ذلك علم من العلوم بل هو من هذا القبيل يكاد يفضل على الرياضيات والنطق

والفلسفة العقلية معاً». على أن الحفظ لا بد منه في النحو. وهذا امر يقره الاستاذ ضومط ويعطيه نصيبه من العناية لانه يدري ان التلميذ لا يستطيع ان يقرأ قراءة عربية مضبوطة الا اذا عرف المرفوعات وبما ترفع والمنصوبات وبما تنصب الخ

لذلك تراه في كل فصل من فصول الكتاب وقد اكثر من ايراد الامثلة والشواهد لكي تجسم المبادئ النحوية في عقل التلميذ قبلما يقبل على القواعد المجردة يستظهرها وبذلك يرسخ في عقله ان علوم اللغة ومن بينها النحو هي علوم خاضعة لاحكام العقل يتصرف فيها بما يناسب المصلحة والغاية لامستغصية عليه مستبدة به». وجبذا الحال لو كان في هذا الباب متسع لتقل الكلمة التي وجهها المؤلف الى الاستاذ باسطاً فيها الغاية من وضع هذا الكتاب والاسلوب الذي جرى عليه في تأليفه لانها من ابلغ ما صُدِّرت به كتب التدريس

ومن ادلّ الدلائل على وفاء الكتاب بالغرض الذي وضع له ان النسخة التي امامنا هي من نسخ الطبعة الثالثة. وهو مقدم الى المرحوم الدكتور جورج بوست ومطبوع بالطبعة الادبية ببيروت ويقع في ٣٤٨ صفحة من قطع المقتطف

٣ — سفر التكوين

وهو بحث نظري فلسفي تشرحي لبيان من هو كاتب هذا السفر والغاية من كتابته. جاء في مقدمة الكتاب: كان العلماء قبلاً ولا يزال كثيرون منهم الى الآن يظنون ان كاتبه هو موسى النبي كلّم الله. على ان بعض العلماء الاعلام من المتأخرين نسبوه الى ثلاثة (حبذا الامر لو ذكر الاستاذ ضومط هؤلاء الاعلام لبيان مكانتهم وقيمة آرائهم) على ان العلامة «برستد» يظن ان الكاتب عاش في ايام آخاب ملك اسرائيل او فيما بعده بقليل. ولكن الآراء المستجدة... حملتني على درس اسفار العهد القديم... درساً استغرق ما ينيف عن عشرين سنة قبل ان وجدت نفسي مقتنعاً بما وصلت اليه مما اظنه يستحق ان يعرض على انظار اهل العلم والفضل. وعند الاستاذ ان كاتب هذا السفر هو يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم. وغايته من كتابته ان يعلم مناظروه ومنافسوه في المنزلة التي حازها عند فرعون انه ابن بيت ليس هو دون بيت من بيوتهم ووارث رياسة كهنوت ليست في منزلها دون رياسة لكهنوت فوطي فارغ كاهن اون حيه». فنأمل ان ينظر المستشرقون والمشتغلون بالمباحث التاريخية الفلسفية في هذا الكتاب نظر عناية وتقدير لان موضوعه الفلسفي ومكانة مؤلفه يقتضيان ذلك

النقد التحليلي

لكتاب « في الادب الجاهلي »

تأليف محمد احمد الغمراوي — وله مقدمة مسهبة بقلم العلامة الامير شكيب ارسلان

طبع بالمطبعة السلفية صفحاته ٣٢٥ قطع المقتطف

في الكتاب الاول الذي نشره الدكتور طه حسين في موضوع الادب الجاهلي عقد فصلاً بعنوان منهج البحث يلخص بقوله : يجب حين نستقبل البحث عن الادب العربي وتاريخه ان ننسى قوميتنا وكل مشخصاتها وان ننسى ديننا وكل ما يتصل به وان ننسى ما يضاد هذه القومية وما يضاد هذا الدين . يجب ان لا نقيد بشيء الا منهاج البحث العلمي الصحيح . ذلك اننا اذا لم ننس قوميتنا وديننا وما يتصل بهما لضطر الى الحباة وارضاء العواطف ونغل عقولنا بما يلائم هذه القومية وهذا الدين

وكان من شأن الكتاب الاول ان احدث في البلاد المصرية حركة نقد عنيفة اتصل بمنبر البرلمان واسفرت عن جمع نسخ الكتاب من المكتبات التي يباع فيها

ومن الذين تصدوا لنقد حينئذ الاستاذ محمد احمد الغمراوي فنشر ساسلة من المقالات في جريدة البلاغ عرض فيها لطريقة الكتاب العلمية واسانيد متوخياً تبين نجاح المؤلف في التزام الجادة التي بسطها في فصل « منهج البحث » الذي اشرنا اليه سابقاً ثم اعاد الدكتور طه حسين النظر في كتابه الاول فحذف فصولاً او بعض فصول وتوسع في فصوله الاخرى وأضاف اليه فصولاً جديدة . فعمد الاستاذ الغمراوي الى رسائل النقد التي كتبها في البلاغ مستبقياً منها ما يتفق وفصول الكتاب الجديد متوسلاً في بعضها حتى يشمل الفصول الجديدة . ثم جمعها كلها فكان هذا الكتاب الادبي المنع الذي يشتمل على خواطر ومباحث في الادب تدل على سعة الاطلاع واختار الرأي وصفاء الذوق الادبي . ومما يسرنا ان المؤلف تربى تربية علمية فهو مدرس للكيمياء التحليلية ورئيس الجمعية الكيماوية المصرية . والعقل المثقف باساليب البحث العلمي بصعب عليه الاخلاص الى ما لا يقنعه بالبيينة الثابتة او الدليل المرجح . يدلك على ذلك وصفه « للنظرية في العلم » صفحة ١٣٥ . وفي الكتاب استطرادات ادبية وتاريخية جلية الفائدة كبحثه فيها يتعلق بالذوق والنقد الادبي ومقاييس التاريخ الادبي من صفحة (٦٠ - ٩٧) واسباب احوال الشعر ص (٢١٤ - ٢٧٦) . و« هل شكك علمي » ١٠٠ - ١٣٢

ومما يزيد في فائدة الكتاب ومكاته المقدمة البليغة التي قدمها له الامير شكيب ارسلان ففيها من فنون الادب العالي واساليب البلاغة العربية ما يجعلها اطاراً جميلاً بصورة جميلة

مختار القصص

بقلم كامل كيلاني — صفحاته ١٩٨ صفحة قطع المقتطف — طبع بمطبعة العصور
وفيه صور كثيرة : ثمنه ٥ غروش ويطلب من مكتبة الوفد

لم يكنف كامل كيلاني أفندي بتضلعه من آداب العرب وتاريخها تضلعاً يحسده ويقبضه عليه كثيرون من المتأدبين . بل عمد الى الادب الحديث من غربي وشرقي يستخرج من الاول درره وينسج في الثاني على منوال الاول . فاختار اشهر القصص القصيرة التي وضعها بوكاشوف وهي تصور حالة المدن الايطالية المشهورة كالبندقية وفلورنسا وغيرها في العصور الوسطى تصويراً قصصياً يأخذ بمجامع القلوب ويستهي عقول القراء بما فيه من النكات المستلحة والحكم المطوية في تضاعيف الحوادث والسطور والمفاجئات الغريبة — اختار بعض هذه القصص ونسجها في برد عربي قشيب . اذ لا يخفى على قراء المقتطف ان اسلوب الاساذ الكيلاني من الاساليب العربية المتينة التي يراعى فيها سهولة البيان ودقة التعبير بحيث لا ينفو الكلام على المعنى المقصود

واضاف الى هذه القصص حكايات اخرى اختارها من روايات الصور المتحركة وغيرها او وضعها حتى تلائم البيئة المصرية ونشرها في مختلف المجلات العربية جمعها في هذا الكتاب ولقد اجاد الدكتور ابو شادي في وصفه في قصيدة نشرت في اول الكتاب قال :

يختار من قصص الوري مختارها كالتحل تعشق زهرها العسالا
فاذا اقل فما تراك حجيراً واذا اطل فما تقول اطلا

صندوق الدنيا

بقلم الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني — صفحاته ٣٢٠ قطع صغير
طبع بمطبعة الترقى بمصر

« حصاد الهشيم » « قبض الريح » « صندوق الدنيا » ثلاثة عناوين لثلاثة كتب وضعها الاستاذ عبد القادر المازني اذا استعرضتها اشجنتك عناوينها بما يبدو في الفاظها ومعانيها من دعة وتواضع واحتقار للدنيا ونقمة عليها وسخرية منها وكذلك هي في كثير من فصولها رغم ما يطالعك في سطورها من حكم ، يصح ان تضرب انالاً ، لبراعتها في جمع المعاني الكبيرة في الفاظ قليلة . والسرف في ذلك ان الاستاذ المازني يستمد مادة كتابته من مادة الحياة نفسها ويطيل فيها التأمل فاذا اختتم الرأي في عقله خرج كأنه بلورة صافية متلازمة

ومقالة «خواطر في مرقص» مثل من أسلوبه في هذا النوع الذي يجدر بنا ان نحسبه جديداً في الادب العربي . يرى الكاتب الشيء العادي الذي مر به غيره مرّاً الكرام فيلفت نظره ويستثير فكره فيخرج من وصف الى تحليل الى فلسفة عقلية الى فكاهة بارعة الى شعر يروي او ينظم من غير ان يغيب عنك المشهد الذي كان سبباً في كل هذا ومشاهد الحياة تتغير كما تتغير مشاهد صندوق الدنيا وكلما تغيرت المشاهد جاءك المازني بشيء جديد يطربك او يغيظك وفي كلا الحالين يحملك على التفكير

وقد اجاد في مقدمته موازنة كتابته بمشاهد صندوق الدنيا قال :

« كنت اجلس الى الصندوق وأنظر الى ما فيه ، فصرت أحمله على ظهري وأجوب به الدنيا ، أجمع مناظرها وصور العيش فيها عسى ان يستوقفني نقر من اطفال الحياة الكبار فأحط الدكة وأضع الصندوق على قوائمه وأدعوهم أن ينظروا ويعجبوا ويتسلوا ساعة بملايم قليلة بيجودون بها على هذا الاشعث الاغبر الذي يشبر فيافي الزمان وما له منقلب سوى آماله وهي لوافح ، أو نجم سوى ذكرى نورها خافت
« لهذا سميتُهُ ﴿ صندوق الدنيا ﴾ . . . »

« ولا أزال أجمع له واحشد . وما فتى السؤال الابدی عندي مذحمت صندوق على ظهري : « ماذا أصور ؟ » هذه هي المسألة كما يقول هملت في روايته الخالدة »

مطبوعات اخرى

نذكر فيما يلي المطبوعات الجديدة التي اهديت لنا شاكرين لاصحابها تفضلهم باهدائها معتردين عن تعذر ذكرها كلها بالتفصيل آمين ان نعود الى بعضها لنذكره بما يستحقه في نظرنا وطبعته مطبعة العصور يبحث في علاقة الطبيب بالمعمل من جميع وجوها واشترك معه في وضعه نخبة من اطباء مصر ويحتوي على فصول لم يسبق الى نشرها عن امراض المناطق الحارة . صفحاته نحو ٩٢٠ صفحة من القطع الصغير ويحتوي على نحو ٣٦٠ رسماً . راجع مقالة « الطبيب والمعمل » في باب المقالات من هذا الجزء في تحليله وتقديره

﴿ عقد الاجار ﴾ مجلد قانوني ضخمة في ٧٠٠ صفحة من قطع المقتطف لواضعه الدكتور عبد الرزاق احمد السهنوري مدرس القانون المدني بكلية الحقوق وقد عنيت بنشره لجنة التأليف والترجمة والنشر وطبع بمطبعة دار الكتب المصرية
﴿ الطبيب والمعمل ﴾ كتاب طبي اكلينيكي صحي وضعه الدكتور ابو شادي

﴿ مار يعقوب الرهاوي ﴾ رسالة فلسفية تاريخية بليغة في ترجمة هذا الفيلسوف السرياني الشهير الذي عاش في القرن السابع المسيحي . وضعها الاستاذ مراد فؤاد حقي رئيس تحرير مجلة الحكمة ومدير مدرسة السريان الارثوذكس الثانوية بالقدس . صفحاتها ١٨ صفحة قطع المقتطف وقد طبعت بمطبعة دير ماري مرقس للسريان بالقدس الشريف

﴿ جزيرة رودس ﴾ لقد اصبحت جزيرة رودس من المصايف التي يقصد اليها المصريون بفضل العناية التي تبذلها إيطاليا في اعداد كل ما يلزم فيها لراحة المصطافين ورفاهيتهم . لذلك نرحب بكتاب الاستاذ غزاله بك وكيل مصلحة الصحة سابقاً وعضو الجمعية الجغرافية المصرية الملكية . فقد بسط فيه جغرافية هذه الجزيرة وتاريخها وآثارها واتبعها بخلاصة تاريخية طلية عن اشهر جزائر بحر ايجة وامنع فصول الكتاب الفصل الذي بسط فيه تاريخ رودس القديم

﴿ في مسؤولية الدولة ﴾ عن اعمال السلطات العامة من الناحيتين الفقهية والقضائية . تأليف الدكتور عبد السلام ذفني بك وكيل محكمة طنطا الابتدائية الاهلية . صفحاته ٤٨٤ قطع المقتطف وند طبع بمطبعة الاعتماد بمصر

﴿ النجوم الزاهرة ﴾ في ملوك مصر والقاهرة . الكتاب مشهور وهو تأليف جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تفرجى بردى الاتابكي وقد عني باعادة طبعه القسم الادبي في دار الكتب المصرية . وأهدى اليها الجزء الاول منه في ٤٣٢ صفحة كبيرة متقنة الطبع ككل ما تخرجه مطبعة دار الكتب المصرية . ومنه عشرة غروش للجمهور و٨ غروش لباعة الكتب ولن يشتري عشر نسخ فاكثر منه

﴿ شخصية محمد النبي ﴾ موضوع خطبة انكليزية تقع في ٢٣ صفحة متوسطة القاها الاستاذ يوسف علي في لندن في حفلة عيد الاضحى في مايو سنة ١٩٢٩ ونشرتها دار لوزاك وشركاهم بلندن وهذا عنوانهم Luzac & Co.

46, Great Russell Square,
London

﴿ الرسائل النادرة ﴾ عنوان تنشر تحته مكتبة الخانجي بعض الرسائل الأدبية المشهورة في الأدب العربي . والرسالة التي بين ايدينا عنوانها « ادب الوزير الماوردي المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك » والماوردي من اشهر اديباء العرب وكتابه ويكفيه ان يكون صاحب « ادب الدنيا والدين » حتى يقبل القراء على كتاباته الاخرى . وهذه الرسالة تقع في ٥٨ صفحة متوسطة وقد طبعت بمطبعة العصور

﴿ في سبيل الاتحاد ﴾ عنوان لمحاضرات القاها حضرة الاب الياس اندراوس البولوي في اسبوع الاتحاد المقام في كاتدرائية الروم الكاثوليك في مصر القاهرة في سنة ١٩٢٧ فموضوع المحاضرتين الاولى والثانية : « ضرورة الاتحاد » وموضوع الثالثة والرابعة والخامسة : « هل الاتحاد ممكن » وموضوع السادسة والسابعة : « وسائل الاتحاد » وختمت المحاضرات بخطاب نفيس لسيادة المطران انطونيوس فرج عنوانه « تحريض على الاتحاد » وليس في هذه المحاضرات مباحث او مجادلات لاهوتية في العقائد التي اختلف المسيحيون عليها لان وقتها لم يكن بعد وانما اقتصر في تمهيد السبيل للوحدة الدينية يثروح المحبة والالفة بين المسيحيين وهو هدية من مجلة المسرة الى مشتركيها

﴿ نداء سوريا ﴾ مجموعة نفيسة من القصائد والازجال الوطنية بقلم الشاعر والزجال المشهور ابو الوفا محمود رمزي نظم . وقد عني ببشرها الشيخ يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة . صفحاتها ٣٢ قطع المقطف

« الاجتماعيات » مجموعة مقالات وابحاث وحكم بقلم الاستاذ كامل افندي صموئيل مسيحية وكانت قد نشرت تباعاً في جريدة قارون بالقيوم فرأى حضرة المؤلف ان يجمعها الان في كتاب يقع في ٥٦ صفحة في حجم المقطف

﴿ السمر المهدب ﴾ وهو مجموعة قصص تهذيبية وحكايات خلقية وأمثال ادبية غربية وشرقية اختارها ونظم عقدها الاستاذ علي افندي فكري الامين الاول بدار الكتب المصرية . والكتاب الذي في يدينا وهو الجزء الاول ويليه ثلاثة اجزاء اخرى ﴿ قصص روسية ﴾ لكتاب الروس القصصيين اعلى مكانة في آداب الامم الغربية . وأشهرهم من غير جدال بوشكين وتولستوي ودوستيوفسكي ومكسيم غوركي وغيرهم . فقد احسن الاستاذ سليم قمعين صاحب مجلة الاخاء صنعا بترجمة قصتين من القصص الروسية الاولى لبوشكين والثانية لمكسيم غوركي . واتبعهما بثالثة لكتاب يدعى بيتروشفسكي . وتقع في ٩١ صفحة من القطع الصغير وقد جعلت ملحق لمجلة الاخاء ﴿ ثورة عواطف ﴾ رواية حب يعلم الادب وضعها الروائي المشهور والكتاب الاجتماعي المتفوق الاستاذ نقولا افندي حداد محرر مجلة « السيدات والرجال » صفحاتها ١٤٥ صفحة قطع المقطف

﴿ آثار جرش ﴾ رسالة اثرية تاريخية وضعها الدكتور الاثري ح . و . كرافون رئيس مدرسة الآثار البريطانية في القدس وترجمها سيف الدين افندي البرغوثي خريج الكلية الانكليزية القدسية . وحذا لو بذلت العناية في طبع رسالة نفيسة كهذه لتخرج متقنة متناً وصوراً لانها تستحق ذلك

بَابُ الْمَسَائِلِ

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . وبشترط على السائل (١) ان يضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويمين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهلنا سبب كاف

(١) صنع المرايا

بتسبرج بنسلفانيا . ما هو تركيب المزيج المستعمل لتحويل الزجاج الى مرايا ج . كانت المرايا تصنع ببسط ملغم (خليط) من الزئبق والقصدير على لوح الزجاج . وسنة ١٨٤٠ اشار بعضهم بتسيب الفضة من املاحها بدل ملغم القصدير وكانت ترسب اولا بواسطة الحامض الطرطريك . ومن الطرق المستعملة لذلك ان يذاب ١٢ فمجة من طرطرات الصودا والبوتاسا (ملح روشل) في ١٢ اوقية من الماء ويغلى المذوب ويضاف اليه وهو يغلى ١٦ قحقة من نترات الفضة مذابة في اوقية من الماء التي . ويستمر الاغلاء عشر دقائق ثم يضاف الى المزيج ماء حتى يصير ١٢ اوقية ويصنع مذوب آخر باذابة اوقية من نترات الفضة في عشر اواق من الماء ويضاف

اليه من ماء الامونيا حتى يذوب اكثر الراسب الاسمر . ثم يضاف الى ذلك اوقية من الالكحول وما يكفي من الماء لجعل المزيج ١٢ اوقية

وحينما يراد عمل المرايا تؤخذ مقادير متساوية من المذوب الاول والثاني ويمزجان معاً جيداً ويبسط لوح الزجاج على مائدة افقية وينظف جيداً بالصودا ويغسل بالماء التقي ويصب المزيج عليه وهو لا يزال رطباً فترسب الفضة منه على لوح الزجاج ويسرع رسوبها اذا كان الهواء حاراً او كان تحت اللوح رمل حار . ويغسل لوح الزجاج بعد ذلك ويصب عليه فرنيش يقي الفضة من الاحتكاك

ولا بد من استعمال الماء المقطر في كل ما تقدم . كذلك لا غنى عن مزاوله هذه الصناعة في معمل من معامل المرايا قبل اتقانها اتقاناً عملياً

(٢) ارخيدس والتاج

الموصل . جاء في الكتب التاريخية والطبيعية ان هيرودس السيراقيوسي كلف ارخيدس العالم الصقلي فحص تاج لمعرفة تركيبه : هل هو مصوغ من الذهب الخالص او مخلوط بالفضة وان ارخيدس دخل الحمام ذات يوم ولما غطس في المغطس رأى الماء قد خرج منه فأرشدته ذلك الى حل المسألة. والمشهور ان هذه الحادثة هدت ارخيدس الى الكشف عن قانونه المشهور الذي يفيد ان كل جسم غمر في الماء يفقد من وزنه مقدار وزن الماء الذي حل محله . فكيف ارشدت هذه الحادثة ارخيدس الى حل مسألة التاج

ج . لا بد ان الصائغ جعل وزن التاج كوزن الذهب الذي اعطاه اياه الملك وقد كان ارخيدس يعلم كما يعلم كل احد ان الذهب اثقل من الفضة . اي ان العقدة المكعبة من الذهب اثقل من العقدة المكعبة من الفضة وأثقل ايضاً من العقدة المكعبة من مزيج من الذهب والفضة ولو كان التاج جسماً منتظماً يسهل قياس مساحته المكعبة لتمكن الاستدلال من ثقله ومساحته على ما فيه من الذهب والفضة . لانه اذا كانت مساحته مثلاً خمس عقد مكعبة فيجب ان يوازي خمس عقد مكعبة من الذهب واذا كان اخف منها فيجب ان يكون الذهب قد مزج بمعدن اخف

منه . ولكن التاج غير منتظم فلا تعلم مساحته بالتحقيق . فلما غطس ارخيدس في المغطس وارتفع الماء منه أُنْبِه الى ان الماء الذي دفع من المغطس يعادل حجم الجسم الذي غطس فيه . فسهلت عليه معرفة حجم التاج وبالتالي وزنه ذهباً صرفاً او فضة صرفاً . فصارت المسألة هكذا . ان وزن التاج الف غرام مثلاً فلو كان من الذهب الخالص لرفع الماء في الاناء ٥٢ سنتيمتراً مكعباً اذا غطس فيه . ولو كان من الفضة الخالصة لرفع الماء ٧٧ سنتيمتراً مكعباً . ولكنه رفعه مقداراً متوسطاً ولنفرض انه ٦٥ سنتيمتراً فليس هو ذهباً خالصاً ولا فضة خالصة بل هو مزيج منها . وبالحساب يعرف اي وزن من الذهب واي وزن من الفضة اذا مزجا يكون ثقلها الف غرام وحجمها ٦٥ سنتيمتراً مكعباً

(٣) اسنان النعم الذهبية

كليفلند او هاو . بلغني ان اسنان النعم تكون احياناً مكسوة بطلاء ذهبي وقد فتش كثيرون عن العشب التي تحول سطح الاسنان الى مادة ذهبية او يرسب منها مادة ذهبية فلم يجدوها . فهل ذلك صحيح وما هو النبات الذي يتولد منه الذهب على الاسنان ج : ان ذلك صحيح وقد شاهدنا الاسنان الذهبية في النعم ولكن الطلاء الذهبي الذي عليها ليس ذهباً ولا نحاساً بل هو فصاف الكلس مزوج بمادة آليّة . اي انه مادة

فقد وجدوا ان الشمس ثابتة بالنسبة الى سياراتها وان الارض من جملة السيارات التي تدور حولها والقمر تابع للارض يدور حولها . واكتشفوا سيارات كيرين وراء زحل وهما اورانوس ونبتون فصارت هذه السيارات تسعة عدا النجيمات الكثيرة التي تدور في فلك متوسط بين الارض والمريخ هذا وقد تغير علم الهيئة تغيراً عظيماً في المائة السنة الاخيرة بفعل التلسكوبات العظيمة التي صنعت واكتشاف الحل الطيفي واستعمال التصوير الفوتوغرافي وغير ذلك من الوسائل العلمية

(٦) الشعر في وجه المرأة والرجل

بغداد . لماذا ينبت الشعر في وجه الرجل ولا ينبت في وجه المرأة ولماذا لا ينبت في وجوه الحصيانات . وما علاقته بسن البلوغ

ج . اذا صح رأي دارون وهو ان النساء تنف الشعر من ابدانهم للزينة اي تحبباً للرجال لم يبعد ان تنشأ من ذلك علاقة بين الشعر والبلوغ وقد تصبغ الصفة المكتسبة — ازالة الشعر — وراثية على مرّ الاجيال لانها مفيدة للنوع — اي للنساء — ولا تزال كل المسائل المتعلقة بالشعر على جانب كبير من الغموض

زاوية تلمع كالذهب والظاهر انه يتكوّن في البلدان التي مياهها قلوية فتكثر المادة الرمادية في نباتها . وطالما خدعت هذه الانسان الناس فظنوا انها تبدل على نبات بتولد الذهب منه

(٤) شفاء الحول

ومنه . هل يمكن ارجاع العين الحولاء الى اصلها بعملية جراحية
ج : طبيب العيون الماهر الذي مارس جراحة العين وبرع بها يستطيع ان يزيل الحول بعملية جراحية . ولكن ليس كل انواع الحول تصلح بعملية جراحية او تقتضيها

(٥) السيارات السبعة

البصرة . قال القدماء ان السيارات سبعة وقد جمعها بعضهم بقوله
نلك الدراوي زحل فالمشترى
وبعدها مريخها في الاثر
شمس فزهرة عطارد قمر

وكلها سائرة على اثر
فهل يوافق علماء الهيئة الحديثون على ذلك
ج : كلاً فان القدماء الذين قال الشاعر
فولم حسبوا ان الارض ثابتة والشمس
والقمر وعطارد والزهرة والمشتري وزحل
غيرهم سيارة تدور حولها . أما المتأخرون

باب اخبار العلمانية

الى اسلاك التليفون العادية الممتدة بجانب الخط الحديدي السائر عليه القطار نفسه ومن ثم يصل الصوت الى احدى محطات الاستقبال حيث توجد المواصلات المباشرة التي توصل الصوت الوارد الى آلة التليفون بمكتب الشخص المقصود بواسطة اسلاك التليفون العادية. والواقع ان الاسلاك الممتدة بموازاة السكة الحديدية قد تكون مشغولة وقتئذٍ بنقل رسائل تلغرافية ولكن هذا لا يؤثر مطلقاً في مقدرتها على نقل الرسائل التليفونية في الوقت ذاته كما انه لا يحدث اي تعطيل في نقل الاشارات التلغرافية وهناك ميزة اخرى وهي ان الاسلاك الثلاثة التي تنقل التيارات الكهربائية القوية الى محطة الاستقبال تقاطع بعضها بعضاً هناك ولكنها لا تصادم تصادم شديداً وكذلك ركاب البواخر التي تشق عباب المحيطات سينتسنى لهم في القريب العاجل وهم في عرض اليم محادثة عائلاتهم في بيوتهم وزملائهم بمحافل اعمالهم على البر. وقد تم تركيب جهاز لتليفون الاسلاك في الباخرة (ليثيانان) احدى بواخر خط الملاحة الامريكية وجرب في نقل الحديث من

التليفون الاسلاك في القطار والبواخر من احدث الكماليات في السفر ان يستطيع المرء في كندا التحدث بالتليفون الاسلاك من القطارات السريعة الى المدن القصية. وقد تحقق ذاك العمل من زمن قريب على خطوط سكة حديد كندا الوطنية والواقع ان هذا الاختراع في حد ذاته تحسين ممتاز لجهاز المحادثة من جهة واحدة الذي اخترع في المانيا اولاً ثم استخدم في بلادها زمناً ما. فاذا ثبت فيما بعد صلاحية هذا الجهاز في الخدمة العامة، اتسح لركاب القطارات في اي مكان محادثة اصداقهم من مركبات القطار الذي يقاهم وتلقي الردود بسهولة كما هي الحال في المحادثات التليفونية من نقطة الى اخرى في الاماكن الثابتة وقد اعرب المهندسون ان الاتقان المنتظر في هذا الاختراع سيفضي الى المحادثة من قطار سائر الى قطار مثله وتفصيل التجربة التي حدثت في كندا كما يأتي :- ان الصوت الصادر من آلة التليفون المركبة في القطار السائر يجتاز عموداً منصوباً على ظهر مركبة القطار ثم « يثب » من ذلك العمود اما الى اسلاك التلغراف واما

الباحرة الى البر فتنجح . ونجهم عن ذلك ان
وعند موظفو شركة التليفون والتاغراف
الامريكية بانشاء دائرة تليفون بحري رسمية
وسيكون جهاز التراسل الجديد فيها مؤلفاً
من الراديو والتليفون مندجين ، فتقوم آلة
تليفون لاسلكي بنقل الاخبار عن ظهر
الباحرة وهي في عرض البحر الى اقرب
محطة على البر حيث تتولى تلك المحطة ارسالها
الى الاماكن المرغوبة بواسطة الاسلاك
التليفونية

زد على ذلك ان قد جربت في
السفينة الفرنسية (ايل دفرانس) طريقة
جديدة لارسال تقيات ركابها الى عائلاتهم
واصدقائهم كما تصدر من شفاههم بالضبط
وذلك بواسطة اسطوانات الفونوغراف التي
يؤلفها المسافرون انفسهم وهي اساطين
نظر الواحدة منها سبع بوصات ومدة
دورانها دقيقتان وتلتقط نحو ٣٠٠ كلمة .
وبنسى نقلها الى البر وتركيبها على اي
فونوغراف في وطن المسافر ولا تستهدف
التلف لانها تنقل في البريد مغلفة باسطوانات
معدنية صنعت لاجلها خاصة

البحر الميت وكنوزه

لا يحتاج المستبح من الاحداث في
البحر الميت الى اية اداة من ادوات الوقاية
من الفرق لان ماء ذلك البحر العجيب
(الذي تحيط به الارض من كل جهة

ويصب فيه نهر الاردن) محتو على كثير
من الاملاح الذائبة . حتى ان من يسبح
فيه يرى نفسه طافياً على الماء كأنه كيس
منفوخ بالهواء . والواقع انه من الصعب
على الاطلاق الغطس في الماء غطساً كافياً
لان ماءه يشتمل على نحو ٢٤ في المائة
من الاملاح المختلفة . ويسمى هذا البحر
علمياً « بحيرة الاسفلت » وهو واقع في
وادي عميق بفلسطين وطوله ٤٦ ميلاً
وعرضه يتراوح بين ٨ اميال و ١٠ اميال
ولما كان ذلك البحر تحديق به الجبال ، فانه
يمتاز بميزة غريبة وهي كون الجداول تصب
فيه من الشرق والغرب والجنوب ، ونهر
الاردن المشهور جداً في الكتاب المقدس
يصب فيه ايضاً من الشمال . وليس للبحر
الميت منفذ . ومن المحال أن يتفرع منه
أي نهر . وهذا امر بديهي ، لانه
منخفض عن سطح البحر الابيض المتوسط
نحو ١٣٠٠ قدم ويبعد عنه نحو ٥٠ ميلاً
واقصى عمقه ١٣٠٠ قدم

وسبب تسميته بالبحر الميت ، انه محوط
من كل جهة باراض جدداء ولا تعيش فيه
الا قلائل من المخلوقات المائية لشدة
ملوحة مائه . ومن الاقوال الماثورة بشأنه
انه واقع فوق اطلال مدينتي سدوم
وعمورة المذكورتين بسفر التكوين من
التوراة . وهما تانك المدينتان اللتان دمرها

الله تعالى لتفاهم شرور سكانهما — ولكن العلماء يستبعدون ذلك القول

وفي البحر الميت ثروة معدنية وكيمياوية لا تقدر بمال . وقد كشفت عنها جماعة من الكيماويين البريطانيين الذين نالوا حديثاً امتياز استغلال تلك الدقائق الثمينة من حكومة فلسطين . وقد قدرت محتوياته (البحر) من البوتاسا النقية واملاح البروم والحبيس وكلورور المغنيزيوم وغيرها من الفلزات المفيدة للزراعة والصناعة ، بما يعادل ثلاثة امثال دين الحكومة البريطانية للولايات المتحدة في الحرب الكبرى

وما يروى في هذا الصدد ان الدكتور جورج كلود العلامة الفرنسي المشهور ابلغ حكومته بان البحر الميت ، علاوة على ثروته الكيماوية ، يحتوي على ذهب يقوّم بخمسين بليوناً من الريالات . وان ثلث هذا الذهب الابرز ، كما يعتقد الدكتور كلود ، سيستنبط بالوسائل العلمية الجديدة في خلال ١٥ سنة تقريباً

هراوة للشرطة تنير الطرق

اخترعت في الولايات المتحدة بامريكا هراوى للشرطة تستعمل ليلاً فتقوم مقام العصي والمصابيح الكهربائية في آن واحد . فتراها هراوة ، في احد طرفيها ، ومصباحاً كهربائياً ، في الطرف الآخر ، ينير لضابط البوليس طريقه في الازقة المظلمة . وهي

مصنوعة من انبوب فولاذي ينتهي بخيوط معدنية في طرف المقبض يركب فيها مصباح كهربائي صغير بلولب « قلاووز » . ويقول المخترع ان هذا الجهاز يتيح لضابط الشرطة حين يؤدي مهمته ليلاً ان يلقي شعاعاً من النور توافراً بغير انتظار جذب المصباح الكهربائي من جيبه . وفي الوقت نفسه يجعله يحتفظ بهراوة في يده معدة للاستعمال . وهذه الهراوة المضئئة تدس تحت ذراع مستعملها بحيث لا تتقيد بها اليدين فيتسنى لحاملها . القبض بيديه على كراسيه الصغيرة التي يدون فيها ملاحظاته ، وتوجيه نور مصباح الهراوة نحو الكراسية حين الكتابة . والبطارية التي ينبعث منها نور الهراوة تودع في مقبضها . واذا اريد اطفائها نزع زجاجتها البصلية الشكل

الزئبق مصدر رخيص للقوة

يتوقع العلماء عاجلاً جعل الزئبق مصدراً من مصادر القوة فيسيرون به القاطرات والبواخر كما هم يملئون به مقاييس الحرارة . وقد اتيح فعلاً للمهندسين في احدى الشركات الخاصة بتوليد القوة الكهربائية بولاية من الولايات الواقعة في شرق جمهورية الولايات المتحدة الامبركية استخدام ذاك السائل المعدني في مراحل الآلات البخارية حيث جعلوه يولد قوة ١٣٠٠٠ حصان من الكهرباء

كضباب سام يستخن لدرجة ٨٨٤ فرنهيت من المراحل التي تستعمل بالفحم الحجري المسحق الذي يوضع تحتها على الارض) حيث يدير التربين

ويوجد خلف التربين والمولد الكهربائي المتصل فطاس كبير اسطواني الشكل وهو كناية عن مكشف « جهاز لتكشيف الابخرة والغازات » يسترد الزئبق بعد ان يدور التربين . وفي هذه تكون وظيفة ذلك المعدن النفيس لم تنته بعد لانه يستنفد الباقي من حرارته في تحويل الماء الى بخار ثم ما يبقى فيه بعد ذلك من القوة الكامنة فيه يكفي لتدوير تربين بخاري عادي وبذلك الاعمال كلها تتجلى مزايا التربين الزئبقي . لان بخار الزئبق اشد سخونة من بخار الماء العادي فيمكن استخدام قوته مراراً متعاقبة قبل ان يبرد برودة تامة تبطل عمله

وفي معهد (سوث مدو) المتقدم ذكره يقدر المهندسون الوفير الذي سيحدث في الوقود بهذه الوسيلة بمبلغ ٢٠٠٠٠ جنيه في السنة . والفضل في اختراع الآلة البخارية الزئبقية يرجع الى المستر (ويليام لي روي إيمت) مهندس المباحث في شركة الكهرباء العامة في الولايات المتحدة ، ذاك الذي اقترح في سنة ١٩١٤ ان الزئبق يتسنى استخدامه في تدوير طارة التربين ثم ما لبث ان انشا آلة للتجربة في معهد الشركة بجهة شينكتادي وفي سنة ١٩٢٣ انشىء

ومرجل الزئبق يولد ضغطاً كهربائياً شديداً يفوق قوة الآلة البخارية اذا قيس بها ، ولذا يرجع العلماء ان الزئبق سيحدث انقلاباً في الوسائل الحالية المولدة للقوة هذا ما يراه المستر (الفريد دوفلين) مدير الدائرة الهندسية في مدينة نيويورك بأمريكا في تقرير قدمه الى ولاية الامر من وقت قريب يدور على الوجهة التجارية العملية الخاصة بتوليد الكهرباء بالتربين الزئبقي كما ظهر لشركة النور الكهربائي بمدينة هارتفورد في ولاية كونكتيكت بأمريكا . فقد حذت نك الشركة في الارتفاع بالزئبق حذو الذين يستعملون التربين البخاري المألوف فجعلت تستخدم بخار الزئبق بدلاً من بخار الماء لتدوير مقاذيف التربين الدوارة فاسفرت التجربة عن توفير كبير في الوقود وانقاص في النفقات

وكل من رأى ذلك التربين (البخاري المجرد من البخار) في عمارة شركة هارتفورد بجهة (سوث مدو) حيث تولد القوة الكهربائية ، خاله مرجلاً من المراحل العادية التي تولد البخار للتربين ولكن يختلف عنه كل الاختلاف بحيث تجد داخل الغلاف المغلف له اسطوانة تربين تدور ، دورة كل ثانية ومع ذلك قلما يحدث صوتاً اورجة . واذا ما دنا منها امرؤ لا يكاد يظن لدورانها . وبواسطة المقاذيف الدوارة التي في التربين يسري بخار الزئبق (وهو

اول معهد لتوليد قوة بخار الزئبق في العالم وذلك في نقطة (دتش بيونت) التابعة لشركة هارتفورد للنور الكهربائي

وكان ذلك الجهاز جهازاً اختيارياً تقل قوته عن ٥٠٠٠ حصان ويولد نصف قوته تقريباً من ترين زئبقي ذي طارة واحدة والباقي من المحصول البخاري الاضافي المستعمل في الترين البخاري

ثم قامت طائفة من المهندسين بالتجارب الخاصة بالوفر الذي ينتج من ذلك الجهاز الغريب المولد للقوة وكان في اثناء ذلك المستر ايمت يقوم بتجاربه الخاصة في شركة الكهرباء العامة ، مستخدماً في ذلك طرزاً محسناً من الترين الذي اخترعه . وكان القليلون من العلماء مهتمين باختراعه فقالوا حينئذٍ « انه اذا نجح جهازه هذا فقد لا يجدد في العالم من الزئبق ما يكفي لتدوير تريناته »

وكان خير جواب عن ذلك ان شركة هارتفورد طلبت صنع ترين كبير من ترينات الزئبق من قوة ١٣٠٠٠ حصان للخدمة التجارية لا غير في محطاتها بمدينة (سوث مدو) فتم صنعه في شهر نوفمبر من العام الماضي ونصب في تلك الجهة فقام بالعمل قيماً متواصلاً حتى عطل من عهد قريب قصد احداث بعض تحسينات هندسية فيه ويحتاج الجهاز المشار اليه الى زهاء ٧٠ طن من الزئبق لتدويره اي اكثر من

الف جالون . ولما كان السعر الحالي للزئبق في امريكا نحو ٤٠ جنيه للجالون الواحد كان ما محتويه انايبب المرجل وحدها ثروة طائلة من المعدن السائل فاذا نُقِب انبوب واحد منها ضاع هدرأ من الزئبق مايقوم بمبلغ ٤٠٠٠٠ جنيه . ولهذا السبب يقوم ارباب المصانع (محافظة على ذلك السائل النفيس) بلحم انايبب بالكهرباء لكيلا تنفك بعضها من بعض بالاستعمال (بدلاً من وصلها بالطرق المألوفة) وحتى لا تفن منها أبخرة الزئبق السامة

وللان لم يجرب ترين الزئبق الا في محطات توليد القوة الكهربائية . بيد ان المخترع لا يرى مانعاً من استخدامه أيضاً في الآلات البخارية والبواخر

رقيب كيماوي لتطهير مياه الشرب اخترع احد علماء سويسرا جهازاً كيماوياً يعمل من تلقاء نفسه عملاً متواصلاً في تنظيم تنقية مياه الشرب بغاز الكلور . ولما كان ذلك الجهاز مصنوعاً على نمط الآلات التي شاع استعمالها في ايامنا هذه إذ تقوم مقام العمال البشريين فيما كانوا يؤديونه من الاعمال المختلفة ، اطلق عليه اسم الكيماوي الاتوماتيكي كما سميت الآلات المشار اليها الخدم الصناعيين . ويقوم الجهاز بوظيفته آتاء الليل واطراف النهار حيث يرقب عن كئيب نقاء الماء في كل هنيهة ويبدون ذلك في

سجل خاص من تلقاء نفسه . وقد تتجلى فوائده بالاخص في المدن الصغيرة حيث يبنى ذوو الشان تحليل مياه الشرب في فترات متباعدة بعضها عن بعض وحيث يحمل نفثي أحد الامراض المعدية في ساعة واحدة من ينبوع ماء ملوث بالجراثيم دون ان يظن له احد

ويجدر بنا ان نزيد القارىء بياناً بشأن الكولر فنقول : — الكولر عدو ازرق ذئب للانسان كما هو صديق له حميم . وهو في حال نقائه غاز ذو لون ضارب الى الخضرة وهو بطبيعته شديد التأثير ، سام ، ولذلك استخدمته الدول المتحاربة في معارك الحرب الكونية لفتك الحيوش بعضها ببعض ، تلك الحيوش الجرارة التي سيقنت ايامئذ الى بادن الوغى المختلفة . ولما كان هذا الغاز يخدم عند الصوديوم «النظرون» فانه يكون مادة من اكثر المواد ضرورة في الغذاء ونعني بها ملح الطعام اي كلوريد الصوديوم . وفضلاً عما يخدمه هذا الغاز من الضرر بالمقاتلين فانه يساعد الحياة مساعداً جوهرياً كما قلنا، وله فوائد كثيرة نجملها في مصاف افيد المواد الكيماوية ومنها ان الصنف النقي منه ذاك الذي يصير سائلاً بالضغط فيتسنى نقله بالبواخر مودعاً في الفناطيس وقد تمزج منه مقادير ضئيلة بالماء النهر الذي يشربه سكان المدن ليقتل ما قد يوجد فيه من جراثيم كما اوضحنا قبلاً .

وكثيراً ما يستعمل كمادة لتبييض القماش على شكل كلوريد الجير وفي غير ذلك من وجوه الاستعمال . وقد استعمل لتطهير مياه مدينة نيويورك في المستودع المسمى بخزان كروتون الذي يسع ٣٠ بليوناً من الجالونات . وذلك الخزان قائم على بعد ٣٠ ميلاً من مدينة نيويورك ويخزن فيه ماء يكفي لسكان تلك المدينة التي هي اكبر مدن العالم بأسره مدة تزيد على شهر — ولكن كل يوم قبل ان يتم توزيع ذلك الماء على الملايين من شاريه تمزج به مقادير كبيرة من ذلك الغاز لاجل قتل الحيوينات والمكروبات الدقيقة التي تسبب الامراض . وطريقة تطهير الماء بذلك الغاز ان ينتقل الى الخزان بجهاز من الانايب فيتدفق في الماء فيبيد ما يحتويه من الجراثيم . ومن المفروض على العمال المشرفين على العمل وقاية انفسهم من ذلك الغاز الحديث بكمامات يلبسونها حينما يحولون حول تلك الانايب والا اصابهم ما كان يصيب الالوف من الجنود في خلال الحرب العالمية الاخيرة واذا اجنبت المياه المدخرة في تلك الخزانات او خبثت رائحتها من نباتات معينة تنمو فيها وتحدث ذلك التغير في طعمها ، فهذه لا تعالج بغاز الكلور بل بكبريتات النحاس ولذلك تصب هذه المادة على المياه عند اندفاعها في الانايب لان كبريتات النحاس تبيد تلك النباتات الدقيقة فيتبقى الماء الذي يشربه الاهالي من حنفيات دورهم بتلك

الوسيلة نقاءً تاماً . وان القارىء ليدرك
نتيجة ترك الماء الراكد في زجاجة مسدودة
عدة ايام فهذه تشبه ما يحدث في الماء
الخزون ولذلك ترى ذوي الشأن يقذفون
بالماء من الفسقيات الكبيرة الى الهواء
ويعالجونه بالاكسجين كي يجدده وفي
خزان كرتون ١٨٠٠ جهاز للتهوئة من
ذلك النوع تساعد على جعل الماء فراثاً
كانه نابع من عين معيونة

بارجتان غريبتا الشكل

لنقل الطائرات الحربية

افادت الانباء الاخيرة الواردة من
اليابان أنه قد الحق بالبحرية اليابانية
مدرعتان جديدتان غريبتا الشكل لكل
منهما مداخل ضخمة ملتوية الى الاسفل
نحو الماء كانهما خراطيم الافعال . وهما احدث
البوارج المخصصة لنقل الطائرات . واسم
احدهما (كاجي) والاخرى (أكاجي)
وقد حلت باختراعهما معضلة استعصى حلها
على الخبراء احقاباً طويلة . ونعني بها منع
الدخان والابخرة التي تتصاعد من القاطرات
من السقوط على الافريز الخاص بنزول
الطائرات على ظهر المدرعة العلوي . وذلك
باستعمال الخراطيم المعقوفة بدلاً من المداخل
المستقيمة

وتمتد تلك المداخل الغريبة الشكل على

كل من جانبي البارجة (كاجي) الى ما
يقرب من نصف طولها ثم تنعطف نحو
الخارج بقرب مؤخر المدرعة كي تقذف
بعيداً سحابة سوداء من الدخان الذي يزيد
كثافة حجب الدخان الفصوري التي تطلق
حولها لاختفائها في زمن الحرب . ومتاز
المدرعة أكاجي بكون مدخنتها ممتدتين عن
يمينها وان احدها منحنية نحو الخارج ثم
الى الاسفل اما الاخرى فمعتدلة

وعند ما يندفع الدخان من المدخنة
للمستقيمة يتحتم على البارجة التي تقل الطائرات
القيام بالحركات الحربية « المناورات »
لتتمكن من جعل الريح تحمل سحب الدخان
بعيداً عن ظهرها والا تعذر على قواد
الطائرات الحربية مشاهدة الظهر الذي
ينزلون عليه

وبناءً على ذلك كانت المداخل المتقدم
وصفها معواناً لحدث نوع من البوارج
المقلة للطائرات حتى تسرع في سيرها الى
الامام غير مكترثة لاتجاه الريح

وقوة المدرعة كاجي ٩١٠٠٠ حصان
وفي وسعها نقل ٦٠ طائرة حربية بسرعة
تزيد على ٢٥ ميلاً في الساعة . اما البارجة
أكاجي فاطول منها قليلاً واضيق وتستعمل
مدخنتها المستقيمة في حال سيرها العادي
ومدخنتها الخروطية الشكل في حالة طيران
الطائرات التي تطلقها

ادوات الجراحة منذ النفي سنة

استخدم الجراحون منذ النفي عام آلات تشبه في اشكالها الآلات الحديثة . وقد استدل على هذه الحقيقة بالمسابر والكلابات التي اميط عنها اللثام في مدينتي بومبي القديمة في ايطاليا ، وهي الادوات التي عرضت حديثاً في لندن . واذا قابلنا العدد الكبير من المسابر في تلك المجموعة بسائر الآلات اتضح لنا أن الشق كان ركناً رئيساً في فن الجراحة قبل سنة ٧٩ الميلاد حينما خسف بركان فيزوف تلك المدينة الإيطالية القديمة

ومع ان اشكال الآلات القديمة في بعض الاحوال تكاد تشبه اشكال الآلات الجراحية الحديثة إلا أنها مصنوعة من فولاذ اقل مرونة كما أن خلو المجموعة الآفة الذكر من المناشير دليل على أن عمليات البتر لم يكن يقدم عليها جراحو ذلك العهد الا في النادر . ويعزى معظم سبب ذلك الى جهلهم وتشنج بالدورة الدموية

والمعروف أن الجراحة مورست من قبل ذلك التاريخ بدليل ان الاسكندر الاكبر لما غزا الاقاليم الواقعة في شرق بحر الروم في سنة ٣٠٠ قبل الميلاد ، شاهد أهلها يباشرونها ببراعة رائعة كما هو ثابت ايضاً أن قدماء المصريين حذقوا الجراحة قبل ميلاد السيد المسيح بزمن يتراوح بين ٥٠٠٠ عام و ٦٠٠٠ عام

رصد عطارد

كان السيار عطارد كوكب مساء في مايو الماضي وكان على ابعد بعد من الشمس في اواسط الشهر والمسافة بينهما ٢٢ درجة من القوس وظل يغيب نحو ساعتين بعد غروب الشمس بضعة ايام هذه مسألة خطيرة في نظر علماء الفلك لان قرب عطارد من الشمس وملازمته لها يجعل رصده متعذراً

كثرة الرجم والنيازك

يذهب الدكتور هنري نورس رسل احد اساتيد علم الفلك في جامعة برنستن الى ان الف مليون نيزك تصيب الارض كل يوم ولكن اكثرها صغير جداً لا يزيد وزن النيزك منها على جزء من ٤٥٠ الف جزء من الرطل الانكليزي . ويذهب كذلك الى ان رجماً وزنه استون طنات تقع على الشمس كل ثانية من الزمان . فكأننا ندور في فضاء يعج بهذه الاجرام

زورق كبير للنجاة لا يغرق

عرض في انكلترا مؤخراً زورق لنجاة ركاب البواخر من الغرق عند انكسارها مؤلف من ثنائي حجر لا يستطيع الماء تخللها ويسع ١٥٠ شخصاً . وقد جرب عند سواحل انكلترا فاسفرت التجربة عن النجاح

الجزء الثالث من المجلد الخامس والسبعين

صفحة	
٢٤٥	كلمات للدكتور صرّوف — الزمان وقدر الرجال
٢٤٦	الفردوس الارضي . للاستاذ فؤاد صرّوف (مصورة)
٢٦٨	السر ادون راى لانكستر (مصورة)
٢٧٠	مصر تخاطب لندن والعالم (مصورة)
٢٧٦	آلة العيش صحة وشباب
٢٨٢	المعادن والحرب والعمران
٢٨٥	نظرة في مصرع كليوباترا . للاستاذ انيس الخوري المقدسي
٢٩٣	هل طعام اليا بانين سبب قصرهم . للدكتور عبد الرحمن شهنيدر
٢٩٨	الطيران من الاسكندرية الى جنوى . للمستتر سدي مرتن (مصورة)
٣٠٤	بحث في التبغ وغرائب . للامير مصطفى الشهابي
٣٠٩	الشاريفاري (قصيدة) . للدكتور احمد زكي ابو شادي (مصورة)
٣١٠	عودة الالمان الى ميدان التنافس (مصورة)
٣١٦	مناظرة الكسائي وسيبويه . لكامل كيلاني افندي
٣٢٢	الصناعة الآلية والعمران (مصورة)
٣٢٧	الطبيب والمعمل . للدكتور انيس انسي بك

٣٣٤	باب شؤون المرأة وتدير المنزل * العناية بالاطفال
٣٣٨	باب الزراعة والاقتصاد * الاقتصاد الريفي . جلالة الملك في معامل لونا (مصورة)
٣٤٣	مكتبة المقتطف
٣٥٣	باب المسائل * وفيه ٦ مسائل
٣٥٦	باب الاخبار العلمية * وفيه ١٠ نبذ